

فتح الحديث

في

تفسير القرآن

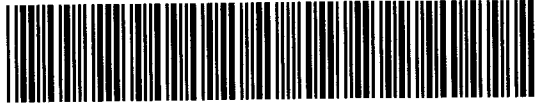
جنة السنة

جميع الحقوق محفوظة

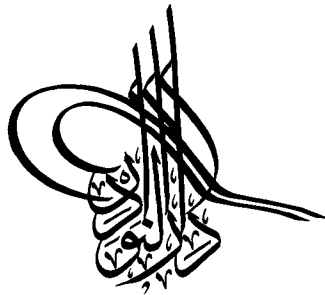
الطبعة الثانية
من إصدارات
دار التوادير
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الأولى
من إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ردمك: ٨-١٦-٤١٨-٩٩٣٣-٩٧٨-ISBN



9789933418168



سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار التوادير م.ف - سورية * شركة دار التوادير اللبنانية م.م - لبنان * شركة دار التوادير الكويتية - ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص . ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص.ب : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص . ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسسها سنة ٢٠٠٦م
نور الدين طالب
الدير العام والرئيس التنفيذي

جنة السنة

فتح الحريين

في

نفس القرائن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنيلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

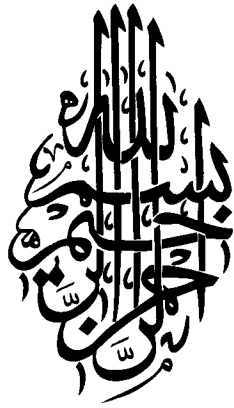
إعتنا به

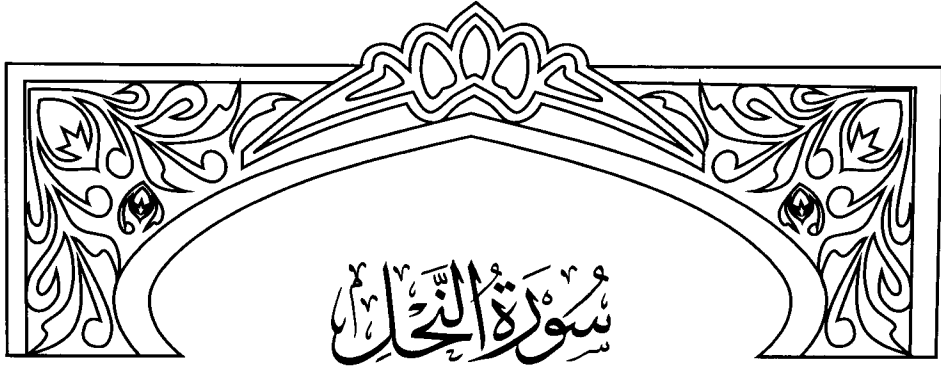
تحقيقاً و ضبطاً و تحريراً

نور الدين ظهير الدين

دار التواضع

جنة السنة





وكانت تسمى: سورة النعم؛ بسبب ما عدّد الله فيها من نِعَمِهِ على عباده، وهي مكية، إلاّ من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها، نزل بالمدينة، وأيّها مئة وثمان وعشرون آية، وحرّوفها سبعة آلاف وسبع مئة وسبعة أحرف، وكلمها ألف وثمان مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنْتَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١﴾.

[١] ﴿أَنْتَ﴾ قَرَبٌ ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: عذابه، وذلك أنّ الكفار كانوا يستعجلونه استهزاءً، فنزل: ﴿أَنْتَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، فوثب النبي ﷺ قائماً، وحذّر الناس من قيام الساعة، فنزل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ﴾^(١) لا تطلبوا الأمر قبل حينه، فاطمأنّوا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (أتى) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان^(٢)، ولما نزلت هذه الآية، قال ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١٠٨/٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥، ٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٦٦٧).

جنة السنة

كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ»^(١)؛ أي: كادت لتسبقني.

﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى﴾ تَبَرَّأً وَتَعَاظَمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنْ آلِهَتِهِمْ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(٢).

﴿يُنزِلُ الْمَلٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنْذِرُوهُۥٓ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٣).

[٢] ﴿يُنزِلُ الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ قراءة العامة: بضم الياء وكسر الزاي (الملائكة) نصب، وهم في تشديد الزاي على أصولهم المتقدمة في البقرة، فيخففها منهم ابن كثير، وأبو عمرو، ورؤيس عن يعقوب. وقرأ روح عن يعقوب (تنزل) بالتاء مفتوحة، وفتح الزاي مشددة، ورفع الملائكة^(٣)؛ كالمتفق عليه في سورة القدر.

﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه.
﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ هم الأنبياء عليهم السلام، وتقدم في سورة

(١) رواه البخاري (٦١٣٨)، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (٢٩٥٠)، كتاب: الفتن وأشراف الساعة، باب: قرب الساعة، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«الكشف» لمكي (٥١٥/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٦٧/٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«تفسير البغوي» (٦٠٤/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٨/٣).

جنة السنة

البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [الآية: ٩٨] عددُ نزولِ جبريلَ عليه السلام على جماعةٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْمُشْرِكِينَ وَعَرَّفُوهُمْ ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ. قرأ يعقوب: (فاتقوني) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(١).

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾ بالواجب اللاتق.

﴿تَعَالَى﴾ ارتفع.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ واختلافُ القراء في (يُشْرِكُونَ) كالحرفِ المتقدِّم.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

[٤] ونزل في منكري البعث: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: ماء الرجل.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ مُجَادِلٌ لِلْخُصُومِ ﴿مُبِينٌ﴾ لِلْحُجَّةِ بَعْدَ مَا كَانَ مَيْتًا جَمَادًا.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٦٩).

جنة السنة

رُوي أن أباي بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم رميم وقال: يا محمد! أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم؟! فنزلت (١).

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٥] ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما استدفىء به من الثياب والأحذية المستعملة من أوبارها.

﴿وَمَنْفَعٌ﴾ بالنسل والركوب والحمل وغيرها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: لحومها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرِيحُونَ وَحَيْثُ تَسْرَحُونَ﴾.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حَيْثُ تَرِيحُونَ﴾ أي: الإبل، تردونها إلى المراح، بضم الميم، وهو المبيت والمأوى أيضاً.

﴿وَحَيْثُ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها غدوة إلى المراعي، وقدّم الإراحة على التسريح؛ لأنها في المراح أحسن خلقاً منها في المسرح، وأكثر لبناً، وأعجب إلى صاحبها.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨).

حنة السنة

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٧].

[٧] ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ أحمالكم.

﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ هي مكة، أو جميع البلاد.

﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ ﴾ واصلين إليه لو لم تُخلق الإبل فَرَضًا.

﴿ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ بجهدِها. قرأ أبو جعفر: (بِشَقِّ) بفتح الشين، والباقون: بكسرِها، وهما لغتان، مثل: رِطْلٍ ورِطْلٍ^(١).

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ بخلقِها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (رؤوف) بالإشباع على وزنِ فَعُولٍ حيثُ وقع^(٢).

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٨].

[٨] ﴿ وَالْخَيْلَ ﴾ أي: وخلق الخيل، وهي اسمُ جنسٍ لا واحد له من لفظه؛ كالإبل، والنساء ﴿ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ أي: وجعلها زينةً لكم مع المنافع التي فيها.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧-٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٠).

جنة السنة

واحتجَّ بهذه الآية مَنْ حَرَّمَ لحومَ الخيلِ، وهو قولُ أبي حنيفةَ ومالكٍ؛ لأنَّه علَّلَ خلقَ هذه الأشياءِ بالركوبِ والزينةِ، ولم يذكرِ الأكلَ، وعن مالكٍ روايةٌ أخرى أنَّها مكروهةٌ، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأبو يوسفَ ومحمدُ بنُ الحسنِ بإباحةِ لحومِ الخيلِ، وقالوا: ليسَ المرادُ من الآيةِ بيانَ التحليلِ والتحریمِ، بل المرادُ منه تعريفُ اللهِ عبادهَ نعمهً وتنبیههم على كمالِ قدرتهِ وحكمتهِ، وحجَّتْهم ما رُوِيَ عن جابرٍ رضي اللهُ عنه قال: «نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ يومَ خيبرَ عن لحومِ الحمرِ، ورَخَّصَ في لحومِ الخيلِ»^(١)، وأمَّا لحومُ البغالِ والحُمُرِ الأهليَّةِ، فمحرَّمةٌ بالاتفاقِ^(٢)، ورُوِيَ عن مالكٍ أنَّها مكروهةٌ كراهةً مغلظةً.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن مخلوقاتِ اللهِ من الحيوانِ وغيره لا يُحيط بعلمها بشرٍّ، بل ما يخفى عليه أكثرُ مما يعلمه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ يعني: بيانُ الطريقِ الحقِّ لكم، والقصدُ: الطريقُ المستقيمُ.

﴿وَمِنْهَا﴾ أي: ومن السبيلِ؛ لأنها تُذَكَّرُ وتؤنَّثُ ﴿جَايَزٌ﴾ أي: عادلٌ

(١) رواه البخاري (٥٢٠١)، كتاب: الذبائح والصيد، باب: لحوم الخيل، ومسلم (١٩٤١)، كتاب: الصيد والذبائح، باب: في أكل لحوم الخيل، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

(٢) في «ت»: «على الاتفاق».

جنة السنة

عن الحق، فقصد السبيل: دين الإسلام، والجائر: سائر ملل الكفر.
﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ﴾ إلى صلاحكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ولم يضلَّ أحدٌ.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
تُسِيمُونَ﴾ (١٠).

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه.

﴿وَمِنْهُ﴾ أي: ينبت بسببه.

﴿شَجَرٌ فِيهِ﴾ في النبات.

﴿تُسِيمُونَ﴾ تزعون دوابكم؛ من سامت الماشية: رعت.

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّمْرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١).

[١١] ﴿يُنْبِتُ﴾ الله ﴿لَكُمْ بِهِ﴾ يعني: الماء. قرأ أبو بكر عن عاصم:
(نُبت) بنون العظمة، والباقون: بالياء^(١).

﴿الزُّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الشَّمْرَاتِ﴾ وبعض كلها
إن لم ينبت في الأرض كل ما يمكن من الثمار.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الصنعة، فيستدلون بها
على صانعها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)،
و«تفسير البغوي» (٢/٦٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧١-٢٧٢).

جنة السنة

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ .
[١٢] ﴿ وَسَخَّرَ ﴾ ذَلَّلَ .

﴿ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ مُذَلَّلَاتٍ .
﴿ بِأَمْرِهِ ﴾ بِإِذْنِهِ . قرأ ابنُ عامرٍ : (وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالنُّجُومُ ، مُسَخَّرَاتٌ) برفع الأسماءِ الأربعة على الابتداء ، فـ (الشمسُ) مبتدأ ، (والقمرُ والنجومُ) عطْفٌ عليه ، والخبرُ (مسخراتٌ بأمره) ، وافقه حفصٌ عن عاصمٍ في الحرفينِ الأخيرينِ ، وهما (والنجومُ مسخراتٌ) ، فرفعهما على الابتداء والخبرِ ، وقرأ الباقون : بنصبِ الأربعة وكسرِ تاءِ (مُسَخَّرَاتٍ) عطفاً على (النهارِ)^(١) .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قَالَ فِي الْآيَةِ قَبْلُ : (لآيَةٌ) ؛ لِأَنَّ شَيْئاً وَاحِداً مِنْهَا يَعْمُ تِلْكَ الْأَرْبَعَةَ ، وَهُوَ النَّبَاتُ ، وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (لآيَاتٍ) ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا ذَكَرَ آيَةٌ فِي نَفْسِهِ ، لَا يَشْرِكُ مَعَ الْآخِرِ ؛ فَالذَّلِيلُ لانتفاعِ البشريِّ بالسكونِ فيه ، والنهارُ للسَّعيِّ في المعاشِ وغيرِهِ ، والشمسُ والقمرُ منافعهما أكثرُ من أن تُحصَى ، والنجومُ هداياتُ .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ خَلَقَ ﴿ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالذُّوَابِ

(١) المصادر السابقة .

جنة السنة

وغيرها ﴿مُخْلِفًا﴾ نصبٌ على الحال ﴿أَلْوَنَهُ﴾ أصنافه .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعتبرون .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٤) .

[١٤] ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ العذب والملح .

﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ يعني : السمك ، وُصِفَ بالطَّرَاوَةِ لتسارع الفسادِ إليه ، فَيَسَارِعُ إلى أَكْلِهِ طَرِيًّا .

﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ ﴾ أي : من الملح ، عطفٌ على (لِتَأْكُلُوا) .

﴿ حِلْيَةً ﴾ زينةٌ ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤُ والمرجانُ ، فدلَّ على أنهما من الحلِيِّ .

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ﴾ فواعلٌ من مَخَرَتِ السفينةُ : إذا جَرَتِ فشقَّتِ الماءَ بصدرِها .

﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ بركوبها للتجارة .

﴿ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله لتوالي نعمه عليكم .

﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥) .

[١٥] ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا ﴾ ثوابتٌ ؛ يعني : جبالاً .

جنة السنة

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لثلاً تميلَ وتضطرب.

﴿وَأَنْهَزَكَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُهُ: وجعلَ فيها أنهاراً.

﴿وَسُبُلًا﴾ طُرُقاً ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾ تعتبرونَ وترشُدونَ.

﴿وَعَلَّمْتَ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿وَعَلَّمْتَ﴾ هي معالمُ الطريقِ، وكُلُّ ما يُستدلُّ به.

﴿وَيَالْتَجِمُ﴾ عامٌّ في كلِّ نَجْمٍ.

﴿هُمْ﴾ أي: قريشٌ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى القبلة، أو في السيرِ؛ لأنهم كانوا

كثيри الأسفارِ للتجارة، مشهورينَ بالاهتداءِ في مسائرهم بالنجوم.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ أي: الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ أي: الأصنامُ،

تلخيصُهُ: اللهُ الخالقُ خيرٌ أم الهتكم العجزة؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتتَّعظونَ

وتؤمنون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تذكرون)

بالتخفيف حيث وقع.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٨].

[١٨] ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تضبطوا عدّها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لتقصيركم في أداءِ شكرها ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم حيث لم

يقطعها لتفريطكم بالتقصير.

جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ من عقائدكم وأعمالكم.

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [٢٠].

[٢٠] و﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني: الأصنام التي تعبدونها من دونه. قرأ عاصمٌ، ويعقوبُ: (يَدْعُونَ) بالغيبِ، والباقون: بالخطاب^(١).

﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ﴾ لعجزهم ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ لأنهم يَتَّخِذُونَ مِنَ الْحِجَارَةِ وغيرها.

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [٢١].

[٢١] ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ يعني: الأصنام ﴿ غَيْرَ أَحْيَاءٍ ﴾ أي: لا يعقب موتها حياة.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: الأموات ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ متى يُحْشَرُونَ.

﴿ إِلَهكُمُ اللَّهُ وَحْدًا فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٢٢].

[٢٢] ثم نفى ألوهية الأصنام، وعرفهم الإله حقيقة فقال: ﴿ إِلَهكُمُ اللَّهُ وَحْدًا ﴾ لا يُشَارِكُ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٤).

جنة السنة

﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ﴾ جاحدة.

﴿ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ متعظمون عن الإيمان.

﴿ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ
الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ فيجازيهم .
قرأ حمزة: (لَا جَرَمَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغ الإشباع .

﴿ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ عامٌّ في الكافرين والمؤمنين ، في الحديث :
« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ »^(١) ، وفيه : أَنَّهُ مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ
سَجْدَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْكِبَرِ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي : لكفار مكة .

﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا ﴾ استهزاء .

﴿ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أباطيلهم .

(١) رواه مسلم (٩١) ، كتاب : الإيمان ، باب : تحريم الكبر وبيانها ، عن ابن مسعود -
رضي الله عنه - .

جنة السنة

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾ أي : قالوا ذلك ليحملوا ذنوبهم .
﴿ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وإنما ذَكَرَ الكَمَالَ ؛ لأنَّ البَلَايَا التي تَلْحَقُهُمْ فِي
الدُّنْيَا ، وَمَا يَفْعَلُونَ مِنَ الحَسَنَاتِ ، لَا تُكْفِّرُ عَنْهُمْ شَيْئًا .
﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ ﴾ أي : ذُنُوبِ ﴿ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بِغَيْرِ حُجَّةٍ ،
فِيصُدُّونَهُمْ عَنِ الإِيمَانِ ﴿ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ بِئْسَ شَيْئًا تَحْمِلُوا .

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ
فَنَحَرَ عَلَيْهِمْ السَّقْفَ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ وهم نمرودُ بنُ كنعانَ ، بنى
الصرحَ ببابلَ ليصعدَ إلى السماء ، وتقدَّمَ ذَكَرُ القِصَّةِ مستوفىً فِي آخِرِ سورَةِ
إبراهيمَ ، فهبَّتْ رِيحٌ فألقتْ رأسَهُ فِي البَحْرِ ، وخرَّ عليهم الباقي وهم تحتَه ،
فذلك قولُه تعالى :

﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ ﴾ أي : قصدَ خرابَ بنائِهِمْ .
﴿ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ من أساسِهِ ﴿ فَخَرَّ ﴾ سَقَطَ ﴿ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾
يعني : أعلى البيوتِ من فوقِهِمْ .
﴿ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بمجيئِهِ .

جنة السنة

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ الله ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ ﴾ بزعمكم . قرأ البزئي عن ابن كثير : (شُرَكَائِي) بياءٍ مفتوحةٍ بغيرِ همزٍ ولا مدٍّ ، قال الكواشي : لأنَّ الأصلَ تركُ المدِّ ؛ لأنَّ المدَّ إنما يكونُ بزيادةِ حرفٍ ليس من أصلِ الكلمةِ ، فرجعَ إلى الأصلِ مع صحَّةِ القراءةِ وتواترِها ، فلا تأثِيرَ لظعنِ الطاعنِ فيها ، والباقون : بفتحِ الياءِ والمدِّ بلا همزٍ ؛ لأنَّ الأشهرَ في (فعليل) أن يُجمعَ على (فَعَلَاء) ؛ كشهيدٍ وشهداء^(١) .

﴿ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ تخاصمون في شأنهم . قرأ نافعٌ : (تُشَاقُّونَ) بكسرِ النونِ على الإضافةِ ، أصلُه : تُشَاقُّونِي ، فحُذِفَ أحدُ النونينِ والياءِ ، وتركتِ الكسرةُ تدلُّ عليها . وقرأ الباقون : بفتحِ النونِ إخباراً عن غيرِ مضافٍ^(٢) ، تلخيصُه : ليحضُرَ من تزعمونَ ، وليدفعَ عنكم العذابَ .

﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ أي : النبوة .

﴿ إِنَّ الْخِزْيَ ﴾ الهوانُ ﴿ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ ﴾ العذابَ .

﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ وفائدةُ قولهم إظهارُ الشماتةِ وزيادةُ الإهانةِ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٧١-٣٧٢) ، و«التيسير» للداني (ص :

١٣٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٥) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٧١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٧) ،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٦) .

جنة السنة

﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّمَاءَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ يقبضُ أرواحهم ملك الموت وأعوانه.

قرأ حمزة، وخلف في هذا الحرف وفي الآتي: (يَتَوَفَّاهُمْ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث^(١) ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ بالكفر. قرأ أبو عمرو (الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بإدغام التاء في الظاء^(٢).

﴿ فَأَلْقَوْا السَّمَاءَ ﴾ أي: استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت، وقالوا:

﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ شريك، فتجيبهم الملائكة: ﴿ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فهو يُجازيكم عليه، قال عكرمة: المعنى بذلك مَنْ قُتِلَ مِنْ^(٣) الكفار بيدٍ.

﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/٦١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٧).

(٣) «من» ساقطة من «ت».

جنة السنة

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٠)

[٣٠] وكان أحياء العرب يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ، فإذا جاء، سأل الذين قعدوا على الطريق عنه، فيقولون: ساحرٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ، وكذابٌ، ومجنونٌ، ويأمرونه بالانصرافِ، ويقولون: لا تلقه خيرٌ لك، فيدخلون مكة ويسألون أصحاب النبي ﷺ، فيخبرون بصدقه، وأنه نبيٌّ مبعوثٌ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ يعني: المؤمنين^(١) ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا ﴾ أنزل ﴿ خَيْرًا ﴾ ثم ابتداءً فقال: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ و﴿ وَحَدُوا ﴾ في هذه الدنيا حسنة ﴿ كرامة من الله، وهي تضعيف الأجر إلى العشر ﴾ و﴿ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ أي: ولثوابهم في الآخرة خيرٌ منها ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ الجنة.

﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣١)

[٣١] ثم فسرها فقال: ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ من أنواع المشتبهات ﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ الَّذِينَ نُوفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦١٢).

جنة السنة

[٣٢] ﴿الَّذِينَ نُوفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ تقدم النبيه على اختلاف القراء في (تتوفاهم) ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر والمعاصي .

﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت : ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ ويقولون لهم في الآخرة : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي : بما كان من أعمالكم .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف : (يَأْتِيَهُمْ) بالياء مُذَكَّرًا، والباقون : بالتاء مؤنثاً^(١) .

﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ وعيدٌ يتضمَّن قيام الساعة وعذاب الدنيا .

﴿كَذَلِكَ﴾ أي : مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب .

﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فعوقبوا .

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي : آذوا أنفسهم ، وظلموها بنفس فعلهم ، وإن كانوا لم يقصدوا ظلمها .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٧٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٨) .

جنة السنة

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ جزاء سيئات عملهم الخبيث وحاَق ﴿ نزل .

﴿ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ والحق لا يستعمل إلا بالشر .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، فلولا أن الله رضىها لنا، لغير ذلك، وهدانا إلى غيرها، قالوا ذلك بغياً واستهزاءً لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩] .

﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ فأشركوا وكذبوا الرسل .

﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ الموضح للحق، وليس إليهم الهداية .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

جنة السنة

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ كما بَعَثْنَا فيكم ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾
قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، والكسائي، وخلف: (أَنْ
اعْبُدُوا) بضم النون وشبهه حيث وقع (١).

﴿ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ﴾ وهو كلُّ معبودٍ من (٢) دونِ الله .

﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ وَفَقَّهَمَ لِلإِيمَانِ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ ﴾ ثَبَّتْ بالسابقة حتى مات على كفره .

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يا معشرَ قريش .

﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ أي : عاقبة أمرهم لعلكم تعتبرون .

﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ
تَنْصِيرٍ ﴾ (٣٧)

[٣٧] ﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ ﴾ يا محمد ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ قرأ
الكوفيون : بفتح الياء وكسر الدال ؛ أي : لا يهدي الله من أضلَّهُ، وقرأ
الباقون : بضم الياء وفتح الدال ، يعني : من أضلَّهُ الله فلا هادي له (٣) .

﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَنْصِيرٍ ﴾ بدفع العذاب عنهم .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي
(ص : ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٧٨).

(٢) «من» ساقطة من «ت» .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٧)،
و«تفسير البغوي» (٢/٦١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٩).

جنة السنة

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ونزل فيمن حلف أن الله لا يبعث الموتى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(١) قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثه .
﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مَصْدَرَان .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأكثرُ الناسِ في هذه الآية: الكفارُ المكذِبونَ بالبعثِ من القبور .

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ المعنى: يبعثُ اللهُ جميعَ الخلائقِ يومَ القيامةِ ليبيِّنَ لهمُ الحقَّ من الباطلِ المختلفِ فيهما .
﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ في إنكارِ البعثِ .

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ لا يتعاطمنا شيء . قرأ ابن عامرٍ، والكسائيُّ: (فَيَكُونُ) بنصبِ النونِ، والباقونَ:

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣١١/٧ - ٣١٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨ - ١٥٩) .

جنة السنة

بالرفع^(١)، وتقدّم توجيه قراءتهم في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية: ١١٧].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٤١].

[٤١] ونزل في شأن النبي ﷺ والصحابة حيث أُخرجوا من مكة ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي: في طلب رضاه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ من أهل مكة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فأنزلهم المدينة، وأطعمهم الغنيمة، فهذا الثواب في الدنيا، وكان عمر إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءً يقول: «خُذْ، هذا ما وعد الله لك في الدنيا حسنة، وما ادخر لك في الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية»^(٢). قرأ أبو جعفر: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) بفتح الياء بغير همز، والباقون: بالهمز.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو علموا أن المؤمنين مُكْرَمُونَ عند الله، لآمنوا.

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٠).
- (٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٠).

جنة السنة

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على الشدائد من أذى الكفار ومفارقة الوطن.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ مُفَوِّضِينَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣).

[٤٣] ونزل لما قالت قريش: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلاً بعث إلينا ملكاً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ (١) أي: أهل الكتب المتقدمة. قرأ حفص عن عاصم: (نوحى) بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ فاعله (٢)، وقرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوا) بالنقل، والباقون: بالهمز (٣).

﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكاً للدعوة العامة.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨١).

جنة السنة

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] وقوله: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ متعلقٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُهُ: أرسلناهم بالبيِّناتِ .

﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ الكتبِ .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ القرآنَ .

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من الشرائع والأحكامِ .

﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ يتأملون الحقائقَ .

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: عملوا المنكرات السيئات، وهم كفار مكة ﴿ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ كما خسف بقارون .

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ كما فعل بقوم لوطِ .

﴿ أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ ﴾ أي: متقلبين في متاجرهم ومسائرهم .

﴿ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين .

جنة السنة

﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ تنقُصُ؛ أي: يأخذهم بنقص أموالهم وأجالهم حتى يهلكوا جميعاً ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيثُ أمهلَكم . وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (لرؤوف) .

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيثُوا ظِلَلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا ﴾ استفهامٌ إنكارٍ . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تَرَوْا) بالخطاب، وقرأ الباقون: بالغيبِ خبراً عن الذين يمكرون السيئات^(١)، وهو اختيار الأئمة .

﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من جسمٍ قائمٍ له ظلٌّ ﴿ يَنْفَيثُوا ظِلَلَهُ ﴾ ترجعُ من جانبٍ إلى جانبٍ . قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (تَنْفَيثُوا): بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير^(٢) .

﴿ عَنِ الْيَمِينِ ﴾ بمعنى الأيمان، يوضِّحُه أن قابله بجمعٍ فقال: ﴿ وَالشَّمَائِلِ ﴾ جمعُ شمال، فهي في أولِ النهارِ على حالٍ، ثم تنقُصُ ثم تعودُ في آخرِ النهارِ إلى حالٍ أخرى، فاليمينُ أولُ النهارِ، والشمائِلُ آخرُه،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/٦١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨١) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/٦١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٢) .

جنة السنة

ويقال للظلّ بالعشيّ: فيءٌ؛ لأنه فاء؛ أي: رجع من المشرق إلى المغرب، ولا يقال قبل الزوال إلا ظلّ فقط.

﴿سُجِّدًا لِلَّهِ﴾ فمیلانها ودورانها سجودها لله تعالى.

﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾ صاغرون أذلاء.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يستسلم، وأخبر بـ(ما)؛ لأنها أعمُّ من (مَنْ)، وقوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ بيان لما في السموات والأرض، والمراد: كلُّ نفسٍ دَبَّتْ على وجه الأرض، عَقَلَتْ أو لم تعقل.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصَّهم بالذكر، وهم من جملة ما في السموات؛ لرفع شأنهم، أو لخروجهم من جملة الموصوفين بالذَّيْبِ؛ لأن لهم أجنحة كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، وكان الطيران أغلب عليهم من الذَّيْبِ.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظَّمون.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي: غالباً قاهراً لهم؛ كقوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فلا يعجزه شيء، ولا يغلبه أحدٌ، أو يخافون أن يأتيهم العذاب من فوقهم إن عصوه.

جنة السنة

﴿ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(٥٠) به، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتِّفاقِ، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوةِ، وحكمه، وسجودِ الشكرِ آخرَ سورةِ الأعرافِ مستوفى.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴾^(٥١).

[٥١] ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ذَكَرَ الْعَدْدُ مَعَ أَنَّ الْمَعْدُودَ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ مَسَاقَ النَّهْيِ إِيمَاءٌ بِأَنَّ الْإِثْنَيْنَةَ تَنَافِي الْأُلُوهِيَّةَ كَمَا فِي ذِكْرِ الْوَاحِدِ فِي قَوْلِهِ:

﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ إِثْبَاتُ الْوَاحِدَانِيَّةِ دُونَ الْإِلَهِيَّةِ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِلَهِيَّةِ.

﴿ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴾ نَقَلَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكْلِمِ مَبَالِغَةً فِي التَّرْهِيْبِ، وَتَصْرِيحاً بِالْمَقْصُودِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَنَا ذَلِكَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ، فَإِيَايَ فَارْهَبُونَ لَا غَيْرُ. قَرَأَ يَعْقُوبُ: (فَارْهَبُونِي) بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ: بِحَذْفِهَا^(١).

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾^(٥٢).

[٥٢] ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خَلَقًا وَمُلْكًا.

﴿ وَلَهُ الدِّينُ ﴾ الطَّاعَةَ وَالْإِحْلَاصَ.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِيَاطِيِّ (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٣).

جنة السنة

﴿وَاصِبًا﴾ دائماً ﴿أَفَعَيَّرَ اللَّهُ نَنُقُونَ﴾ تخافون؟ استفهام إنكار.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿وَمَا بِكُمْ﴾ أي: وأي شيء اتصل بكم ﴿مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا

يأتي بها أحد سواه.

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ القحط والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ تتضرعون.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ﴾ وهم الكفار.

﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ بعبادة غيره.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ وهذه اللام تسمى: لام العاقبة؛ أي: حاصل أمرهم

هو كفرهم ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف.

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ عيشوا في اللذة، وهو أمر تهديد.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم، أغلظ الوعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَأْنٌ عَلَمًا كُنْتُمْ

تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من

جنة السنة

الأموالِ، وهو ما جعلوه لأصنامهم من حُرُوثهم وأنعامهم، فقالوا: ﴿ هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ثم رجعَ من الخبرِ إلى الخطابِ فقال: ﴿ تَاللَّهِ لَأَسْتَأْذِنَنَّ ﴾ يومَ القيامةِ ﴿ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ في الدنيا.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٥٧).

[٥٧] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ وهم خزاعةٌ وكنانةٌ، قالوا^(١): الملائكةُ بناتُ الله ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ هو مُنَزَّهٌ عن الولدِ والوالدِ.

﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يتمنون، وهم البنون.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ ﴾ أي: صار.

﴿ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ أي: مُتَغَيَّرًا.

﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوءٌ غيظًا، فهو يَكْظُمُهُ؛ أي: يُمَسِّكُهُ ولا يُظْهِرُهُ.

﴿ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿ يَنْوَرِي ﴾ يَسْتَخْفِي ﴿ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ حياءً.

﴿ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ من البناتِ، ثم يتردَّدُ فيما يصنعُ بولده.

(١) في «ت»: «وقالوا».

جنة السنة

﴿ أَيْسِكُّمُ عَلَى هُونٍ ﴾ أي: هوانٍ وذلٍّ ﴿ أَمْ يَدُسُّهُمُ فِي التُّرَابِ ﴾ يَدْفِنُهُ حَيًّا .
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيثُ وَأدوا البناتِ خوفَ الفقرِ والعارِ، وحيثُ
نسبوا إلى الله تعالى ما هو مستقبَحٌ عندهم .

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ يعني: لهؤلاء الذين يصفون الله البناتِ
﴿ مَثَلٌ ﴾ أي: صفةٌ ﴿ السَّوِّءِ ﴾ وهو كفرهم، ووأد البناتِ مع احتياجهم إليهنَّ
طلبَ النكاحِ .
﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ الصفةُ العليا، وهي التوحيدُ والغنى عن جميعِ
خلقه .

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المنفردُ بكمالِ القدرةِ والحكمةِ .

﴿ وَلَوْ يُوَازِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسمى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ وَلَوْ يُوَازِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ﴾ فيعاجلهم بالعقوبةِ على كفرهم
ومعاصيهم .

﴿ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ أي: الأرضِ ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ مَنْ يَدِبُّ أَصْلًا بِشَوْمِ ظَلَمِهِمْ،
فهلاكُ الدوابِّ بأجالها، وهلاكُ الناسِ عقوبةً .

﴿ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يُمهِّلُهُمْ بحلمِهِ ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسمى ﴾ سَمَاءُ لِأَعْمَارِهِمْ .

جنة السنة

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿مُذْ هَلَكُوا أَوْ عَذَّبُوا﴾
 حينئذٍ لا محالة. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (يُواخِذُ) (يُؤَخِّرُ) بفتح
 الواو من غير همز، والباقون: بالهمز^(١)، واختلافهم في الهمزتين من (جَاءَ
 أَجْلُهُمْ) كاختلافهم فيهما في قوله: (وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم) في سورة
 النساء.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ
 الْحُسْنَىٰ لَأَجْرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ ﴿٦٢﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات، والمشاركة،
 والاستخفاف بالرسول، وأراذل الأموال.

﴿وَتَصِفُ﴾ أي: تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ يعني:
 الذكور من الأولاد، وهو قول مجاهد وقتادة، قال ابن عطية: وهو الأسبق
 من معنى الآية، وقالت فرقة: يريد: الجنة في المعاد إن كان محمد صادقاً
 في البعث^(٢)، ويؤيد هذا قوله:

﴿لَأَجْرَمَ﴾ أي: حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ في الآخرة ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ قرأ نافع
 بكسر الراء وتخفيفها؛ من الإفراط في المعاصي، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (٢٨٤/٣).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٤٠٣/٣). وانظر: «تفسير الطبري» (١٢٧/١٤)،
 و«تفسير القرطبي» (١٢٠/١٠)، و«تفسير ابن كثير» (٥٧٥/٢)، و«الدر المنثور»
 للسيوطي (١٤١/٥).

جنة السنة

وتشديدها مع فتح الفاء؛ من التفريط في الطاعات، وقرأ الباقون: بفتح الراء وتخفيفها؛ أي: مُقَدَّمون إلى النار^(١).

﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ تَأْتِيهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾ ﴾

[٦٣] ﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ كما أرسلناك إلى هذه الأمة.

﴿ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ الخبيثة.

﴿ فَهَوَّ وَليُّهُمْ ﴾ ناصرهم ﴿ الْيَوْمَ ﴾ أي: يوم القيامة، والألف واللام فيه للعهد؛ أي: هو وليُّهم في اليوم المشهود، وهو وقت الحاجة، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصر غيره؟! وهذه حكاية حال آتية؛ أي: في حال كونهم مُعَذِّبين في النار.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قرأ أبو عمرو (فهو وليُّهم) بإدغام الواو في الواو^(٢).

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦).

جنة السنة

[٦٤] ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِشُبَّانٍ مُّثُٔ ﴾ للناس .

﴿ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ ﴾ من الدين والأحكام .

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وعطف بالهدى والرحمة على موضع قوله : (لِتُبَيِّنَ) ؛ لأن محلّه النصب ، ومجازُ الكلام : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً للناس ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [٦٥] .

[٦٥] ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني : المطر ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ بالنبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يُسْهِمُهَا .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبّر وإنصاف .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [٦٦] .

[٦٦] ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ لعظة ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر : (تَسْقِيكُمْ) بالتاء مفتوحة ، والباقون : بالنون ، وفتحها نافع ، وابن عامر ، ويعقوب ، وأبو بكر ، وضمّها الباقون (١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٧٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٨) ، و«تفسير البغوي» (٢/٦٢٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٧) ، وقراءة أبي جعفر ضعيفة ، =

جنة السنة

﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي: بطون الأنعام؛ لأنه يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، فمن أنثَ فلمعنى الجمع، ومن ذَكَرَ فلحکم اللفظ.

﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ﴾ هو ما في الكرش من السرجين.

﴿وَدَمٍ﴾ المعروف، وذلك أن الكرش إذا طحنت العلف، صار أسفلهُ فرثاً، وأوسطه ﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيءٌ، وأعلاه دمًا، وبينها حاجزٌ من قدرة الله تعالى، لا يختلط أحدها بالآخر بلونٍ ولا طعمٍ ولا رائحةٍ، مع شدة الاتصال، والكبدُ مسلَّطةٌ عليها، تقسمُها بقدرة الله تعالى، فتجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرث في الكرش، فسبحان القادر على ما يشاء.

﴿سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهلاً لا يغصُّ به شاربُهُ. قرأ ابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة، بخلافِ عنه^(١)، فيه دليلٌ لمن يقولُ بطهارة مَنِيِّ الآدميِّ، وإن جرى مجرى البول؛ لأنه لا يمتنعُ خروجه طاهراً وإن جرى مجرى البول، كما لا يمتنعُ خروجُ اللبن من بين الفرث والدم طاهراً، وهو مذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ، وقال أبو حنيفة ومالكُ: هو نجسٌ إلا أن أبا حنيفة عنده إن كان رطباً غُسلَ، وإن كان يابساً فُرِكَ، وعند مالكٍ يُغسلُ رطباً ويابساً.

= كذا في «تفسير القرطبي» (١٠/١٢٣).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٦٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٨).

جنة السنة

﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ لَنُخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٦٧].

[٦٧] ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ لَنُخِذُونَ مِنْهُ ﴾ فالكناية في (منه) عائدة إلى (ما) محذوفة^(١)؛ أي: ما تتخذون منه ﴿ سَكَرًا ﴾ أي: خمرًا، ثم نُسِخَتْ بقوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ لأنَّ النحل مكيَّة، والمائدة مدنية ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ الرُّطْبَ والتمر والعنب والزبيب.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ بالتأمل في الآيات.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [٦٨].

[٦٨] ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ أَلْهَمَهَا، وهو مُذَكَّرٌ، وربما^(٢) أُنْثَى حَمَلًا على المعنى.

﴿ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ تأوين إليها.

﴿ وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ يَبْنُونَ لِكِ مِنَ الْأَمَاكِنِ. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يعرُشُونَ) بضمِّ الرَّاءِ، والباقون: بكسرها^(٣).

(١) في «ت»: «إلى محذوفه».

(٢) في «ت»: «مذكور بما».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٨)، والقراءة بخلاف عن عاصم.

جنة السنة

﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْأَلِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٦٩].

[٦٩] ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ حُلُوها وحامضها ومُرّها وغير ذلك .

﴿ فَاسْأَلِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أي: الطرق التي يطلب فيها الرعي . قرأ أبو عمرو: (سُبُلَ رَبِّكِ) بإدغام اللام في الراء^(١) ﴿ ذُلُلًا ﴾ منقاداً بالتسخير .
﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا ﴾ أفواهاها ﴿ شَرَابٌ ﴾ هو العسل ينزل من السماء، فينبت في أماكن، فيأتي النحل فيشربه، ثم يأتي الخلية فيلقيه في الشمع المهياً له، لا كما يتوهم بعض الناس أنه من فضلات الغذاء، وأنه يستحيل في المعدة عسلاً .

﴿ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ من أبيض وأسود وأحمر، وغير ذلك .

﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ أي: في العسل، قاله الجمهور، وقيل: في القرآن، قال البغوي: والأول أولى^(٢)، ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان، بل هو خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: العَسَلِ وَالْقُرْآنِ»^(٣) .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيعتبرون .

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٨٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦٢٣).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢)، كتاب: الطب، باب: العسل، والحاكم في «المستدرک» (٧٤٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٤٤/٩)، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - . قال البيهقي: رفعه غير صحيح، والصحيح موقوف؛ رواه وكيع عن سفيان موقوفاً.

جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ^{٧٠} وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ .

[٧٠] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ^{٧٠} صَبِيَانًا أَوْ شُبَّانًا أَوْ كُهُولًا ﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴿ الْهَرَمَ ﴾ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمِهِ^{٧٠} عِلْمَهُ فِي حَالِ شَيْبَتِهِ .

﴿ شَيْئًا ﴾ أي : إذا علم شيئاً اعتراه النسيان ، فيصيرُ بعد العلم ناسياً .
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ قرر تعالى علمه وقدرته التي لا تتبدل ولا تدخلها الحوادث ، ولا تتغير .

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْعَمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

[٧١] ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ بسط على واحد ، وضيق على آخر .

﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ (١)
المعنى : لا يعتقد الموالي أنهم يرُدُّون شيئاً من الرزق على عبيدهم ، وإنما أنا الراذ عليهم فهم في الرزق سواء .

﴿ أَفَبِعِنْعَمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ بالإشراك به . قرأ أبو بكر عن عاصم ، ورويس عن يعقوب : (تَجْحَدُونَ) بالخطاب ؛ لقوله : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ ﴾

(١) من قوله : «على التأنيث والباقون . . .» (ص ٢٨) إلى هنا سقط من «ش» ، بمقدار لوحتين تقريباً من النسخ الخطية .

جنة السنة

عَلَى بَعْضٍ ﴿ وَقُرْأَ الْبَاقُونَ : بِالْغَيْبِ ؛ لِقَوْلِهِ ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ (١) .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [٧٢] .

[٧٢] ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم، والمرادُ حواءُ؛ لأنها خلقت من قصيراءِ آدم ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ نساءً .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ أعواناً وخدماءً، جمعُ حافِدٍ، وهو المعينُ المسرعُ في الطاعةِ، غريباً كان أو قريباً. قرأ أبو عمرو، ورويسٌ: (جَعَلَ لَكُمْ) بإدغامِ اللامِ في اللامِ كُلِّ ما في هذه السورة (٢) .

﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ الحلالاتِ، ثم وبَّخهم بقوله: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ ﴾ أي: الأصنام، وما يُفضي إلى الشرك ﴿ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ القرآن .
﴿ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (نِعْمَتِ) رُسِمَتْ بالتاءِ، وكذلك في الموضوعين بعدها، وهما: (نِعْمَتِ اللَّهِ) وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، والكسائيُّ، ويعقوبُ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٩) .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٢)، (٢/٣٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨٩) .

جنة السنة

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ﴾ يعني : المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني : النبات ﴿شَيْئًا﴾ بدلٌ من ﴿رِزْقًا﴾ أي : لا يملكون من الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك لعجزهم .

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ لا تُسَوِّوه بخلقه .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا شبهة .

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ثم ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر، فقال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ بدلٌ من (مثلاً) ﴿مَّمْلُوكًا﴾ ليخرج منه الحر؛ لأن الخلق عبيدُ الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ليخرج عنه المكاتب .

﴿وَمَن رَزَقْنَاهُ﴾ أي : حرّاً رزقناه ﴿مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ يعني : جماعة الأحرار والعبيد، وهذا مثلٌ

جنة السنة

ضربه الله تعالى للكافر، رزقه الله مالاً، فلم يقدم فيه خيراً، والمؤمن يعمل في ماله بطاعة الله تعالى.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الشناء له، لا يستحقه غيره.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون نعمه إلى غيره.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦).

[٧٦] ثم ضرب مثلاً للأصنام فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ﴾ أخرس.

﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ﴾ عيال وثقل ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ من يلي أمره.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ﴾ يُرْسِلُهُ ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لأنه لا يفهم، ولا يفهم عنه، هذا مثل الأصنام لا تسمع ولا تنطق، وهي كل على عابديها، تحتاج إلى حملها ووضعها وخدمتها.

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وهو الله سبحانه قادرٌ متكلمٌ يأمر بالتوحيد.

﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: يدلُّكم على صراطٍ مستقيم.

جنة السنة

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ولما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الساعة، نزل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١) أي: ما غاب عن العباد.

﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ ﴾ أي: أمرٌ مجيئها.

﴿ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾ وهو النظرُ بسرعة.

﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ لأنها كائنة لا محالة، وكل ما هو آتٍ قريب ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ .

[٧٨] ثم دلَّ على قدرته فقال: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ قرأ حمزة: (إُمَّهَاتِكُمْ) بكسرِ الهمزة والميم في الوصل، والكسائي يَكسِرُ الهمزة في الوصل ويفتح الميم، والباقون: يَضْمُونَ الهمزة ويفتحون الميم في الحالين، والابتداء للجميع بضم الهمزة وفتح الميم.

﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ جُهَالًا ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾

المعنى: أوجدكم ضللاً ورزقكم الفهم والعلم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نِعَمَ اللَّهِ.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦٢٨).

جنة السنة

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ قأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، ويعقوب، وخلف: (تروا)
بالخطابِ على أنه خطابُ العامة، والباقون: بالغيب؛ لقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (١).

﴿ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ مُذَلَّلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ .

﴿ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ والجوُّ: مسافةٌ ما بينَ السماءِ والأرضِ، وقيل:
المتباعدُ من الأرضِ .

﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ في الهواءِ .

﴿ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لأنهم هم المتفعولون بها .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمْتَعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ هو ما يُسْكَنُ إليه، ويُنْقَطَعُ

فيه .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا ﴾ قِبَابًا وَأَخْبِيَّةً مُتَّخِذَةً مِنْ أَدَمٍ . وتقدَّم

اختلافُ القراء في كسرِ الباء من (بُيُوتًا) في سورة البقرة .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٠).

جنة السنة

﴿تَسْتَخْفُونَهَا﴾ أي: يخفّ عليكم حملها ﴿يَوْمَ طَعَنَكُمْ﴾ رَحِيلِكُمْ. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: بإسكانِ العينِ، والباقون: بفتحها، وهو أَجْزَلُ اللغتين^(١).

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في بلدكم لا تثقل عليكم في الحاليتين.

﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ أي: الضأنِ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ الإبلِ ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ المَعزِ. قرأ أبو عمرو، والكسائيُّ من روايةِ الدوريِّ (وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا) بالإمالة، واختلفَ عن ابنِ ذكوان، ورُوي عن ورشٍ، وحمزةَ بالإمالةِ بينَ بينَ، وقرأهما الباقون: بالفتح^(٢) ﴿أَثْنًا﴾.

متاع البيتِ ﴿وَمَتَعًا﴾ أي: شيئاً يُنتَفَعُ به ﴿إِلَى جِنِّ﴾ إلى الموتِ.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ وَالْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسَاكِمِكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ جمعُ ظِلَّةٍ وهو ما يُسْتَظَلُّ به.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وهو ما يُسْتَكَنُّ به^(٣) من كهوفِ

الجبالِ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/٦٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٧-٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٢).

(٣) «به» ساقطة من «ت».

جنة السنة

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَيبًا ﴾ قُمْصًا مِنَ الْكِتَانِ وَالْقَطَنِ وَالصَّوْفِ .
﴿ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ ولم يذكر البرد؛ لدلالته عليه؛ لأنه نقيضه .
﴿ وَسَرَيبًا تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ ﴾ أي: الدروع والجواشن تدفعُ عنكم ألمَ
الحربِ والطعنِ والضربِ .
﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ تُخْلِصُونَ لِلَّهِ .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ .

[٨٢] ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أَعْرَضُوا، فلا يلحقك في ذلك عَتَبٌ .

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ وقد بَلَّغْتَ .

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ
الْكَافِرُونَ ﴾ .

[٨٣] ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ التي عَدَّدَهَا عليهم .

﴿ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ بعبادة غير الله، وقيل: يعرفون نعمة الله على
محمد ﷺ بالنبوة، ثم يُنكرونها بتكذيبه .

﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ أي: جميعهم، والكفر: الجحود .

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ .

[٨٤] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أي: نبياً شهد لهم وعليهم .

جنة السنة

﴿ ثُمَّ لَا يُؤَدُّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: في الاعتذار.

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ يُطَلَّبُ مِنْهُمْ الْعَتْبَى.

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (٨٥).

[٨٥] ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: كفروا ﴿ الْعَذَابَ ﴾ يعني: جهنم.

﴿ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ ﴾ العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يُمْهَلُونَ.

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٨٦).

[٨٦] ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ شُرَكَاءَهُمْ ﴾ أَوْثَانَهُم الَّتِي دَعَوْهَا شُرَكَاءَ. وَتَقَدَّمَ اخْتِلَافُ الْقِرَاءِ فِي (رَأَى الَّذِينَ) فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

﴿ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ﴾ أَرْبَابًا، وَنَعْبُدُهُمْ، كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ تَذْنِيبَ الْمَعْبُودِينَ، وَإِدْخَالَهِمْ فِي الْمَعْصِيَةِ.

﴿ فَأَلْقُوا ﴾ يعني: الأوثان.

﴿ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ ﴾ أي: أجابوهم بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ مَا كُنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِنَا فَكَأَنَّهُمْ كَذَّبُوهُمْ فِي التَّذْنِيبِ لَهُمْ.

جنة السنة

﴿ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يُومِدُ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ وَالْقَوَا ﴾ يعني: المشركين.

﴿ إِلَى اللَّهِ يُومِدُ السَّلَامُ ﴾ استسلموا، وانقادوا لحكمه بعد استكبارهم في

الدنيا.

﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ ﴾ ضاع وبطل.

﴿ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من أن الآلهة تشفع لهم.

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بمنع الناس عن الإسلام.

﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ المعد لهم من النار، روي أن الله يسلط

عليهم حيات لها أنياب كالنخل، وعقارب كالبيغال الدُّهم، ونحو ذلك.

﴿ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ في الدنيا بالكفر.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٩].

[٨٩] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: نبياً ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾

فإن كل نبي بعث إلى الأمم منها.

﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ﴾ الذين بعثت إليهم.

جنة السنة

﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أي: القرآن ﴿ تَبَيَّنَّا ﴾ تَفْعَالًا من البيان.
 ﴿ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وما كَانَ فِيهِ مُجْمَلًا، فَأَنْتَ تَفْصِّلُهُ لَهُمْ.
 ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لِلْجَمِيعِ، وَإِنَّمَا حِرْمَانُ الْمَحْرُومِ مِنْ تَفْرِيطِهِ.

﴿ وَبَشِّرِ الْمُسْلِمِينَ ﴾ بِالْجَنَّةِ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾.

[٩٠] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِنصَافِ ﴿ وَالْإِحْسَانِ ﴾ هُوَ
 أَدَاءُ الْفَرَائِضِ ﴿ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ صَلَاةِ الرَّحِمِ.

﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾ الزَّنا وَالْمَعَاصِي ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ الشُّرْكِ، وَمَا لَا
 يُعْرَفُ فِي شَرِيعَةٍ وَلَا سُنَّةٍ ﴿ وَالْبَغْيِ ﴾ الظُّلْمِ وَالتَّجْبِيرِ عَلَى النَّاسِ.
 ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تَتَعَطَّوْنَ، رُوِيَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ
 الْآيَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَسْفَلَ
 لِمُعْدَقٍ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لِمُثْمِرٍ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ^(١).

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا
 وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٩١﴾.

(١) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٦٣٢/٢).

جنة السنة

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ وعهدُ الله: لفظٌ عامٌّ لجميع ما يُعقَدُ باللسان، ويلتزمه الإنسان من نفع، أو صلة، أو موثقة في أمرٍ موافقٍ للديانة.

﴿وَلَا نَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها بذكر الله، فتحنثوا فيها.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: شاهداً ورقياً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من نقض العهد والوفاء.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُنزِلَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

[٩٢] ثم ضرب لنقض العهد مثلاً؛ تشبيهاً له، وتحذيراً منه، فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا﴾ التي غزلته من صوفٍ وغيره.

﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام وبرم، فجعلته ﴿أَنْكَاثًا﴾ حال، جمع نكث، وهو ما يُنكثُ فتله؛ أي: يُنقض، والمراد به: تشبيه الناقض بمن هذا شأنه، وروي أن امرأة من قريش يقال لها: ربيعة بنت سعد بن تميم كانت حمقاء، وكانت هي وجواربها يَغزَلْنَ من أول النهار إلى الظهر، ثم ينقضن ما غزلن^(١).

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: دغلاً وخيانة بينكم بسبب.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦٣٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/٥٨٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/١٦٢).

جنة السنة

﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً ﴾ جماعة ﴿ هِيَ أَرْبَنَ ﴾ أي: أكثر عدداً.

﴿ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ من الجماعة التي حالفتموها، وهذا نهى لمن يحالف قوماً، فإن وجد أيسرَ منهم وأكثرَ ذهبَ إليهم، وتركَ مَنْ^(١) حالفَ.

﴿ إِنَّمَا يَبُوءُكُمْ اللَّهُ بِهِ ﴾ أي: يختبركم.

﴿ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ في الدنيا؛ من نقضِ العهدِ وغيرها.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[٩٣] ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ على ملّة الإسلام ﴿ وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ بخذلانه عدلاً ﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ بتوفيقه فضلاً. ﴿ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وهذا سؤال توبيخ، ليس ثمَّ سؤال تفهّم.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

[٩٤] ثم كرر النهي تأكيداً وإنذاراً فقال: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ فتغرّون بها الناس فيسكنون إلى إيمانكم، ويأمنون، ثم تنقضونها ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ ﴾ أي: قدمكم.

(١) في «ت»: «ما».

جنة السنة

﴿بَعْدُ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها على الإيمان، يقال لكل مُبْتَلَى بعد عافية: زَلَّتْ قدمه .

﴿وَيَذُوقُوا أَلْسُوَةَ﴾ العقوبة في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بصدودكم عن الوفاء إذا نقضتم، استنَّ بكم غيركم .
﴿وَلَكُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥) .

[٩٥] ونزل فيمن نقض العهد لينال شيئاً من حطام الدنيا: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا﴾ عَرَضًا ﴿قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب .
﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المال ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فضل ما بين العوضين .

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) .

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من حطام الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ يفنى (١) .
﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم . روي عن قنبل، ويعقوب: الوقفُ بالياء على (بَاقِي) و(مُفْتَرِي) (٢) .

(١) «يفنى» ساقطة من «ش» .

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٥) .

جنة السنة

﴿ وَلَنْجَزِيَنَّ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وعاصم: (وَلَنْجَزِيَنَّ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلف عن ابن ذكوان^(١).

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على الوفاء في السراء والضراء.

﴿ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الطاعات دون سواها، ويغفر سيئاتهم بفضلها، قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضْرَّ بِأَخْرَجَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَخْرَجَتَهُ، أَضْرَّ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَيَّ مَا يَفْنَى»^(٢).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧).

[٩٧] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ ﴾ في الدنيا حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴿ هي الرزق الحلال.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا وعد بنعيم الآخرة. واتفق القراء على النون في (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) لأجل (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ) قبله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٤١٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرک» (٧٨٥٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٣٠٨)، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - .

جنة السنة

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿٩٨﴾ .

[٩٨] ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ﴾ أي: إذا أردت أن تقرأ ﴿ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ ﴾ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ تقدّم الكلام في أول التفسير على الاستعاذة وتفسيرها ومذاهب الأئمة والقراء فيها مستوفى في فصل الاستعاذة .

﴿ إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٩٩﴾ .

[٩٩] ﴿ إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَنٌ ﴾ تسلط .
﴿ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فإنهم لا يطيعون أوامره ، ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندورٍ وغفلة .

﴿ إِنَّمَا سُلْطَنُكُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

[١٠٠] ﴿ إِنَّمَا سُلْطَنُكُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ ﴾ يطيعونه .
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ ﴾ أي: بالله ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ وقيل: الكناية راجعة على الشيطان؛ أي: والذين هم بسببه مشركون بالله .

﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ الْقُلُوبَ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ .

[١٠١] ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ أي: نسخنا آية بآية مصلحة

للعباد .

جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ مما هو أصلح لخلقهِ فيما يُغَيَّرُ وَيُبَدَّلُ من أحكامِهِ . قرأ ابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرو : (يُنَزَّلُ) بالتخفيف ، والباقون : بفتح النون والتشديد^(١) .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ﴿ مُفْتَرٍ ﴾ مُخْتَلَقٌ ذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ . وَتَقَدَّمَ مَا رُوِيَ عَنْ قَنْبِلٍ وَيَعْقُوبَ فِي (مُفْتَرٍ) عِنْدَ (بَاقٍ) .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ حكمة الأحكام وبيان الناسخ من المنسوخ ، وَعَبَّرَ بِالْأَكْثَرِ مِرَاعَاةً لِمَا كَانَ عِنْدَ قَلِيلٍ مِنْهُمْ مِنْ تَوْقُفٍ وَقَلَّةٍ مَبَالِغَةٍ فِي التَّكْذِيبِ وَالظَّنِّ .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(١٠٢) .

[١٠٢] ﴿ قُلْ ﴾ رَدًّا عَلَيْهِمْ : ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ أي القرآن ﴿ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ هو جبريل عليه السلام . قرأ ابنُ كثيرٍ : (الْقُدُسِ) بِإِسْكَانِ الدَّالِ ، وَالْبَاقُونَ : بِضَمِّهَا^(٢) .

﴿ مَنِ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ بِالصِّدْقِ ﴿ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بِالنَّاسِخِ ، وَيَعْلَمُونَ صِدْقَ ذَلِكَ .

﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ الْمُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٥) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ٢٨٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٦) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٧٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٦) .

جنة السنة

﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣).

[١٠٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فنزل تكذيباً لهم وتهديداً: ﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (١) آدمي، ثم أبطل قولهم بقوله:

﴿لِّسَانٌ﴾ أي: لغة ﴿الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ألسنتهم ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ هو الذي لا يفصح، وإن كان عربياً، والأعجمي: المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً، والأعرابي: البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن فصيحاً. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء من لحد، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء من ألحد (٢).

﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ فصيح، المعنى: لسان الذي يُشيرون إليه أنه يعلم محمداً ﷺ فيه عجمة، والقرآن ذو بيان وفصاحة، فكيف يصدر عن أعجمي؟!

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/١٧٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٦).

جنة السنة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [١٠٤]

[١٠٤] ثم تهددهم بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ لا يصدقون أنها من عند الله .

﴿ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ لا يرشدهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة .

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [١٠٥]

[١٠٥] ثم أخبر تعالى أن الكفار هم المفترون فقال: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى قريش ﴿ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ على الحقيقة، لأن تكذيب الآيات والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب .

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٠٦]

[١٠٦] رُوِيَ أَنَّ عَمَارَ بْنَ يَاسِرٍ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ مُكْرَهًا، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: قَدْ كَفَرَ عَمَارٌ، فَقَالَ ﷺ: «كَلَّا، إِنَّ عَمَارًا قَدْ مَلِيَءَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ»، فَأَتَى عَمَارٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: نَلْتُ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنًّا،

جنة السنة

فجعل النبي ﷺ يمسح عيني عمارٍ ويقول: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ»،
فنزل فيه وفيمن جرى مجراه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ
أُكْرِهَ﴾^(١) على كلمة الكفر استثناءً متصلٌ؛ لأنَّ الكفر يطلق على القول
والاعتقاد.

﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لم تتغير عقيدته، لا يدخل في هذا الحكم.

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي: طاب به نفساً.

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إذ لا أعظم من جرمه.

واتفق الأئمة على أنَّ من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول
بلسانه، وإذا قال غير معتقد بقلبه، لا يكفر، وإن أبي حتى يُقتل كان أفضل.

واختلفوا في طلاق المكره، فأجازه أبو حنيفة، وأبطله الثلاثة، وأما
المكره بحق، فهو مكلف بالاتفاق.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١٠٧).

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الضمير لمن شرح بالكفر صدراً.

﴿اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ بسبب أنهم آثروها عليها.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يعصمهم عن الزنح.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحي (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٣٩)،
و«الدر المثور» للسيوطي (٥/١٧٢).

جنة السنة

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [١٠٨].

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾
فصرفهم عن طريق الهدى، وسدَّ طرق هذه الحواسِّ حتى لا ينتفع بها في
اعتبارٍ ولا تأملٍ.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [١٠٩].

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ﴾ تقدَّم تفسيره ومذهبه حمزة فيه.

﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المغبونون.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [١١٠].

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قرأ ابن
عامرٍ: (فُتِنُوا) بفتح الفاء والتاء، يعني: مَنْ أسلم من المشركين الذين فُتِنُوا
المسلمين. وقرأ الباقون: بضمَّ الفاء وكسرِ التاء^(١)، يعني: الذين فُتِنُوا:
عُذِّبُوا وَمُنِعُوا مِنَ الْإِسْلَامِ، فَتَنَهُمُ الْمَشْرُكُونَ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)،
و«تفسير البغوي» (٢/٦٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٧).

جنة السنة

﴿ ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾ على الهجرة والجهاد.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي: الفتنة والغفلة.

﴿ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قيل: نزلت في عبد الله بن أبي سرح حين ارتد، ثم أسلم وحسن إسلامه.

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١١١].

[١١١] ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ المعنى: لغفور رحيم يوم تأتي ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي: ذو نفس ﴿ تُجَادِلُ ﴾ تُحَاجُّ.

﴿ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ فالنفس الأولى هي المعروفة، والثانية بمعنى الذات؛ كما تقول: نفس الشيء وعينه؛ أي: ذاته، المعنى: يوم يأتي كل إنسان يُجَادِلُ عن ذاته، لا فكرة له بغيره.

﴿ وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ جزاء.

﴿ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لا ينقصون أجورهم.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [١١٢].

[١١٢] ثم ضرب مثلاً بمن أنعم عليه فلم يشكر، وأبطرته النعمة فكفر، فقال: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ هي مكة ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ لا يُهاج أهلها،

جنة السنة

ولا يُغَارُ عليها ﴿مُطَمِّئَةً﴾ لا ينتقلون منها إلى غيرها؛ لحسنها.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يُحْمَلُ إليها من البرِّ والبحرِ.

﴿فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ جمعُ نعمةٍ، رُوي أن أهلها كانوا يستنجون بالخبزِ.

﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ﴾ أي: أهلها ﴿لِإِسِّ الْجُوعِ﴾ أي: ابتلاهم به حتى أكلوا الجِيفَ والكلابَ الميتةَ، حتى كانَ أحدهم ينظرُ إلى السماءِ فيرى شبهَ الدخانِ من الجوعِ.

﴿وَالْخَوْفِ﴾ بِشَنِّ الْغَارَاتِ عَلَيْهِمْ مِنْ بُعُوثِ النَّبِيِّ ﷺ وسراياه التي كانت تُطِيفُ بهم.

﴿يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ولما كانَ الخوفُ يَتَغَشَّاهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ تَغَشَّى الثَّوبِ لِلْأَبْسِ، استعارَ اللباسَ له، فكأنَّ اللباسَ قد صارَ جوعاً وخوفاً؛ كأنه قال: فأذَقَهُم اللهُ^(١) ما يتغشاهم من الجوعِ والخوفِ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١١٣].

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني: أهل مكة.

﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ في حالِ ظلمِهم.

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١١٤)

[١١٤] ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾
أمرهم بأكل ما أحلَّ اللهُ لهم، وشكر ما أنعمَ عليهم بعدما زجرهم على الكفر، وهَدَدَهم عليه بما ذكرَ من التمثيلِ والعذابِ الذي حلَّ بهم؛ صدًّا لهم عن صنيعِ الجاهليةِ.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تُطِيعُونَ .

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٥)

[١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
تقدَّم تفسيرُ نظيرها، ومذاهبُ القراءِ فيها، واختلافُ الأئمةِ في حكمها في سورةِ البقرة.

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (١١٦)

[١١٦] ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ﴾ أي: تَنَعْتُ ﴿ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ إشارة إلى ما تقدَّم من السائبةِ والوصيلةِ والحامِ، المعنى: لا تُحَلُّوا حراماً، ولا تحرِّموا حلالاً؛ لتفتروا على الله الكذبَ فتقولوا: إن الله أمرنا بها.

جنة السنة

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا يبلغون الأمل .

﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١٧) .

[١١٧] ﴿مَتَّعٌ﴾ أي : بقاؤهم فيها متاعٌ .

﴿قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨) .

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو ما ذكر في سورة

الأنعام ، وهو كلُّ ذي ظفرٍ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالتحريم .

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالمعاصي .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩) .

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ أي : بسببها .

﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ والإصلاحُ : الاستقامةُ على التوبة .

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي : بعد التوبة .

﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السوءِ ﴿رَحِيمٌ﴾ يُثِيبُ على الإنابة .

جنة السنة

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠).

[١٢٠] ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (إبراهيم) بالألفِ في هذا الحرف والآتي (١).

﴿ كَانَ ﴾ وَحْدَهُ ﴿ أُمَّةً ﴾ من الأمم؛ لكمالِه في جميعِ صفاتِ الخيرِ ﴿ قَانِتًا ﴾ مُطِيعًا.

﴿ لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الباطلِ.

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ كما زعموا؛ فإن قريشاً كانوا يزعمون أنهم (٢) على ملته.

﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٢١).

[١٢١] ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ رُوي أنه كان لا يأكلُ إلا مع ضيفٍ، فجاءه فوجٌ من الملائكةِ في زيِّ البشر، فقدّم لهم الطعامَ، فخيّلوا إليه أن بهم جداماً، فقال: الآن وجبتُ مؤاكلةَكم شكراً لله على أن عافاني وابتلاكم.

﴿ أَجْتَبَنَهُ ﴾ اختاره للنبوةِ ﴿ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ دينِ الإسلامِ.

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٢٢).

[١٢٢] ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هي التنويهُ بذكره حتى ليسَ من أهلِ

(١) كما تقدم عنه. وانظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٢)، و«النشر في القراءات

العشر» لابن الجزري (٢/٢٢١-٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩٩).

(٢) «أنهم» ساقطة من «ت».

جنة السنة

دينٍ إلا وهم يتولَّونه ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أهل الجنة .

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٣) .

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد .

﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بل كان قدوةً للموحِّدين .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٢٤) .

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ تقدَّم تفسيره، وحكم طلب القاضي لليهودي في يوم السبت في سورة البقرة، ونُبِّه عليه في الأعراف؛ أي: جُعِلَ تعظيمه والتخلِّي فيه للعبادة .

﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: على نبيِّهم، وهم اليهود، أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فأبوا وقالوا: نريد يوم السبت؛ لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض، فالزمهم الله السبت، وشدَّد الأمر عليهم، وقيل: معناه: إنما جُعِلَ وبأل السبت، وهو المسخ، على المختلفين فيه بتحليل الصيد تارةً، وتحريمه أخرى، وتقدَّم ذكر القصة في سورة البقرة .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمجازة على الاختلاف بما يستحقُّه كلُّ فريق .

جنة السنة

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) .

[١٢٥] ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: الإسلام. قرأ أبو عمرو: (سَبِيلِ رَبِّكَ) بإدغام اللام في الراء^(١).

﴿ بِالْحُكْمَةِ ﴾ بالمقالة المحكمية ﴿ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ التلطف من غير تعنيف، قال ﷺ: «أَمَرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»^(٢).

﴿ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ بالرفق واللين ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ وهو المجازي لهم، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (١٢٦)

[١٢٦] ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ ﴾ لما مثل المشركون بحمزة رضي الله عنه يوم أُحُد، قال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لئن أَظْفَرَنِي اللهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ»، فنزلت، وهو إشارة إلى وجوب التقاصص على السَّوَاءِ.

﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ ﴾ على تركِ القصاصِ ﴿ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ معناه:

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٠٠).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٦١١)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وسنده ضعيف جداً، كما نقل العجلوني في «كشف الخفاء» (١/٢٢٦) عن السخاوي والسيوطي وغيرهما.

جنة السنة

العفو خيرٌ من الانتقام، فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَصْبِرُ»، وَأَمْسَكَ عما أَرَادَ، وَكَفَّرَ عن يمينه^(١).

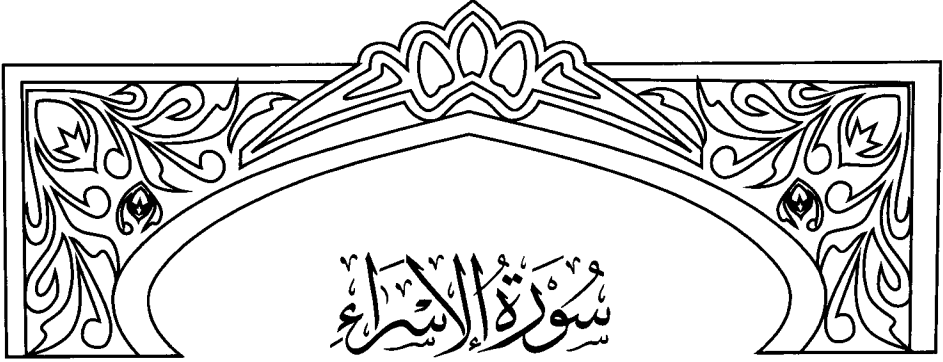
﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^(١٢٧).

[١٢٧] ثم صرَّح بالأمر بالصبر، فقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ أي: بمعونته وتثبيتته ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إن لم يؤمنوا.
﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ قرأ ابن كثير: (ضيق) بكسر الضاد؛ أي: شدة، وقرأ الباقون: بالفتح؛ أي: غم^(٢).

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(١٢٨).

[١٢٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ المعاصي.
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ في العمل، والله أعلم.

- (١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٣/٣)، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي (١٨٣/٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٩٣٧)، و«المستدرک» للحاكم (٤٨٩٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦١) وما بعدها، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢٥٠/٢).
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٠١-٣٠٠).



مكية إلا قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى آخر ثماني آياتٍ، قدرُ آياتِها مئةٌ وإحدى عشرة آيةً، وحروفُها ستة آلاف وأربع مئة وستون حرفاً، وكلمُها ألفٌ وخمسة مئة وثلاث وثلاثون كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

[١] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (سُبْحَانَ) تنزيهُ الله من كلِّ سوءٍ، ووصفه بالبراءة من كلِّ نقصٍ، وتكون (سُبْحَانَ) بمعنى التعجبِ، (أَسْرَى)؛ أي: سَيَّرَهُ، و(العبدُ) هو محمدٌ ﷺ، لم يختلف في ذلك أحدٌ من الأمة، و(ليلاً) نصبٌ على الظرفِ.

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هو المسجدُ المحيطُ بالكعبةِ، وقيل: من بيتِ أمِّ هانئٍ من الحرمِ، قال ابنُ عباسٍ: «الحرمُ كلُّهُ مسجدٌ» (١).
﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ هو مسجدُ بيتِ المقدسِ، وبينهما مسيرةُ شهرٍ،

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/١٥)، و«تفسير ابن كثير» (٢/٣٤٧).

جنة السنة

وسُمِّيَ الأَقْصَى، لبعْدِ المسافةِ بينَهُ وبينَ المسجدِ الحرامِ، وقيل: كانَ هذا أبعدَ مسجدٍ عن أهلِ^(١) مكةَ في الأرضِ يُعْظَمُ بالزيارةِ، وقيل: لبعْدِهِ عن الأقدارِ والخبائثِ، ورُوي أنه سُمِّيَ الأَقْصَى؛ لأنه وسطُ الدنيا لا يزيدُ شيئاً ولا ينقصُ.

﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ والبركةُ حوله من جهتين: إحداهما: بالنبوةِ والشرائعِ والرسولِ الذين كانوا في ذلك القطرِ في نواحيه وبواديه، والأخرى: النعمُ من الأشجارِ والمياهِ والأرضِ المفيدةِ التي خصَّ اللهُ الشامَ بها، وعنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الْفُرَاتِ»^(٢)، وخصَّ فلسطينَ بالتقدیسِ، ولو لم يكنْ له من الفضيلةِ غيرُ هذه الآيةِ، لكانتْ كافيةً فيه؛ لأنه إذا بورك حوله، فالبركةُ فيه مضاعفةٌ.

﴿لِنُرِيَهُ﴾ أي: محمداً ﷺ بعينه ﴿مِنْ عَابِنَاتٍ﴾ في السمواتِ والملائكةِ والجنةِ والنارِ، ولقيا الأنبياءِ، وغيرِ ذلك مما رآه تلكَ الليلةَ من العجائبِ، وذهابه ورجوعه في جزءٍ من ليلةٍ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما تقولون ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالكم، وعيدٌ من الله للكفارِ على تكذيبهم محمداً ﷺ في أمرِ الإسراءِ.

وأما قصةُ الإسراءِ، فملخصُها: أن الله سبحانه وتعالى بعثَ رسوله ﷺ، وأنزلَ عليه الوحيَ، وأمره بإظهارِ دينه، وأيدهُ بالمعجزاتِ الظاهرةِ، والآياتِ الباهرةِ، أسرى به ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأَقْصَى، وهو بيتُ المقدسِ من إيليا، وقد فشا الإسلامُ في قريشٍ وفي

(١) في «ش»: «لأهل».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/١٤١)، (١/١٤٩ - ١٥٠).

جنة السنة

القبائل كلها، وكان الإسراء ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.

وقال ابن الجوزي: وقد قيل: كان في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب.

وقيل: في شهر رمضان، والنبى ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً.

واختلف في الإسراء برسول الله ﷺ، فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ يقظة؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] تدل على ذلك، ولو كانت رؤيا نوم، ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن كان أسلم، وقال الكفار: يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ورجع إلى مكة في ليلة واحدة، والعيبر تطرد إليه شهراً مدبرة، وشهراً مقبلة، ولو كانت رؤيا نوم، لم يستبعد ذلك منه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هي رؤيا عين رآها النبي ﷺ لا رؤيا منام»^(١)، قال الله تعالى: ﴿مَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَى﴾ [النجم: ١٧] أضاف الأمر للبصر، وقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]؛ أي: لم يؤهم القلب العين غير الحقيقة، بل صدق رؤيتها.

واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج.

جنة السنة

عائشة رضي الله عنها، ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رأه بعينه»^(١)، ومثله عن أبي ذرٍّ، وكعبٍ، والحسنِ، وكان يحلفُ على ذلك، وحكيَ مثله عن ابن مسعودٍ، وأبي هريرةَ، والإمامِ أحمدَ بن حنبلٍ رضي الله عنه، وحكى النقاشُ عن الإمامِ أحمدَ أنه قال: «أنا أقولُ بحديثِ ابنِ عباسٍ: «بعينه رأه» رآه، حتى انقطعَ نفسُ الإمامِ أحمدَ»^(٢)، وعن ابنِ عباسٍ: أنه قال: «إنَّ اللهَ اختصَّ موسى بالكلامِ، وإبراهيمَ بالخَلَّةِ، ومحمداً بالرؤيَّة»^(٣)، وحجتهُ قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ ﴿فَتَمُذَّرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿النجم: ١١-١٣﴾.

واختلفوا في أن نبينا ﷺ هل كَلَّمَ رَبَّهُ عز وجل ليلة الإسراء؟ فذكرَ عن جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ أنه قال: «أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِلا واسِطَةٍ»، وإلى هذا ذهبَ بعضُ المتكلمين أن محمداً كَلَّمَ رَبَّهُ ليلةَ الإسراءِ، وحكوه عن ابنِ عباسٍ، وابنِ مسعودٍ.

واختلفَ في المكانِ الذي أُسري به منه، فروي عنه ﷺ: أنه قال: «بَيْنَا أَنَا فِي الْحَظِيمِ وَرَبِّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعٌ، ومنهم من قال: بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»^(٤)، وفي رواية أنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ» والذي رجَّحه الطبريُّ أنه من المسجدِ المحيطِ بالكعبةِ، قال:

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٣٧٠).

(٢) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٥/١٤٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩١٤)، والحاكم في «المستدرک»

(٤٠٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/١٠٤).

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج، عن مالك بن

صعصعة - رضي الله عنه -.

جنة السنة

وهذا الذي يُعرف إذا ذَكَرَ هذا الاسم^(١)، وكانت ليلة الاثنين «إِذْ هَبَطَ عَلَيَّ
الْأَمِينُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَذَكَرَ القِصَّةَ.

وكان من حديث المعراج الشريف ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَتَيْتُ
بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ
مُنْتَهَى طَرَفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي
يُرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ»، وفي رواية:
«فَلَمَّا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، إِذَا أَنَا بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ قَدْ حُسِرُوا إِلَيَّ مِنْ
قُبُورِهِمْ، وَمَثَلُوا لِي^(٢)، وَقَدْ قَعَدُوا صُفُوفًا صُفُوفًا يَنْتَظِرُونِي، فَسَلَّمُوا عَلَيَّ،
فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: إِخْوَانُكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، زَعَمَتْ
قُرَيْشٌ أَنَّ لِلَّهِ شَرِيكًا، وَزَعَمَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، اسْأَلْ هَؤُلَاءِ
النَّبِيِّينَ هَلْ كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَرِيكٌ؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فَلَمْ يَشْكُكَ ﷺ،
وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ، وَكَانَ أَثْبَتَ يَقِينًا مِنْ ذَلِكَ».

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر في «كتاب التنزيل»
له: أن هذه الآية أنزلت على النبي ﷺ ببيت المقدس ليلة أُسْرِيَ به، وقد
عدّها غيره من العلماء في الشامي، والذي قاله أبو القاسم أخص مما
ذكره.

وقال جماعة من المفسرين: فلما أنزلت، وسمعتها الأنبياء عليهم
السَّلَامُ، أقرؤا لله عز وجل.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/١٥).

(٢) في «ت»: «إِلَيَّ».

حنة السنة

قال ﷺ: «ثُمَّ جَمَعَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ رَكَعَتَيْنِ، قَالَ ﷺ: ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا بِأَدَمَ ﷺ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا بِابْنِي الْخَالََةَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا بِي، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ وَذَكَرَ مِثْلَهَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَافِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا، تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ حَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ

جَنَّةُ السَّنَةِ

يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَنِّي أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ^(١) وَفِي رِوَايَةٍ: يَا مُوسَى! قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا أَحْتَلِفُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ^(٢)، قَالَ ﷺ: ثُمَّ حَمَلَنِي حَتَّى أَنْزَلَنِي عَلَى جَبَلٍ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ، فَإِذَا أَنَا بِالْبُرَاقِ وَاقِفٌ عَلَى حَالِهِ فِي مَوْضِعِهِ، فَسَمَّيْتُ اللَّهَ، وَاسْتَوَيْتُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ أَشْرَفْتُ عَلَى مَكَّةَ وَمَعِيَ جِبْرِيْلُ، قَالَ ﷺ: لَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةَ لَيْلَةِ أُسْرِي بِي، أَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ مُتَحِيرًا فِي أَمْرِي، وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ يُكَذِّبُونِي، فَعُدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، فَمَرَّ بِي أَبُو جَهْلٍ عَدُوُّ اللَّهِ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ

(١) رواه مسلم (١٦٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَفَرَضِ الصَّلَوَاتِ، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٩)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ .

حنة السنة

إِلَيَّ، فَقَالَ لِي كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ، قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! هَلُمُّوا، فَاثْتَقَضَتِ الْمَجَالِسُ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: حَدِّثْ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدٌ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قَالَ: نَعَمْ، فَبَقِيَ مِنْهُمْ الْمُتَعَجِّبُ، وَمِنْهُمْ الْمُصْفَقُ، وَمِنْهُمْ الْوَاضِعُ يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالُوا: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَعْتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْعَتُهُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ؛ لِكُونِي دَخَلْتُهُ لَيْلًا، فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ أَنْظَرُ إِلَيْهِ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظَرُ إِلَيْهِ وَأُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، قَالَ ﷺ: وَآيَةُ ذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعَيْرِ بَنِي فُلَانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا، فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ، فَندَّ لَهُمْ بِعَيْرٍ، فَدَلَّلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ نَحْوَ الشَّامِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضُجْنَانَ مَرَرْتُ بِعَيْرِ بَنِي فُلَانٍ، فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَإِنَّ عَيْرَهُمْ الْآنَ تَصَوَّبُ مِنَ الْبَيْضَاءِ ثَبِيَّةَ التَّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ، إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ، وَالْأُخْرَى بَرَقَاءُ، فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثَّبِيَّةَ، فَلَمْ يَلْقَهُمْ أَوْلًا إِلَّا الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَ لَهُمْ، وَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْإِنَاءِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً، ثُمَّ غَطَّوْهُ، وَأَنَّهُمْ افْتَقَدُوهُ مِنَ اللَّيْلِ فَوَجَدُوهُ كَمَا غَطَّوْهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً، وَسَأَلُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ نَدَّ لَهُمْ الْبَعِيرُ، فَقَالُوا: صَدَقَ وَاللَّهِ، لَقَدْ نَدَّ لَنَا بِعَيْرٍ بِالْوَادِي الَّذِي ذَكَرَهُ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ لِأَشْبَهُ الْأَصْوَاتِ بِصَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَجِئْنَا حَتَّى أَخَذْنَا، وَفِي

جنة السنة

رواية: وَمَرَرْتُ بِعَيْرِكُمْ بِالتَّعْلِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ تَطْلَعُ عَلَيْكُم مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَخَرَجُوا إِلَى الثَّنِيَّةِ وَجَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ طُلُوعَ الشَّمْسِ لِيُكَذِّبُوهُ إِذْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ، قَالَ آخَرُ: هَذِهِ الْعَيْرُ قَدْ أَقْبَلَتْ يَقْدُمُهَا بَعِيرٌ أَوْرَقٌ كَمَا قَالَ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ^(١)، فحِينَئِذٍ آمَنَ مَنْ آمَنَ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ، وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ أَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ اللَّيْلَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَصَلَّى فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ لئنْ كَانَ قَالَ، لَقَدْ صَدَقَ، فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيُخْبِرُنَا عَنِ الْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَصَدَّقَهُ، فَهَذَا أَبَعْدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَحَدَّثْتُ هَوْلَاءِ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَصَفَّهُ لِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ فَإِنِّي جِئْتُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَرَفَعَ إِلَيَّ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ»، وَجَعَلَ يَصِفُهُ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، حَتَّى انْتَهَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ» فَسَمِّيَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَدِيقًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ النِّجْمِ تَصْدِيقًا لَهُ ﷺ^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٠٩/١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٨٥). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/٢٥٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٥٦-٦٥٧).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/٣): بعد أن ذكر السياق الذي نقله المصنف هنا: هذا سياق فيه غرائب عجيبة.

حنة السنة

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ التوراة ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا ﴾ أي: هديناهم لئلا ﴿ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴾ أي: رباً يَكِلُونَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ. قرأ أبو عمرو: (يَتَّخِذُوا) بالغيب؛ لأنه خبرٌ عنهم، وقرأ الباقون: بالخطاب، يعني: قلنا لهم: (لا تَتَّخِذُوا)^(١).

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ منادى؛ أي: يا ذرية قوم نوح! وهذا منةٌ على جميع الناس؛ لأنهم كلهم من ذرية مَنْ أُنْجِيَ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْغَرَقِ، وهو إيمانٌ إلى توبيخ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ؛ لأنهم موجودون من ذرية مَنْ أُنْجِيَ فِي السَّفِينَةِ، المعنى: كانوا مؤمنين، فكونوا مثلهم واستنوا بسنتهم، ثم زادهم توبيخاً بقوله:

﴿ إِنَّهُ ﴾ أي: نوحاً ﴿ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ كثير الشكر، فكونوا مثله، وكان ﷺ يستعظم القليل من فضل الله عليه، ويستصغر كثير خدمته له.

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَاتِنَ وَلِنُعْلَنَ عُيُوبًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٤﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٠٦).

جنة السنة

[٤] ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي : أعلمناهم ﴿ فِي الْكِتَابِ ﴾ التوراة .
 ﴿ لِنُفْسِدَنَّ ﴾ لأم القسم ، مجازة : والله لَنُفْسِدَنَّ ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : أرضِ
 الشام وبيت المقدس ﴿ مَرَّتَيْنِ ﴾ بالمعاصي .
 ﴿ وَلَنُعَلِّنَّ عَلْوًا كَبِيرًا ﴾ لَنَسْتَكْبِرُنَّ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا
 خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ .

[٥] ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي : وعدُ عقابِ أولاهما ، وهي مخالفةُ
 التوراة ، وإحداثهم المعاصي ، وقتلُ أشعياء النبيِّ ، الذي بشرَ بعيسى
 ومحمدٍ عليهم الصلاة والسلام .

﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ هو بُخْت نَصْرٌ وأصحابه على الأظهر ﴿ أُولَىٰ بَأْسٍ
 شَدِيدٍ ﴾ ذوي قوة وبطش ﴿ فَجَاسُوا ﴾ طافوا ﴿ خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ وسطَ المنازلِ
 ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ أي : قضاءً كائنًا لا خُلْفَ فيه ، وتقدّم خبرُ قصةِ بخت
 نَصْرَ وتخريبه بيت المقدس في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ
 كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الآية : ٢٥٩] .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ
 أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ .

[٦] وقد روي أن سيدنا سليمان بن داودَ عليهما السلام عمرَ بيت
 المقدس من ذهبٍ وفضةٍ وياقوتٍ وزبرجدٍ ، وكان عمدُهُ ذهباً ، أعطاهُ اللهُ
 ذلكَ ، وسخرَ له الجنَّ والشياطينَ يأتونه بهذه الأشياءِ في طرفَةِ عينٍ ، وعملَ

حنة السنة

فيه عملاً لا يُوصَفُ، فلم يكن يومئذٍ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، وكانت صخرة بيت المقدس أيام سليمان ارتفاعها اثنا عشر ذراعاً، وكان الذراعُ ذراعَ الأمان ذراعٌ وشبرٌ وقبضةٌ، وكان ارتفاع القبة التي عليها ثمانية عشر ميلاً، وفوق القبة غزالٌ من ذهبٍ بين عينيه دُرَّةٌ أو ياقوتة حمراء تغزل نساء أهل البلقاء على ضوءها بالليل، وهي من فوق مرحلتين من القدس، وكان أهل عمواس يستظلون بظل القبة إذا طلعت الشمس من المشرق، وعمواسُ بفتح الميم وسكونها، وهي التي سُمِّي بها الطاعونُ على الراجح؛ لأنه منها ابتداء، وكان في سنة ثمانٍ عشرة من الهجرة، وهي بالقرب من رملة فلسطين، مسافتها عن بيت المقدس نحو بريد ونصف، وإذا غربت الشمس استظل بها أهل بيت الرامة من الغور، ومسافتها عن بيت المقدس أبعد من عمواس، وبين عمارة سليمان عليه السلام للمسجد الأقصى وبين الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام ألفٌ وثمان مئةٍ وقربٌ سنتين، وسيأتي ذكر بنائه في تفسير سورة سبأ عند قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ﴾ [الآية: ١٣]، واستمر على العمارة السلিমانيّة أربع مئةٍ وثلاثاً وخمسين سنةً إلى أن غزاهم بُخْت نصرٌ، وخرَّب العمارة السلیمانيّة، وأحرق بيت المقدس وخرَّبته، واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضةً، وأباد بني إسرائيل قتلاً وتشريداً، واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنةً كما تقدّم ذكره في سورة البقرة، ثم أهلك الله بُخْت نصرَ ببعوضةٍ دخلت دماغه، ونجّى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمت ببابل^(١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦٥٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/٢٤٣).

جنة السنة

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ ﴾ الدولة العليّة .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : على الذين قتلوكم حين تبتُّم .

﴿ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيكَ ﴾ رُوي أَنَّ الله تعالى أوحى إلى أرمياء النبيّ عليه السلام أَنَّ كورشَ يعمرُ بيتَ المقدسِ ، وهو ملكٌ من ملوكِ الفرسِ ، وكان مؤمناً ، فسار كورشُ ببني إسرائيلَ ، وحلِّي بيتَ المقدسِ حتى ردهُ إليه ، وعمر بيت المقدس ، وعاد البلدُ أحسنَ مما كان ، وأصعدَ إليها من بني إسرائيلَ أربعين ألفاً ، وقربوا القرابينَ على رسومهم الأولى ، ورجعت إليهم دولتهم ، وعظم محلُّهم عند الأمم ، واستمرَّ بيتُ المقدسِ عامراً سبعَ مئةٍ وإحدى وعشرين سنةً .

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ عدداً ، والنفيرُ : من يَنْفِرُ مع الرجلِ من قومه .

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا تَتَبَرَّأُوا ﴾ .

[٧] ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ لأن ثوابه لها .

﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ فَإِنَّ وبالها عليها .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ أي : عقابُ المرةِ الآخرةِ من إفسادكم ، وذلك قصدُهم قتلَ عيسى عليه السلام حين رُفِعَ ، وتقدّم ذكرُ قصتهم مستوفى في سورة آل عمران ، وقتلهم يحيى عليه السلام ، وسببه أن عيسى عليه السلام كان قد حرّم نكاح بنت الأخ ، فكان لهرودوس ، وهو الحاكمُ على بني

جنة السنة

إسرائيل بنتُ أخ، وأراد أن يتزوَّجها كما هو جائزٌ في ملة اليهود، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبتُ أمُّ البنتِ من هرودوسَ أن يقتلَ يحيى، فلم يُجبها إلى ذلك، فعاوَدتهُ، وسألتهُ البنتُ أيضاً، وألحَّتْ عليه، فأجابهما إلى ذلك، وأمر يحيى فذبحَ ووَضِعَ رأسه بينَ يدي هرودوسَ، فكانَ الرأسُ يتكلَّمُ ويقولُ: لا تحِلُّ لك، واستمرَّ غليانُ دمه، فأمر بترابِ فألقي عليه حتى بلغَ سورَ المدينة، فما زادَ إلا انبعاثاً، فبعث اللهُ عليهم مَلِكاً من جهة المشرق من ملوكِ بابل يقال له: حُرْدوسُ، فقتلَ منهم على دمِ يحيى سبعين ألفاً إلى أن سكنَ دمه، وزعم قومٌ أن بخت نصر هو الذي غزاهم وقتلهم على دمِ يحيى، وليسَ بصحيح؛ لأنَّ بُخْتَ نَصَرَ خَرَّبَ بيتَ المقدسِ قبلَ ولادةِ يحيى بنحو خمسِ مئةِ سنةٍ، ثم غزاهم طيطوسُ الروميُّ، وكان محلُّ ملكه مدينةَ روما من بلادِ الفرنج، فقصدَ بيتَ المقدسِ، وأوقعَ باليهودِ وقتلهم وأسرهم على آخرهم إلاَّ من اختفى، ونهبَ القدسَ وخَرَّبَه، وخَرَّبَ البيتَ المقدَّسَ، وأحرقَ الهيكلَ، وخلا القدسُ من بني إسرائيلَ كأنَّ لم تغنَّ بالأمسِ، وكانتُ أعظمَ الوقعتينِ، فلم يعدْ لهم بعدَ ذلك رئاسةٌ ولا حكمٌ، وكانَ ذلكَ بعدَ رفعِ المسيحِ بنحو أربعين سنةً، وبينَ هذا التخريبِ والهجرةِ الشريفةِ خمسُ مئةٍ وثمانٍ وخمسونَ سنةً بالتقريبِ، فذلكَ قوله تعالى:

﴿لِيَسْتَوُوا﴾ أي: بعثناهم ليسوؤوا ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ يُخزوها، ويُدخلوا عليها الغمَّ والحزنَ، والضميرُ لأولي البأسِ الشديدِ. قرأ الكسائيُّ: (لنَّسوءَ) بالنونِ ونصبِ الهمزةِ على التعظيمِ إخباراً من الله عن نفسه، وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (لِيسوءَ) بالياءِ ونصبِ الهمزةِ؛

جنة السنة

أي: ليسوء الله وجوهكم، وقرأ الباقون: بالياء وضمّ الهمزة وبعدها واو الجمع على المعنى الأول^(١).

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ أي: بيت المقدس.

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ من المرتين.

﴿وَلِيُتَبَرَّأُوا﴾ يُهْلِكُوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غَلَبُوا عَلَيْهِ ﴿تَبَرَّأُوا﴾ مصدرٌ.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^(٨).

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامه منكم إن تبتم، فبردّ الدولة إليكم، فتابوا، فرحمهم ﴿وَإِنْ عُذْتُمْ﴾ إلى المعصية ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة، فعادوا بتكذيب محمد ﷺ، فعاد الله بتسليطه عليهم، فقتل قريظة وأجلى بني النضير، وضرب الجزية على الباقين، فهم يُعطونها عن يد وهم صاغرون.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ سَجْنًا؛ من الحَصْرِ، لا يقدرّون على الخروج منها، واستمرّ بيت المقدس ومسجده خراباً إلى أن تراجع البلد إلى العمارة قليلاً قليلاً، وترمّم شعته، وملكه الروم واستوطنوه، واستمرّ المسجد الأقصى خراباً يُلقى فيه القمامات، وبقي الحال على ذلك حتى جاء الإسلام، وقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفتح القدس، وعمر المسجد الأقصى زاد الله شرفه في سنة خمس عشرة من

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٠٨).

جنة السنة

الهجرة الشريفة، وقيل: في سنة ست عشرة في ربيع الأول، وقيل: لخمس خلوّن من ذي القعدة، والله أعلم.

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ أي: للطريقة التي ﴿ هِيَ أَقْوَمُ ﴾ أصوب، وهي الإيمان ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (وَيُبَشِّرُ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها، من البشر، وهو البشري والبشارة، وقرأ الباقون: بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من بَشَّرَ المضعف على التكثير^(١).

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وهو النار، عطف على (وَيُبَشِّرُ)؛ أي: يبشر المؤمنين بشارتين: بثوابهم في الآخرة، وبعقاب أعدائهم.

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ ﴾ عند غضبه ﴿ بِالْشَّرِّ ﴾ على نفسه ﴿ دُعَاءَهُ ﴾ أي:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٠).

جنة السنة

كما يدعو الله ﴿بِالْخَيْرِ﴾ ولو استجاب الله دعاءه على نفسه، لهلك، ولكن الله لا يستجيب له بفضلِهِ .

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ضجرًا لا صبرًا له على السراء والضراء . وحذفت الواو من (يَدْعُ) في اللفظ والخط، ولم تحذف في المعنى؛ لأنها في موضع رفع، فكان حذفها باستقبالها اللام الساكنة؛ كقوله: ﴿سَدَّعُ الرَّبَابِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦] .

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَنْ تَبَتَّعُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [١٢]

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ علامتين يُستدلُّ باختلافيهما على الوجدانية والقدرة ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ طَمَسْنَا ضَوْءَهُ .

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: بَيَّنَّةٌ يُبْصَرُ بِهَا الْأَشْيَاءُ .

﴿لِتَبْتَغُوا﴾ لِتَطْلُبُوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في النهارِ أسبابَ معاشِكُمْ .

﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بِهَا ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما، لم يُعرَفِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، ولم يُعْلَمَ وقتُ فطرِ الصائم، ولا وقتُ الحجِّ ونحوهما ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه بياناً ظاهراً .

جنة السنة

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾ عمله ﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ لا يفارقه، وخصَّ العنق بالذكر؛ لأنَّ الإلزام فيها أشدُّ.

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ﴾ هي صحيفة عمله ﴿ يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ مبيناً مشروحاً. قرأ أبو جعفر: (ويُخْرِجُ) بالياء وضمُّها وفتح الراء، مجهولٌ، وعنه وجهٌ بكسر الراء؛ أي: الفاعلُ اللهُ تعالى، وقرأ يعقوبُ: بالياء وفتحها وضمَّ الراء؛ أي: ويخرجُ له الطائر يوم القيامة كتاباً، وقرأ الباقون: بالنون وضمُّها وكسر الراء^(١)؛ أي: يقول اللهُ: ونحنُ نخرجُ له يومَ القيامةِ كتاباً، وانفقوا على نصبِ (كتاباً)، ووجهُ نصبِه على قراءة أبي جعفرٍ أن يكونَ حالاً؛ أي: ويخرج الطائرُ كتاباً، وكذا وجهُ النصبِ على قراءة يعقوبَ أيضاً، ففتقُّ القراءتان في التوجيهِ على الصحيحِ الفصيحِ الذي لا يختلفُ فيه، وقرأ أبو جعفرٍ وابنُ عامرٍ: (يُلْقَاهُ) بضمِّ الياء وفتح اللام وتشديدِ القاف، يعني: يُلقَى الإنسانُ ذلكَ الكتابَ؛ أي: يُؤْتاه، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكانِ اللام وتخفيفِ القاف^(٢)؛ أي: يراه منشوراً، وأماله ابنُ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ بخلافِ عنه.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٦٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٢).

جنة السنة

﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ أَقْرَأْ ﴾ أي : يقال له : اقرأ ﴿ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ أي : محاسباً، ونصبه على التمييز، وفَوْضَ تعالى حسابَ العبدِ إليه لثلاً يُنْسَبُ إلى الظلم، ولتجب الحجة عليه باعترافه .

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ ۗ وَأَزْرَةٌ وَنَزْرٌ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ ﴾ أي : من اجتهد حتى يهتدي، فلها ثوابه .

﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ أي : تغافل حتى ضلَّ .

﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لأنَّ عليها عقابه .

﴿ وَلَا نُزْرُ وَأَزْرَةٌ ﴾ ولا تحمل نفسُ آثمةٍ ﴿ وَنَزْرٌ ﴾ إثمَ نفسٍ ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ لأنَّ كلاً مطالبٌ بعمله، وأصلُ الوزرِ: الثقلُ، رُوي أنَّ سببها أنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ المخزوميَّ قال لأهلِ مَكَّةَ: اكفروا بمحمدٍ، وإثمُكم عليَّ، فنزلت هذه الآية^(١)؛ أي: إن الوليد لا يحملُ آثامكم، وإنما إثمُ كلِّ واحدٍ عليه .

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ يندُرُ ويبينُ الشرائعَ، فلا حكمَ قبلَ الشرعِ، بل الأمرُ موقوفٌ إلى ورودِهِ بالاتفاق .

(١) انظر: «روح المعاني» للألوسي (٣٥/١٥).

جنة السنة

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ مُنَعَمِيهَا . قراءة العامة : (أَمَرْنَا) بالقصر؛ أي : أمرناهم بالطاعة، وقرأ يعقوب : (أَمَرْنَا) بالمد؛ أي : كَثَرْنَا، وَ(أَمَرْنَا) بالتشديد سَلَطْنَا، والتلاوة بالأول والثاني^(١) .

﴿ فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ فخرجوا عن الطاعة ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾ وجب عليها الوعيد .

﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ أهلكتنا وما فيها هلاك استئصال .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ ﴾ المكذبة ﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ كعادٍ وثمود مثال لقريش ووعيد؛ أي : لستم ببعيد مما حصلوا فيه من العذاب إذ أنتم كذبتُم نبيكم، والقرنُ مئةُ سنةٍ على الأصح، يعضده الحديث في قوله عليه السلام : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»^(٢)، وروى محمد بن القاسم في ختته عبد الله بن بشر قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسه وقال : «سَيَعِيشُ

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٦/٢) .

(٢) رواه البخاري (٢٥٠٩)، كتاب : الشهادات، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ومسلم (٢٥٣٣)، كتاب : فضائل الصحابة، باب : فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - .

جنة السنة

هَذَا الْغُلَامَ قَرْنًا» قَلْتُ: كم القرن؟ قَالَ: «مِئَةُ سَنَةٍ»، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ:
فَمَا زِلْنَا نَعُدُّ لَهُ حَتَّى أَكْمَلَ مِئَةَ سَنَةٍ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ ﴿فِي عِاقِبِ عَلَيْهَا، وَالْبَاءُ فِي (بَرِّكَ) زَائِدَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَكَفَىٰ رُبُّكَ، هَذِهِ الْبَاءُ إِنَّمَا تَجِيءُ فِي الْأَغْلَبِ فِي مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ، فَكَأَنَّهَا تُعْطَىٰ مَعْنَى: اكَتَفَ بِرَبِّكَ؛ أَي: مَا أَكْفَاهُ فِي هَذَا!

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿١٨﴾.

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ يَعْنِي: الدُّنْيَا، مَقْصُورًا عَلَيْهَا هَمُّهُ، وَجَوَابُ (مَنْ كَانَ) ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ مِنَ الْبَسْطِ وَالتَّقْتِيرِ وَغَيْرِهِمَا، لَا مَا يَشَاءُ هُوَ.

﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ أَنْ نَفْعَلَ لَهُ ذَلِكَ، أَوْ إِهْلَاكُهُ قَيْدَ الْمَعْجَلِ، وَالْمَعْجَلُ بِالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ كُلُّ مُتَمَنَّئٍ مَا يَتَمَنَّا، وَلَا كُلُّ وَاحِدٍ جَمِيعَ مَا يَهْوَاهُ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يَدْخُلُهَا.

﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥٨/١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٩٥/٨).

جنة السنة

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ إرادة يقين بها، وإيمان بالله وبرسالته .

﴿ وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا ﴾ وهي ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع .

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا ﴾ مقبولاً، ولا يشكر الله عملاً ولا سعياً إلا أثاب عليه، وغفر بسببه .

﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ كَلَّا ﴾ نصب بقوله: ﴿ نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ ﴾ أي: نُمَدُّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ الطَّائِعِ وَالْعَاصِي ﴿ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ رزقه .

﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ممنوعاً في الدنيا عن مؤمن وكافر تفضلاً .

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ أَنْظِرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ في الرزق

والعمل، يعني: طالب العاجلة وطالب الآخرة. قرأ نافع، وابن كثير،

جنة السنة

وأبو جعفر، والكسائي، وخلف، وهشام عن ابن عامر: (مَحْظُوراً أَنْظُرُ) بضمّ التنوين، والباقون: بكسره^(١).

﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ للمؤمنين.

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها، والنار ودرجاتها.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [٢٢]

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ فتصير.

﴿مَذْمُومًا﴾ من غير حمد.

﴿مَّخْذُولًا﴾ ذليلاً بلا ناصر، الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد غيره.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣]

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ مقتصرين على عبادته تعالى.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برّاً بهما، وعظفاً عليهما.

﴿إِمَّا يَبُلُغَنَّ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (يَبُلُغَانِ) بألفٍ مطولةٍ بعدَ

الغين وكسر النون على الثانية، وقرأ الباقون: بغير ألفٍ، وفتح النون على

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (٢/٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٤).

جنة السنة

التوحيد، واتفقوا على تشديد النون في الحالتين^(١).

﴿عِنْدَكَ﴾ إشارة إلى كفالتة ﴿الْكِبْرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ المعنى: إذا أسنَّ والداك، أو أحدهما، واحتاجا، أو أحدهما في حال كبرهما إلى أن تتولَّى منهما ما كانا يتولَّيانِه منك في حال الطفولة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿كِلاهُمَا﴾ بالإمالة^(٢).

﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ﴾ لفظٌ يقال لما يضرُّ منه، وهي كلمة كراهية، وهذه اللفظة مثالٌ لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون، فلم تُردْ هذه في نفسها، وإنما هي مثالٌ لأعظم منها. قرأ ابنُ كثير، وابنُ عامر، ويعقوب: ﴿أُفٍّ﴾ بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين، والقراءاتُ الثلاثُ لغاتٌ معناها واحد^(٣).

﴿وَلَا نَهَرَهُمَا﴾ تَزَجْرُهُمَا، والانتهازُ: إظهارُ الغضبِ في الصوتِ واللفظِ.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ لينا جيد المعنى.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٦-٣١٧).

جنة السنة

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [٢٤].

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾ تَذَلُّلٌ لَهُمَا وَتَوَاضَعٌ .

﴿ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ لَهُمَا .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ وَهَذَا كَلَّمَهُ فِي الْأَبْوِينِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ نَهَى الْقُرْآنُ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ الْأَمْوَاتِ ، وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَ قَرَبَى ، قَالَ ﷺ : «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»^(١) ، وَقَالَ : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْانٌ وَلَا عَاقٌ وَلَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ»^(٢) .

﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [٢٥].

﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ مِنْ بَرِّ الْوَالِدِينَ وَعَقُوقِهِمَا .

﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ أَبْرَارًا مُطِيعِينَ بَعْدَ تَقْصِيرِكُمْ فِي حَقِّ الْوَالِدِينَ وَغَيْرِهِ .

﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ ﴾ الرَّاجِعِينَ بِالتَّوْبَةِ ﴿ غَفُورًا ﴾ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ .

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٢٩)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - .

(٢) رواه النسائي (٥٦٧٢)، كتاب: الأشربة، باب: الرواية في المدمنين في الخمر، والإمام أحمد في «المسند» (٢٠١/٢)، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - .

جنة السنة

﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ والمراد: صلة الرحم، خوطب بذلك النبي ﷺ، والمراد: الأمة ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ من الزكاة المفروضة .
﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ التبذير: الإتلاف وإنفاق المال في فساد.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: أمثالهم؛ لأنهم أطاعوهم .

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ مبالغاً في الكفر .

﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ نُبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ﴾ عن ذوي القربى والمذكورين قبلُ حياءً من الردِّ .

﴿أُبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ انتظار رزقٍ من الله ترحوه أن يأتيك .
﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ طيباً؛ أي: عدُّهم جميلاً، وقل: يرزقنا الله وإياكم .

جنة السنة

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩).

[٢٩] ونزل لما أعطى رسول الله ﷺ قميصه، ولم يبق له ثوبٌ يخرجُ به إلى الصلاة:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ (١) كنايةٌ عن نهايةِ الإمساكِ.

﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ كنايةٌ عن نهايةِ البذلِ.

﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ تلامٌ على إتلافِ مالكِ.

﴿ مَّحْسُورًا ﴾ منقطعاً عن النفقةِ والتصرفِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ﴾ يوسِّعُ ﴿ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضَيِّقُ.

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ فيعلمُ من مصالحهم ما يخفى عليهم.

﴿ وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ مخافة فقرٍ.

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ وذلك أنَّ الجاهلية كانوا يتدوون بناتهم خشية

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدى (ص: ١٦٤).

جنة السنة

الفاقة، فَنُهِوا عن ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله.

﴿إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ إثمًا عظيمًا. قرأ أبو جعفر، وابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ: (خَطَأً) بفتح الخاءِ والطاءِ مقصوراً، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بكسرِ الخاءِ وفتحِ الطاءِ ممدوداً، وقرأ الباقون: بكسرِ الخاءِ وجزمِ الطاءِ، والقراءاتُ الثلاثُ معناها واحدٌ^(١).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ نهيٌّ عن مقدّماتِهِ؛ كالنظرةِ والغمزةِ، فضلاً عن مباشرتهِ، وإذا نُهي عن مقدّماتِهِ، فالنهيُّ عنه أولى، ولو أرادَ النهيَ عن نفسِ الزنى لقال: ولا تزنوا.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ فعلةٌ ظاهرةٌ القبحِ.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ بسنّ طريقاً طريقه.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قوله (وَلَا تَقْتُلُوا)

وما قبله من الأفعال جزمٌ بالنهي، والألفُ واللامُ التي في النفس هي

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص:

١٣٩-١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (٢/٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣١٨-٣١٩).

جنة السنة

للجنس، والحق الذي يُقتل به النفس هو ما فسره النبي ﷺ في قوله: «لَا يَحِلُّ دَمُ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ»^(١)، وهي الحرابة، ومن ذلك الزندقة، ومسألة ترك الصلاة؛ لأنها في معنى الكفر بعد الإيمان، ومنه قتل أبي بكرٍ مَنَعَةَ الزَّكَاةِ، وقتل من امتنع في المدن من فروض الكفريات.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ نصبٌ على الحال، ومعناه: بغير هذه الوجوه المذكورة.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ﴾ أي: لقرابته الذي يلي دمه ﴿سُلْطَنًا﴾ تسلطاً على القاتل، إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تُسْرِفُ) بالخطاب لولي القتل، وقرأ الباقر: بالغيب^(٢)؛ أي: لا يُسْرِفُ الْوَلِيُّ فِي الْقَتْلِ، والإسراف: أن يقتل غير القاتل، أو يقتل اثنين أو أكثر بالواحد.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: الولي ﴿كَانَ مَنْصُورًا﴾ بنصرة الشرع والسلطان، وقيل: الضمير عائدٌ على المقتول، ونصره قتل قاتله، وحصول الأجر له، واختار

(١) رواه أبو داود (٤٥٠٢)، كتاب: الديات، باب: الإمام يأمر بالعمو في الدم، والترمذي (٢١٥٨)، كتاب: الفتن، باب: ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، وابن ماجه (٢٥٣٣)، كتاب: الحدود، باب: لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٠)، وثمة رواية عن ابن عامر أنه قرأ «تسرف» بالتاء.

جنة السنة

ابن عطية أن هذا أرجح الأقوال؛ لأنه المظلوم، ولفظة النصر تقابل أبداً الظلم^(١).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [٣٤].

[٣٤] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: بالفعل التي هي أسرع إلى إصلاح حاله وماله.

﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ منتهى بلوغه، وتقدم الكلام على الرشد، وأحكام البلوغ، واختلاف الأئمة فيه مستوفى في سورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ انْتَهَمْتُم مِّنْهُم رُّشْدًا ﴾ [الآية: ٦].

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ إذا عاهدتم لكلِّ أحدٍ ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ عنه.

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ مِيزَانِ السَّوِيِّ، وَهُوَ رُومِيٌّ عَرَبٌ، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْعَجْمِيَّ إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ وَأَجْرَتَهُ مُجْرَى كَلَامِهِمْ فِي الْإِعْرَابِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ وَنَحْوِهَا، صَارَ عَرَبِيًّا. قَرَأَ حَمْزَةً، وَالكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ، وَحَفْصٌ عَنِ عَاصِمٍ: (بِالْقِسْطَاسِ) بِكسْرِ تَأْوِيلًا ﴾ [٣٥].

[٣٥] ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ ﴾ وَلَا تَبَخَسُوا فِيهِ.

﴿ وَرِثُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ بِالمِيزَانِ السَّوِيِّ، وَهُوَ رُومِيٌّ عَرَبٌ، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْعَجْمِيَّ إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ وَأَجْرَتَهُ مُجْرَى كَلَامِهِمْ فِي الْإِعْرَابِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ وَنَحْوِهَا، صَارَ عَرَبِيًّا. قَرَأَ حَمْزَةً، وَالكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ، وَحَفْصٌ عَنِ عَاصِمٍ: (بِالْقِسْطَاسِ) بِكسْرِ

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/٤٥٣).

جنة السنة

القاف، والباقون: بضمّها وهما لغتان^(١).

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة وما يؤول إليه الأمر.

﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

[٣٦] ﴿وَلَا نَقْفُ﴾ لا تتبّع ولا تقل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ والقفو: اتباع الأثر، وأصله من القفا؛ أي: لا تقل سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ قرأ ورش عن نافع: (والفؤاد) بفتح الواو بغير همز، والضمير في (عنه) يعود على ما ليس للإنسان به علم، ويكون المعنى: إن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي، ويحتمل أن يعود الضمير في (عنه) على (كل) التي هي السمع والبصر والفؤاد، والمعنى: إن الله يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسؤولاً؛ أي: عما حصل لهؤلاء من الإدراكات، ووقع منها من الخطأ، فالتقدير: عن أعمالها مسؤولاً، فهو على حذف مضاف.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢١).

جنة السنة

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ خيلاء ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ ﴾ لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ أي: لن تقدر أن تجاوزها أو تساويها بكبرك، وهو تهكم بالمختال، وملخصه: أنت عاجز فلا تتكبر.

﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿ كُلُّ ذَلِكَ ﴾ المذكور من المناهي ﴿ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: (سَيِّئُهُ) بضم الهمزة والهاء وإلحاقها واوا في اللفظ على الإضافة والتذكير، ومعناه: كل الذي ذكرناه من قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (كان سيئه)؛ أي: سييء ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً؛ لأن فيما عدّ أموراً حسنة؛ كقوله: ﴿ وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ ﴾ وغير ذلك، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة ونصب تاء التانيث مع التنوين على التوحيد^(١)، ومعناه: كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿ وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ إلى هذا الموضع سيئة، لا حسنة، والكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل: مكروهة؛ لأن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: كل ذلك كان مكروهاً، سيئة، وقوله: مكروهاً على التكرير لا على الصفة، مجازة كل ذلك كان سيئة، وكان مكروهاً، أو رجع إلى المعنى دون اللفظ؛ لأن السيئة الذنب، وهو مذكر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٢).

جنة السنة

﴿ ذَلِكُمْ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ المذكور من الأحكام المتقدمة ﴿ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ وهو الموحى؛ لأنه في غاية الإحكام، ثم خوطب النبي ﷺ، والمراد غيره بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾ تلوم نفسك ﴿ مَدْحُورًا ﴾ مُبْعَدًا عن الخير.

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ ﴾ أَحْصَاكُمْ أيها المشركون ﴿ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ﴾ لأنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، والهمزة في (أَفَأَصْفَاكُمْ) للإِنكار. ﴿ إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ بإضافتكم الأولاد إليه، وبتفضيل أنفسكم عليه.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ نَوَّعْنَا القول ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لِيَذَكَّرُوا) بسكون الذال وضم الكاف مخففاً؛ من الذكر بعد النسيان، وقرأ الباقون: بفتح الذال والكاف مع تشديدهما^(١)، من التذكر: التذبر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، =

جنة السنة

﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ تصريفنا ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عن الحقّ .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿ قُلْ ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (يَقُولُونَ) بِالْغَيْبِ عَلَىٰ أَنَّ الْخِطَابَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وقرأ الباقون: بِالْخِطَابِ^(١)؛ أَي: كَمَا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ.

﴿ إِذَا لَأَبْتَعُوا ﴾ أَي: طَلَبُوا، يَعْنِي: الْآلِهَةَ.

﴿ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ ﴾ أَي: صَاحِبِ الْعَرْشِ.

﴿ سَبِيلًا ﴾ طَرِيقًا لِيُغَالِبُوهُ وَيَقْهَرُوهُ؛ كَفَعَلَ مَلُوكِ الدُّنْيَا بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

قرأ أبو عمرو: (ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) بِإِدْغَامِ الشَّيْنِ فِي السَّيْنِ^(٢).

﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:

= و«تفسير البغوي» (٢/٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٤).

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، وذكر أنه لم يقع في القرآن إدغام شين

في سين إلا في هذا؛ من أجل زيادة الشين بالتشبي، وينظر: «معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٤).

جنة السنة

(تَقُولُونَ) بِالْخَطَابِ، وَالْباقُونَ: بِالْغَيْبِ^(١) ﴿عُلُوًّا﴾ تَعَالِيًّا.

﴿كَبِيرًا﴾ مُتَبَاعِدًا عَمَّا يَقُولُونَ.

﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا﴾ ﴿٤٤﴾.

[٤٤] ﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ أَي: تُنَزِّهُهُ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْاِنْسِ وَالْجِنِّ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الَّتِي لَكُمْ، وَالِاشْتِرَاكِ الَّذِي اَنْتُمْ بِسَبِيْلِهِ. قَرَأَ نَافِعٌ، وَابُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَابْنُ كَثِيْرٍ، وَابُو بَكْرٍ عَنِ عَاصِمٍ، وَرُوَيْسٌ عَنِ يَعْقُوْبَ بِخِلَافٍ عَنْهُ: (يُسَبِّحُ) بِالْيَاءِ عَلَى التَّذْكِيْرِ؛ لِقِيَامِ (لَهٗ) مَقَامَ تَاءِ التَّأْنِيْثِ؛ وَلِأَنَّ تَأْنِيْثَ (السَّمٰوٰتِ) غَيْرُ حَقِيْقِيٍّ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالتَّاءِ مُؤَنَّثًا عَلَى الْفِظِّ، وَالْقِرَاءَتَانِ حَسَنَتَانِ^(٢).

﴿وَاِنْ﴾ أَي: وَمَا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ حَيٍّ وَجَمَادٍ حَتَّى صَرِيْرُ الْبَابِ ﴿اِلَّا﴾ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ ﴿أَي: يَنْزِيْهُ اللهُ وَيَحْمَدُهٗ وَيَمَجِّدُهٗ﴾ ﴿وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾ تَفْهَمُونَ ﴿تَسْبِيْحَهُمْ﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِلُغَتِكُمْ.

﴿اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا﴾ فَلذٰلِكَ اْمُهْلِكُمْ ﴿غَفُوْرًا﴾ لِمَنْ تَابَ مِنْكُمْ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٤-٣٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٥).

جنة السنة

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] وكان المشركون يؤذون النبي ﷺ مصلياً، وجاءت أمُّ لهبٍ بحجرٍ لترضخ به رأسه، فلم تره، فنزل: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا ﴾ ^(١) على قلوبهم عن الفهم ﴿ مَسْتُورًا ﴾ ساتراً.

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية؛ كراهة.
﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ صمماً يمنعهم عن استماعه.
﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ ﴾ غير مشفوع به آلهتهم ﴿ وَلَوْ ﴾ رجعوا.
﴿ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ﴾ جمع نافر؛ أي: نافرين. قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (أَدْبَارَهُمْ) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، ورؤي عن ورش، وحمزة بين اللفظين، وقرأ الباقون: بإخلاص الفتح ^(٢).

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ ﴿٤٧﴾ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحي (ص: ١٦٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٥).

جنة السنة

[٤٧] ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾ بسببه ولأجله ؛ من الهزء بك وبالقرآن .
﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ وأنت تقرأ القرآن ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ جمع نجوى ، وهم
القوم يتناجون يتحدثون .

﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ ﴾ المشركون ، وهم الوليد بن المغيرة وأصحابه .
﴿ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ شبهوا الخيال الذي عنده بزعمهم ، وأقواله
الوخيمة برأيهم بما يكون من المسحور الذي قد خبل السحر عقله ، وأفسد
كلامه .

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (٤٨) .

[٤٨] ﴿ أَنْظِرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون . وتقدم اختلاف القراء في ضم التنوين وكسره
عند قوله : (مَحْظُورًا أَنْظِرْ) ، وكذلك اختلافهم في قوله : (مَسْحُورًا أَنْظِرْ) .
﴿ فَضَلُّوا ﴾ في جميع ما نسبوه إليك .

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لا يجدون ﴿ سَبِيلًا ﴾ إلى الهدى ، أو إلى إفساد أمرك
وإطفاء نور الله فيك بضرهم الأمثال لك ، واتباعهم كل حيلة في جهتك .

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَمْ نَأْتِي الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (٤٩) .

[٤٩] ﴿ وَقَالُوا ﴾ تعجباً وإنكاراً للبعث ، واستبعاداً له :
﴿ أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَمْ نَأْتِي ﴾ وهو ما مرّ عليه الزمن حتى إنه بلغ به غاية البلى
وقربه من عالم التراب .

جنة السنة

﴿ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ تلخيصه: قالوا: حياتنا بعد الموت محالٌ .
واختلافُ القراء في (أإذا) (أإنا) كاختلافهم فيهما في سورة الرعدِ .

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ .

[٥٠] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ جواباً لهم تعجيزاً وتوبيخاً ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ
حَدِيدًا ﴾ .

﴿ أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۖ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي
فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن
يَكُونُ قَرِيبًا ﴾ .

[٥١] ﴿ أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أي: يعظم في نفوسكم؛
كالسموات والأرض مما لم يقبل الحياة إن استطعتم هذه الأشياء، ثم انظروا
بأدلة العقل هل نحن قادرون على جعل الروح فيه؛ لأننا أوجدناكم، ثم
أحييناكم، فلا يمتنع علينا إيجادنا الروح .

﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ استبعاداً ﴿ مَن يُعِيدُنَا ﴾ بعد الموت؟

﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمُ ﴾ أنشأكم ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فإنَّ القادر على الإنشاء قادرٌ
على الإعادة ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ أي: يحركون .

﴿ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ ﴾ استهزاءً بك .

﴿ مَتَى هُوَ ﴾ أي: الإعادة والبعث .

جنة السنة

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب؛ لأنَّ (عَسَى) من الله واجبٌ، نظيره ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الشورى: ١٧].

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِجُونَ بِحِمْدِهِ وَتَظُنُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٥٢].

[٥٢] ﴿يَوْمَ﴾ تقديره: يعيدكم يوم ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم بالنفخة الآخرة ﴿فَتَسْجِجُونَ﴾ فتجيبون ﴿بِحِمْدِهِ﴾ بأمره، وقيل: تبعثون من قبوركم طائعين حامدين.

﴿وَتَظُنُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ في الدنيا، وفي القبور ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن الإنسان لو مكث ألوفاً من السنين في الدنيا وفي القبر، عدَّ ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) و(لَبِثْت) بإظهار التاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام^(١)، وروي عن أبي جعفر: (فَسَيُنْغِضُونَ) بإخفاء النون عند الغين، وروي عنه الإظهار، وهو أشهر، وتقدّم ذكر مذهبه في ذلك مستوفى في سورة النساء عند تفسير قوله تعالى: (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا).

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [٥٣].

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٦).

جنة السنة

[٥٣] وكان المشركون يؤذون المسلمين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ،
فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ (١) المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكافرين الكلمة
﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهو ألا يكافئوهم على أذاهم، ويقولوا لهم: يهديكم الله،
وسبب الآية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة، فشتمه
عمر، وهمم بقتله، فكاد أن يثير فتنة، فنزلت الآية (٢)، وهذا نسخ بآية السيف.
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ﴾ يفسد ويهيج ﴿بَيْنَهُمُ﴾ المرء والشر.
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهر العداوة.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك
عليهم وكيلًا ﴿﴾.

[٥٤] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ خطاب لكفار مكة ﴿إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ﴾ يوفقكم
فتؤمنوا ﴿أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ﴾ يمتكم على الشرك فتعدبوا.
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ حفيظاً وكفياً، قيل: نسخت بآية القتال.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وآتينادأود زبوراً ﴿﴾.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو عالم بهم
وبأحوالهم.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدى (ص: ١٦٤).

(٢) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

جنة السنة

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ﴿ فضل إبراهيم بالخلة، وموسى بالتكليم، ومحمداً بالمعراج .

﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴾ ﴿ تفضيلاً له، كان زبور داود مئة وخمسين سورة ليس فيها حلالٌ ولا حرامٌ، بل تمجيدٌ وتحميدٌ، ودعاءٌ، صلواتُ الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، وهذا خطابٌ مع الذين يعترفون بتفضيل الأنبياء، المعنى: إذا اعترفتم بتفضيلهم، فلم تنكروا فضل محمد ﷺ، وهو واحدٌ منهم. قرأ حمزة، وخلف: (زُبُوراً) بضم الزاي، والباقون: بفتحها^(١).

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿

[٥٦] ونزلَ فيمن عبدَ غيرَ اللهِ تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ ﴿ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاؤُكُمْ .

﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ ﴿ أي: دونِ الله؛ ليكشفوا عنكم البلاءَ والضَّرَّ، وذلك أن المشركين أصابهم قحطٌ شديدٌ، حتى أكلوا الكلابَ والجِيفَ، فاستغاثوا بالنبِيِّ ﷺ ليدعوا لهم، فنزلت. قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، ويعقوبٌ: (قُلِ ادْعُوا) بكسر اللامِ في الوصلِ، والباقون: بالضم^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٧)، ورويت عن الكسائي بضم اللام.

جنة السنة

﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ ﴾ القحطِ والجوع ﴿ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ لكم من العسرِ إلى اليسرِ .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي: الأنبياءُ المذكورون في أولِ الآيةِ في قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ يتضرعون ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ القريةِ إليه ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ إلى رحمةِ اللهِ تعالى، يتبغي الوسيلةِ إليه بصالح الأعمالِ .

﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ وأكبرهم عيسى وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر والنجوم، وما عبد من دون الله، وهو مطيع لله، وقيل غير ذلك .

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ لا أمان لأحدٍ منه، بل يحذره كلُّ ملكٍ مقرب، ونبيٍّ مرسلٍ لشده .

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] روي أن رسول الله ﷺ خرج يوماً على أصحابه، فقال: «هَلْ

جنة السنة

تَذُرُونَ مَا يُحَرِّبُ الْقُرَى؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أَعْمَالُ الشُّوْءِ فَاجْتَنِبُوهَا»، وتلا: ﴿وَلِإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةِ﴾
بالموت والاستئصال.

﴿أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وأنواع العقاب إن لم يؤمنوا.
﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَٰئِلِنَا ثَمُودَ
الَّتِيقَاتُ مُبْصِرَةٌ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ أي: وما صرفنا.

﴿أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها قريش.

﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الذين أمثالهم في الطبع؛ كعادٍ وثمرود؛
لأن سنة الله فيمن تقدم أنه كان إذا أتيت بآية فلم يؤمن أن يهلكه، وكان تعالى
قد حكم بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ، فقال تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿وَعَٰئِلِنَا ثَمُودَ الَّتِيقَاتُ مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: جحدوا بها
أنها من عند الله، فعاجلناهم بالعقوبة.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد؛ ليؤمنوا.

جنة السنة

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ﴾ أي : واذكر وقت إيحائنا إليك .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ علم بمكرهم بك ، فهو حافظك منهم ، فأَمْضِ أَمْرَكَ ، وَلَا تَخَفْ أَحَدًا .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾ ليلة الإسراء ﴿ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ أي : اختباراً ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ ، وتقدّم الكلام على ذلك في أول السورة عند ذكر قصة المعراج .
قرأ الكسائي ، وخلف : (الرؤيا) بالإمالة في الوقف فقط^(١) .
﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾ أي : الملعون آكلها ، وهي المذكورة .

﴿ فِي الْقُرْآنِ ﴾ وهي الزقوم ، وقوله : (وَالشَّجَرَةَ) عطف على قوله : (الرؤيا) ؛ أي : جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة ، فكانت الفتنة في الرؤيا ما تقدّم في قصة المعراج من ارتداد كثير ممن أسلم ، والفتنة في الشجرة الملعونة أنه لما نزل أمرها في سورة الصافات ، قال أبو جهل وغيره : هذا محمد يتوعّدكم بنار تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنها تنبت الشجر ، وقد علمتم أن النار تحرق الشجر ، وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمرًا وزبدًا ، وقال لأصحابه : تزقّموا ، فافتتن أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء ، فأخبر الله نبيه أنما جعل الإسراء وذكر شجرة الزقوم

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٧٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ٢٨٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٨) .

جنة السنة

فتنة واختباراً؛ ليكفر مَنْ سبقَ عليه الكفرُ، ويصدقَ مَنْ سبقَ عليه الإيمانُ^(١)، كما رُوِيَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه ما سبقَ ذكره في قصة المعراج، قال الكواشي رحمه الله: لو نظرَ، يعني: أبا جهلٍ، النظرَ الصحيحَ، لما استبعدَ ذلك؛ لأنه يمكنُ وجودُ جسمٍ لطيفٍ في النارِ لا يحترقُ كالسَّمندرِ وبرِّ دُويبةٍ تكونُ ببلادِ التركِ لا تؤثرُ فيه النارُ، وتتخذُ منه مناديلُ، فإذا اتَّسختِ المنديلُ، أُلقيتْ في النارِ، فيذهبُ الوسخُ ويبقى المنديلُ، وأعجبُ من ذلكَ أكلُ النَّعامِ النارِ والحديدِ المحمَّى، انتهى.

﴿ وَخَوْفُهُمْ ﴾ بأنواعِ التخويفِ ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ تخويفُنا.

﴿ إِلَّا طَغَيْنَا كِبِيرًا ﴾ تمرُّداً وعتواً عظيماً.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ

خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ أي: واذكرْ إِذْ قُلْنَا ﴿ لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا

إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ أي: خلقته من طينٍ، ونُصِبَ بنزع

الخافضِ، وقاسَ إبليسُ في هذهِ النازلةِ فأخطأ، وذلكَ أنه لما رأى الفضيلةَ

لنفسه من حيثُ رأى أن النارَ أفضلُ من الطينِ، وجهلَ أنَّ الفضائلَ في

الأشياءِ إنما تكونُ حيثُ خصَّها الله تعالى، ولا يُنظرُ إلى أصولها. واختلافُ

القراءِ في: (أَسْجُدُ) كاختلافهم في ﴿ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴾ في سورةِ البقرةِ [الآية:

[٦٦]، وتقدَّمَ مذهبُ أبي جعفرٍ في ضمِّ التاءِ من قوله (لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) في

سورةِ البقرةِ.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥).

جنة السنة

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١٢].

[٦٢] ولما أمر الخبيث بالسجود لآدم ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ ﴾ أخبرني عن .
 ﴿ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ ﴾ أي: فضلت، لِمَ فَضَّلْتَهُ ﴿ عَلَيَّ ﴾ وأنا خيرٌ منه،
 وتمَّ سؤال الخبيث، ثم ابتداءً آتياً باللام الموطئة للقسم المحذوف فقال:
 ' ﴿ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أثبت أبو عمرو، ونافع، وأبو جعفر:
 الياء في (أخَّرْتَنِي) وصلًا، وأثبتها يعقوبٌ وصلًا ووقفًا، وحذفها الباقون في
 الحالين^(١).

﴿ لِأَحْتَنِكَ ﴾ لأستأصلن ﴿ ذُرِّيَّتَهُ ﴾ بالإغواء ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم، وهم
 المستثنون بقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ [١٣].

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ الله تهديدًا له، وتحذيرًا منه؛ لئلا يُطاع:
 ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من الإنس.
 ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ ﴾ على صنيعكم ﴿ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ موفراً مكملاً. قرأ
 أبو عمرو، والكسائي، وخلاَّد، وحمزة: (أَذْهَبَ فَمَنْ) بإدغام الباء في
 الفاء، والباقون: بالإظهار^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)،
 و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٩/٢)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٣٢٩/٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

جنة السنة

﴿ وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿ وَأَسْتَفْزِرُ ﴾ اسْتَخِفَّ وَاسْتَزَلَّ ﴿ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ ﴾ يعني: من
ذرية آدم ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ أي: بالوسوسة.

﴿ وَأَجْلِبَ ﴾ اجمع ﴿ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ جمع راجل، المعنى:
اجهد جهدك، واجمع عليهم مكرك وحيلك ما أمكنك، فلن أعجز عن
منعك ومنعهم إذا شئت، قال أهل التفسير: كلُّ راجبٍ وماشٍ في
معاصي الله فهو من جنِّ إبليس. قرأ حفص عن عاصم: (وَرَجِلِكَ) بكسر
الجيم، والباقون: بإسكانها، وهما لغتان^(١).

﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ﴾ المحرمة؛ كالربا والغُصوب ﴿ وَالْأَوْلَادِ ﴾ من
الزنى، وما كانوا يتدونه من البنات، ويهودونه ويمجسونه ويُنصرونه من
أولادهم.

﴿ وَعَدَّهُمْ ﴾ بما لا يتمُّ لهم، وبأنهم غيرُ مبعوثين، فهذه مشاركة في
النفوس.

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً؛ لأنه لا يُعني عنهم شيئاً.

= الجزري (٢/٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٠).
(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)،
و«تفسير البغوي» (٢/٦٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٠).

جنة السنة

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾ يعني: المخلصين ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على إغوائهم ﴿ سُلْطَانٌ ﴾ قدرة ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ حافظاً لمن اعتمد عليه.

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ ﴾ يسوقُ .

﴿ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ لتطلبوا من رزقه .
﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ حيثُ هَيَأُ لَكُمْ ما تحتاجون إليه ، وسَهَّلَ عليكم ما يَعْسُرُ من أسبابه .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ خوف الغرق .

﴿ ضَلَّ ﴾ ذهب عن أوهامكم .

﴿ مَنْ تَدْعُونَ ﴾ من الآلهة ﴿ إِلَّا إِلَاهُ ﴾ فلا تدعون في ذلك الوقتِ سواه .

﴿ فَلَمَّا نَجَّكُمْ ﴾ من الغرق ﴿ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن الإيمان .

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ للنعم ، والإنسانُ هنا للجنس ، وكلُّ واحدٍ لا يكادُ يؤدِّي شكرَ الله كما يجبُ .

جنة السنة

﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَرْوَكِيَّلاً ﴾ .

[٦٨] ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ ﴾ الهمزة للإنكار، والفاء للعطف على محذوف؛ أي: نجوتُم من البحر، فَأَمِنْتُمْ ﴿ أَنْ يَخْسِفَ ﴾ نَعَوَّرَ .
﴿ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ نَاحِيَّتُهُ عَنِ الْأَرْضِ؛ كَقَارُونَ .

﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ رِيحًا عَاصِفًا تَرْمِي بِالْحَصْبَاءِ، وَهِيَ الْأَحْجَارُ الصَّغَارُ .

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَرْوَكِيَّلاً ﴾ مَنْ يَتَوَكَّلُ بِصَرْفِ ذَلِكَ عَنْكُمْ .

﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ .

[٦٩] ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: فِي الْبَحْرِ ﴿ تَارَةً ﴾ مَرَّةً .

﴿ أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ ﴾ رِيحًا شَدِيدَةً تَقْصِفُ الشَّجَرَ .

﴿ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ أي: تَابِعًا مَطَالِبًا بِالثَّأْرِ . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: (أَنْ نَخْسِفَ) (أَوْ نُرْسِلَ) (أَنْ نُعِيدَكُمْ) (فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ) (فَنَغْرِقَكُمْ) بِالنُّونِ فِي الْخَمْسَةِ؛ لِقَوْلِهِ: (عَلَيْنَا)، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالْيَاءِ، سَوَى أَبِي جَعْفَرٍ وَرُوَيْسٍ فِي قَوْلِهِ: (فَنَغْرِقَكُمْ) لِقَوْلِهِ: (إِلَّا إِيَّاهُ)، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَرُوَيْسٌ عَنِ يَعْقُوبَ: (فَتَغْرِقَكُمْ) بِالتَّاءِ عَلَى التَّأْنِيثِ، يَعْنِي: الرِّيحَ، وَرُوِيَ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَجْهٌ ثَانٍ: (فَتَغْرِقَكُمْ) بِفَتْحِ

جنة السنة

الغينِ وتشديدِ الراء^(١)، وقرأ أبو جعفرٍ: (الرِّيَاحِ) على الجمعِ، والباقون: على التوحيد^(٢).

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٧٠).

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ جعلنا لهم شرفاً وفضلاً، وهذا هو كرمُ نفيِ النقصانِ، لا كرمُ المالِ، قال ابنُ عباسٍ: «هو أنهم يأكلون بالأيدي، وغيرُ الآدميِّ يأكلُ بفيه من الأرض»^(٣).

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدوابِّ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفنِ.

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ لذيذِ المطاعمِ والمشاربِ.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وظاهرُ الآيةِ أن فضلهم على كثيرٍ ممن خلقه، لا على الكلِّ، وقال قومٌ: فضلوا على جميعِ الخلقِ إلا على الملائكةِ، وقيل: إلا على جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ وملكِ الموتِ وأشباههم، وفي تفضيلِ الملائكةِ على البشرِ اختلافٌ، والتفضيلُ حقيقةٌ لا يعلمه إلا الله ومن شاء من خلقه، وتقدّم في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قوله

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٠-٣٣٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/٢٩٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (ص: ٦٩٦).

جنة السنة

تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: ٣١] أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السَّنَةِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْ كَانُوا رُسُلًا.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمِّمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٧١﴾.

[٧١] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمِّمِهِمْ﴾ أي: بمن اتتموا به من نبي وغيره.

﴿فَمَنْ أُوْتِيَ﴾ من المدعوين ﴿كِتَابَهُ﴾ أي: كتاب عمله.

﴿بِيَمِينِهِ﴾ وهم السعداء.

﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ أي: ما فيه من الحسنات، ولم يذكر الأشقياء، وإن كانوا يقرؤون كتبهم أيضاً؛ لأنهم إذا قرؤوا ما فيها، لم يُفصِّحوا به؛ خوفاً وحياءً، بخلاف السعداء، فإنهم يقرؤون كتبهم ظاهراً مشهوراً ويُقرئونها غيرهم سروراً ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: جميع المدعوين ﴿فَتِيلًا﴾ وهو ما في شق النواة طويلاً، وتقدم في سورة النساء.

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٢﴾.

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الهداية ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

أَعْمَى﴾ عن إثبات الحجّة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وورش عن نافع: (أَعْمَى) بالإمالة في الحرفين؛ لأن ألفها طرف؛ لأنها بمعنى عام، وهو من عمى

جنة السنة

القلب، وافقهم أبو عمرو ويعقوبُ في إمالةِ الأولِ، وفتحاً الثاني، جعلاهُ من أفعالِ التفضيل؛ لأن أفعالَ التفضيلِ يتصلُ بـ(من)، فصارتُ ألفه وَسَطاً كَألفِ (أَعْمَالِكُمْ)، فلم يمل، وقرأَ الباقر: بفتحِهما على الأصلِ^(١).

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِئَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾^(٧٣).

[٧٣] ولما طلب المشركون من النبي ﷺ أن يجعل آية رحمة مكان آية عذاب، وبالعكس، وأن يستلم آلهتهم، وأن يطرد الضعفاء والمساكين عنه، وأطمعوه في إسلامهم، قالوا: فمال إلى بعض ذلك بخطر القلب مما لا يمكن دفعه، ولم يكن عزمًا؛ كهم يوسف، والقول فيهما واحد، وقد عفا الله عن حديث النفس، فنزل:

﴿ وَإِنْ كَادُوا ﴾^(٢) المعنى: إن الشأن قاربوا.

﴿ لَيَصْرِفُونَكَ ﴾ ليصرفونك بخدعهم.

﴿ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ من القرآن ﴿ لِيَفْتَرِيَ ﴾ لتقول ﴿ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ وَإِذَا ﴿ لَوْ فَعَلْتَ مَا طَلَبُوا مِنْكَ ﴾ لَاتَخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿ صديقاً.

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٣).
- (٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥).

جنة السنة

﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ ﴾ على الحقِّ بعصمتنا إياك .

﴿ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ المعنى : لقاربت أن تسكنَ إلى قولهم .

﴿ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ دليلٌ على أنه ﷺ عَصِمَ ولم يَرْكُنْ إليهم في شيءٍ ما ، فبعد أن عصمه خاطبه تحذيراً لغيره ، وتقديره : ولو رَكَنتَ .

﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ﴾ أي : عذابِ الدنيا .

﴿ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ في الآخرة ؛ أي : لعذبتك عذاباً مضاعفاً في

الدارين .

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ مانعاً يمنعُ عنكَ عذابنا .

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ ﴾ لينتزعونكَ بسرعةٍ .

﴿ مِنْ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ من أرضِ المدينة ، قالت له اليهودُ :

ما المدينةُ بأرضِ الأنبياء ، إنما أرضهم الشامُ ، وهي الأرضُ المقدسةُ ،

ولكنك تخافُ الرومَ ، فإن كنتَ نبياً ، فاخرجُ إليها ؛ فإن الله سيحميك كما

حَمَى غيرَكَ من الأنبياء ، فنزلتِ الآيةُ .

جنة السنة

﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾^(١) ولو خَرَجْتَ، لا يَيْتَمُونَ بعدَ خروجِكَ .

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بعد إخراجك كُنَّا نُهْلِكُهُمْ . قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (خِلَافَكَ) بفتحِ الخاءِ وإسكانِ اللامِ من غيرِ ألفٍ، وقرأ الباقون: (خِلَافَكَ) بكسرِ الخاءِ وفتحِ اللامِ وألفٍ بعدها، ومعناها واحدٌ^(٢) .

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(٧٧) .

[٧٧] ﴿سُنَّةَ﴾ نصبٌ مصدرٌ ﴿مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: هذه سنتنا أن الأمم إذا أخرجوا نبيهم، أو قتلوه، أهلكوا .

﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾ لعادتنا ﴿تَحْوِيلًا﴾ تغييراً .

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٧٨) .

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ ميلها من الزوالِ إلى الغروبِ، فيتناولُ صلاةَ الظهرِ والعصرِ ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ظلامه، يتناولُ المغربَ والعشاءَ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ١٦٦) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٧٠١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣٤/٣)، وفيها أن قراءة ابن عامر: «خلافك» .

جنة السنة

﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ﴾ صلاة الصبح، سُمِّيت قرآناً؛ لأن القرآن هو عَظْمُهَا؛ إذ قراءتها طويلةٌ مجهورٌ بها ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ تشهدُه ملائكةُ الليل وملائكةُ النهارِ إذا صَعِدَ هؤلاء ونزل هؤلاء.

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ ﴾ أي: وعليك صلاةٌ بعضِ الليل.

﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن، والتهجدُ لا يكون إلا بعد النوم.

﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ زيادةٌ على الفرائض، وكانت صلاةُ الليلِ فَرْضاً على النبي ﷺ وعلى أمته، فُنسخَ في حقِّ أمته بالصلواتِ الخمسِ، وبقي الوجوبُ في حقه، وذهب قومٌ إلى أنَّ الوجوبَ نُسِخَ في حقه كأمته.

﴿ عَسَىٰ ﴾ من الله واجبٌ، لأنه لا يدعُ أن يعطي عباده أو يفعلَ بهم ما أطمعهم فيه.

﴿ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ﴾ يوم القيامة فيقيمك.

﴿ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ هو مقامُ الشفاعة، يَغْبِطُهُ به الأولون والآخرون؛ لأنَّ كلَّ مَنْ قُصِدَ من الأنبياء للشفاعةِ يَحِيدُ عنها، ويُحِيلُ على غيره حتى يأتوا محمداً ﷺ للشفاعة، فيقول: «أَنَا لَهَا»^(١)، ثم يشفعُ، فيشفعُ فيمن كان من أهلها.

(١) رواه البخاري (٧٠٧٢)، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب - عز وجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (١٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

جنة السنة

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ مكة، المعنى: حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق مني، ولا تجعلني ذا الوجهين؛ فإن ذا الوجهين لا يجوز أن يكون أميناً، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة^(١).

﴿ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴾ حجة تنصرتني على المخالف.

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ الإسلام ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ بطل الكفر.

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ هالكاً عند مجيء الإسلام.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بإسكان النون الثانية،

وتخفيف الزاي، والباقون: بفتح النون وتشديد الزاي^(٢).

﴿ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ للقلوب من الضلالة، و(من) يصح أن تكون

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٨)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٥).

جنة السنة

لابتداء الغاية، ويصحُّ أن تكونَ لبيانِ الجنسِ؛ كأنه قال: ونُنزِلُ ما فيه شفاءً من القرآن، قال ابنُ عطية: وأنكرَ بعضُ المتأوِّلينَ أن تكونَ (من) للتبويضِ؛ لأنه تحفُّظٌ من أن يلزمه أن بعضه لا شفاءَ فيه، وليس يلزمه هذا، بل يصحُّ أن تكونَ للتبويضِ بحسبِ أن إنزاله إنما هو مبعَّضٌ؛ كأنه قال: (وننزلُ من القرآن) شيئاً شيئاً (ما) فيه كله (شفاءً)، واستعارةُ الشفاءِ للقرآنِ هو بحسبِ إزالته للريبِ، وكشفه غطاءَ القلبِ لفهمِ المعجزاتِ والأموهِ الدالةِ على الله تعالى المقررة لشرعه، انتهى (١).

﴿ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأنه سببُ الرحمة.

﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ نقصاً؛ لأنهم يُنكرون القرآنَ فيخسرون.

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ

يُوسًا ﴾.

[٨٣] ونزلَ فيمن كان يدعو ويلجأ إلى الله في البلاء، ويترك ذلك في الرخاء: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾ بسعةِ الرزقِ وكشفِ البلاءِ ﴿ أَعْرَضَ ﴾ ولى عن التضرُّع.

﴿ وَنَسَا بِجَانِبِهِ ﴾ بعدَ بناحيته، كأنه مستغنٍ مستبدياً بأمره. قرأ أبو جعفر، وابنُ ذكوانُ عن ابنِ عامرٍ: (وناء) بهمزةٍ بعدَ الألفِ، مثل فاعٍ وجاءَ من النَّوْءِ، وهو النهوضُ والقيامُ، والباقون: يجعلونَ الهمزةَ قبلَ الألفِ (٢)،

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/٤٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/٧١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

جنة السنة

وأمالَ الكسائيُّ وخلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ فتحه النونِ والهمزة، وأمالَ أبو بكرٍ عن عاصمٍ، والسوسيُّ عن أبي عمروٍ بخلافِ عنه، وخلاَّدٌ عن حمزةَ فتحَ الهمزةَ فقط، وفتحوا النونَ، وقرأَ الباقون: بفتحِ النونِ والهمزةَ على وزنِ نَعَى^(١).

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الشدة والبلاءُ ﴿كَانَ يَتُوسَّ﴾ شديد القنوطِ من رحمةِ اللهِ تعالى.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾^(٨٤)

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ طريقته.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أوضح طريقاً.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٨٥)

[٨٥] روى عبدُ الله بنُ مسعودٍ: أنه كانَ مع رسولِ الله ﷺ، فمرَّ على حرثٍ بالمدينة، وإذا فيه جماعةٌ من اليهود، فقالَ بعضهم لبعضٍ: سلوه عن الرُّوح، فإنَ أجابَ فيه، عرفتم أنه ليسَ بنبيٍّ، وذلكَ أنه كانَ عندهم في التوراةِ أنَّ الرُّوحَ مما انفردَ اللهُ تعالى بعلمه، ولا يُطلعُ عليه أحدٌ من عباده، قال ابنُ مسعودٍ: وقالَ بعضهم: لا تسألوه؛ لئلاً يأتِيَ فيه بشيءٍ تكرهونه،

= (٣٠٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٦-٣٣٥).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، والمصادر السابقة.

جنة السنة

قال: فسألوه، فوقف رسول الله ﷺ متوكئاً على عسيب، فظننت أنه يُوحى إليه، ثم تلا عليهم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (١).

قال الجمهور: وقع السؤال عن الأرواح التي في الأشخاص الحيوانية ما هي؟ فالروح اسم جنس على هذا، وهو الشكل الذي لا تفسير له، وفسرها جمهور المتكلمين بجسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وقال كثير منهم: إنها عرض، وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حياً، قال السهروردي: ويدل للأول وصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ، وقيل: هو جبريل، أو ملك أعظم منه ومن جميع الملائكة، وقيل: عيسى عليه السلام، وقيل: القرآن، قال ابن عطية: والأول أظهرها وأصوبها (٢)، قال الكواشي: واختلفوا فيه، وفي ماهيته، ولم يأت أحد منهم على دعواه بدليل قطعي، غير أنه شيء بمفارقة يموت الإنسان، وبملازمته له يبقى.

ثم أوماً تعالى إلى تعدد معرفته حقيقة بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من علمه ﴿وَمَا أُوتِشُرَ﴾ أيها المؤمنون والكافرون.

﴿مَنْ أَعْلَمَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في جنب علم الله تعالى، فالخطاب في هذا لجميع العالم، وهو الصحيح.

وحكي أن عظيم الروم كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله عن الروح، فكتب له الإمام عمر الآية الشريفة

(١) رواه البخاري (٤٤٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾،

ومسلم (٢٧٩٤)، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: سؤال اليهود

النبي ﷺ عن الروح.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٤٨٢/٣).

جنة السنة

﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ إلى آخرها، فأرسلَ عظيمُ الرومِ إليه أن هذا الجوابَ لا يكفيني، وإنما أريدُ جواباً أفهمه، فقال الإمامُ عمرُ: «لا أعرفُ غيرَ ذلك»، وكان ذلك بحضورِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فاستأذنَ الإمامُ عمرُ في ردِّ جوابِ عظيمِ الرومِ، فأذنَ له، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، الروحُ لطيفةٌ ربانيةٌ، نزلتْ من الخزائنِ الرحمانية، أُودِعَتْ في الهياكلِ الجثمانية، ضَمِنَ لها رزقها، وجعلها عندك رهناً، فإذا وفي بما ضَمِنَ، أخذ ما رهن»، انتهى.

﴿ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ .

[٨٦] ﴿ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ من القرآنِ كما منعنا علمَ الروحِ عنك وعن غيرك، اللامُ في (لَنذَهِبَنَّ) جوابُ قسمٍ محذوفٍ مع نيابته عن جزاء الشرط، تقديره: والله إن شِئْنَا ذَهَبْنَا بِالْقُرْآنِ، وَمَحْوَنَاهُ مِنَ الصَّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ .

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي: من يتوكلُ برَدِّ القرآنِ إليك .

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ .

[٨٧] ﴿ إِلَّا رَحْمَةً ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن لا نشاء ذلك .

﴿ مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ كإنزائه عليك، وإيقائه في حفظك .

جنة السنة

﴿ قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ﴿٨٨﴾ .

[٨٨] ﴿ قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ متظاهرين .

﴿ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ في البلاغة والإعجاز .

﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ لا يقدرُونَ على ذلك .

﴿ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ معيناً، نزلت حين قال الكفار: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ [الأنفال: ٣١]، فكذبهم الله عز وجل^(١)؛ لأنه في أعلى طبقات البلاغة، لا يشبه كلام الخلق؛ لأنه غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً، لآتوا بمثله .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ بيئنا ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقِعاً في الأنفس . قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) وشبهه بإدغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار^(٢) .

﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ جُحوداً للحق .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧١٤) .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧) .

جنة السنة

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ ﴿١١﴾ .

[٩٠] ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: المشركون تعنتاً واقتراحاً بعدما أَلزَمَهُمُ الحجة ببيان إعجاز القرآن، وانضمام غيره من المعجزات إليه .

﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ﴾ يا محمد ﴿ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ عيناً ينبعُ منها الماءُ . قرأ أبو عمرو: (نُؤْمِنُ لَكَ) بإدغامِ النونِ في اللام^(١)، وقرأ الكوفيون، ويعقوب: (تَفْجُرُ) بفتحِ التاءِ وإسكانِ الفاءِ وضمِّ الجيمِ وتخفيفِها؛ لأنَّ الينبوعَ واحدٌ، وقرأ الباقونَ: بضمِّ التاءِ وفتحِ الفاءِ وكسرِ الجيمِ وتشديدِها؛ من التفجير، واتفقوا على تشديدِ قوله: (فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ) لأنها جمعٌ، والتشديدُ يدلُّ على التكثيرِ، ولقوله: (تَفْجِيرًا)^(٢) .

﴿ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ .

[٩١] ﴿ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ ﴾ بستانٌ ﴿ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا ﴾ وَسَطُهَا ﴿ تَفْجِيرًا ﴾ تَشْقِيقًا .

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/٧١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٧).

جنة السنة

﴿ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَيْلًا ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] ﴿ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (كِسْفًا) بفتح السينِ جمعُ كِسْفَةٍ؛ أي: قطعة، وقرأ الباقون: بالإسكانِ على التوحيد، جمعه أكسافٌ وكسوفٌ^(١).

﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَيْلًا ﴾ ضَمِينًا لصحة قولك .

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ﴿٩٣﴾ .

[٩٣] ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرٍ ﴾ ذهب ﴿ أَوْ تَرْقَى ﴾ تصعد.

﴿ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ لصعودك .

﴿ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴾ فيه تصديقك .

﴿ قُلْ ﴾ قرأ ابنُ كثير، وابنُ عامرٍ: (قَالَ) بالألفِ إخباراً عن النبي ﷺ، وكذا هو في مصاحفِ أهلِ مكة والشام، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغيرِ ألفٍ على الأمر، وكذا هو في مصاحفهم؛ أي: قل يا محمد^(٢):

﴿ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ تنزيهاً لله من أن يتحكَّم عليه، أو تعجباً من اقتراحاتهم .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥-٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٩).

(٢) المصادر السابقة .

جنة السنة

﴿ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ أي: ما هذا في قوى البشر، وليس لبشر ولا لرسول الإتيان بشيء منه إلا بإذن الله.

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٩٤).

[٩٤] ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ ﴾ أي: أهل مكة.

﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ ﴾ القرآن.

﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ جهلاً منهم: ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ولم يبعث ملكاً؟ فلا تؤمن به.

﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٩٥).

[٩٥] فردّ تعالى عليهم بقوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ كمشي الإنس؛ أي: لو سكن الأرض ملائكة، واستقرّوا فيها.

﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ لأن رسول كل قوم من جنسهم؛ لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٩٦).

[٩٦] ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: رسوله إليكم.

جنة السنة

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ يعلم أحوالهم، فيجازيهم، فيه تسلية للنبي ﷺ، وتهديد للكفار.

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكَا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ .

[٩٧] ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ أثبت نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء في (المهتدي) وصلًا، ويعقوب في الحالين، وحذفها الباقر فيهما^(١).

﴿ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يهدونهم.

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ أي: يُسحبون عليها في النار، قيل للنبي ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»^(٢) ﴿ عُمِيَٰ ﴾ لا يُبصرون ما يُقَرُّ أعينهم ﴿ وَبُكَا ﴾ لا ينطقون بحجة ﴿ وَصُمًّا ﴾ لا يسمعون ما يلتذون به.

﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ سكن لهيئها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٤٦٧/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٢)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ... ﴾، ومسلم (٢٨٠٦)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: يحشر الكافر على وجهه، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

جنة السنة

﴿ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴾ تَلَهَّبًا وَاشْتِعَالًا، فالزيادة في حَبْرِهِمْ، وأما جهنم، فعلى حالها من الشدة لا يُصِيبُهَا فَتُورٌ. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (حَبَّتْ زُدْنَاهُمْ) بإدغام التاء في الزاي، واختلف عن هشام راوي ابن عامر، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١).

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا أَيْذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا أَيْذَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (٩٨).

[٩٨] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا أَيْذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا أَيْذَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ تقدم تفسير نظيرها، والتنبيه على مذاهب القراء فيها في السورة.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٩٩).

[٩٩] فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ في عظمها وشدتها.

﴿ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ في صغرهم وضعفهم.

﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا ﴾ وَقْتًا لِعَذَابِهِمْ.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٩).

جنة السنة

﴿لَارِيَبَ فِيهِ﴾ أنه يأتيهم، وهو الموتُ أو القيامةُ.

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ عناداً.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (١٠٠).

[١٠٠] ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ المعنى: لو ملكتم ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾
أي: رزقي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّي) بفتح الياء،
والباقون: بإسكانها^(١).

﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ لَبِخَلْتُمْ ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ والفاقة.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ضيقاً بخيلاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَخَّلَ بِنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ
لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١٠١).

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: دلالاتٍ واضحاتٍ،
وهي في قول جمهور المفسرين: بياضُ اليد، والعصا، والظوفان،
والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وحلُّ عقدةٍ من لسانه، وانفلاقُ
البحر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٩)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٣/٣٤٠).

جنة السنة

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ثنا يزيد، أنبا شعبة، عن عمرو بن مرة، سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقال: لا تقل له نبي، فإنه لو سمعك، لصارت له أربعة أعين، فسألاه، فقال النبي ﷺ: «لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِرِجْلَيْ إِدْرِيسَ إِلَى دِي سُلْطَانَ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنًا، أَوْ قَالَ: وَلَا تَفْرُوا مِنَ الرَّحْفِ، شعبة هو الشاك، وأنتم يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت»، فقبلا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبِعَانِي؟»، قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي، فإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود^(١).

﴿فَسَلِّ﴾ يا محمد من آمن من ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه؛ لتحتج به على من لم يؤمن. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلِّ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(٢).

﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى. قرأ أبو عمرو، وهشام عن ابن عامر: (إِذْ جَاءَهُمْ)

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩/٤)، والترمذي (٢٧٣٣)، كتاب الاستئذان، باب: ما جاء في قبلة اليد والرجل، وقال: حسن صحيح، وغيرهما.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨٥/٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٠).

حنة السنة

بإدغامِ الذالِ في الجيمِ، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ سُحِرْتَ، فَتَخَبَّطَ عَقْلُكَ .

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا ﴾ .

[١٠٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾: قرأ الكسائي: (عَلِمْتُ) بضم التاء، يخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور، وأن ما جاء به حق، وقرأ الباقر: بفتح التاء خطاباً لفرعون^(٢)؛ لأنه كان في حجره، ولم يكن رأى منه شيئاً يدل على ذلك؛ أي: لقد علمت أنني لست بمسحور.

﴿ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ ﴾ الآياتِ التسع ﴿ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولكِنَّ عانَدت. واختلافُ القراءة في (هَؤُلَاءِ إِلَّا) كاختلافهم في (هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ) في سورة البقرة ﴿ بَصَايِرَ ﴾ بيناتٍ تَبَصَّرُكَ صِدْقِي، وانتصابه على الحال ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا ﴾ هالِكاً ملعوناً.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦-٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/٧٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٠-٣٤١)، وقراءة نصب التاء أصح في المعنى، وعليه أكثر القراء؛ لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي رضي الله عنه رفع التاء؛ لأنه روي عن رجل من مراد - وهو كلثوم المرادوي وهو مجهول - عن علي، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي. اهـ كذا قاله البغوي.

جنة السنة

﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ (١٠٣) .

[١٠٣] ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعون ﴿ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ ﴾ أي: يخرجهم: موسى

وقومه .

﴿ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ تأكيد .

﴿ وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (١٠٤) .

[١٠٤] ﴿ وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد إهلاكه .

﴿ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ أي: أرض الشام ومصر .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ وهي الساعة .

﴿ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة ﴿ لَفِيفًا ﴾ جمعاً مختلطين .

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٠٥) .

[١٠٥] ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ يعني: القرآن، أنزلناه بالدين القائم وبالأمير

الثابت .

﴿ وَبِالْحَقِّ ﴾ بالأوامر والنواهي ﴿ نَزَّلْ ﴾ القرآن .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمطيعين ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للعاصين .

حنة السنة

﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْتَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴾ (١٠٦).

[١٠٦] ﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْتَهُ ﴾ قراءة العامة: (فَرَقْنَاهُ) بتخفيفِ الرَّاءِ؛ أي: بَيَّنَّاهُ وأَوْضَحْنَاهُ، وَقُرْءَانَا عَنْ عَاصِمٍ: بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ؛ أَي: أَنْزَلْنَاهُ نُجُوماً شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ (١).

﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ قراءة العامة: (مُكْثٍ) بِضَمِّ المِيمِ، وَقُرْءَانَا عَنْ عَاصِمٍ: بِفَتْحِ المِيمِ، وَهَمَّا لَغْتَانِ (٢) مَعْنَاهُمَا تُوَدَّةٌ وَتَثَبُّتٌ لِيَفْهَمُوهُ. وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿ حَسَبَ الحَوَادِثِ.

﴿ قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِءِ أَوْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً ﴾ (١٠٧).

[١٠٧] ﴿ قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِءِ أَوْ لَا تُؤْمِنُونَ ﴾ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ وَتَحْقِيرٌ لِلْكَفَّارِ. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِءِ ﴾ أَي: مِنْ قَبْلِ القُرْءَانِ، وَهَمَّ العُلَمَاءُ الَّذِينَ قَرَأُوا الكُتُبَ السَّابِقَةَ، وَعَرَفُوا حَقِيقَةَ الوَحْيِ وَأَمَارَةَ النُّبُوَّةِ. ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ القُرْءَانُ ﴿ يَخِرُّونَ ﴾ يَسْقُطُونَ ﴿ لِلْأَذْقَانِ ﴾ أَي: عَلَيْهَا، وَالأَذْقَانُ جَمْعُ ذَقْنٍ، وَهُوَ مَجْمَعُ اللِّحْيَيْنِ. ﴿ سُجَّداً ﴾ تَعْظِيماً لِلَّهِ تَعَالَى، وَنَصْبُهُ عَلَى الحَالِ.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧٢٢١/٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢٣/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤٢/٣).

(٢) ذكر هذه القراءة العكبري في «إملاء ما من به الرحمن» (٥٣/٢)، والفخر الرازي في «تفسيره» (٦٨/٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤٢/٣)، عن ابن محيصن، وهي قراءة شاذة.

جنة السنة

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعَدَ رَبُّنَا لِمَفْعُولٍ ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

[١٠٨] ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا ﴾ عن خلفِ الموعدِ .

﴿ إِنْ كَانَ وَعَدَ رَبُّنَا لِمَفْعُولٍ ﴾ كائناً لا محالة .

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ ﴿١٠٩﴾ .

[١٠٩] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ كَرَّرَ القولَ لتكثُرِ الفعلِ منهم ، وهذه مبالغةٌ ومدحٌ لهم ، وذكرَ الذقنَ ؛ لأنها أقربُ ما في رأسِ الإنسانِ إلى الأرضِ ، لا سيما عندَ سجوده .

﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ القرآنُ ﴿ خُشُوعًا ﴾ تواضعاً ، وهذا محلُّ سجودِ بالاتِّفاقِ ، وتقدّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوةِ وحكمه ، وسجودِ الشكرِ آخرَ سورةِ الأعرافِ مستوفى .

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ ﴿١١٠﴾ .

[١١٠] قال ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنه : «سجدَ رسولُ اللهِ ﷺ بمكةَ ذاتَ ليلةٍ فجعلَ يقولُ في سجودهِ يا اللهُ يا اللهُ يا رَحْمَنُ» ، فقال أبو جهلٍ : إن محمداً ينهانا عن آلهتنا ، وهو يدعو إلهين ، فأنزل اللهُ : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ^(١) المعنى : أنهما اسمانِ لواحدٍ ، فإن دعوتهمُ باللهِ ، فهو ذلكَ ،

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/١٨٢) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٩) ، و«تفسير البغوي» (٢/٧٢٣) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/٣٤٨) .

حنة السنة

وإن دعوتموه بالرحمن، فهو ذلك. قرأ عاصم، وحمزة: (قُلِ ادْعُوا) (أو ادْعُوا) بكسر اللام والواو في الوصل، وافقهما يعقوب في كسر اللام فقط، وقرأ الباقون: بضمهما^(١).

﴿ أَيَا مَا تَدْعُونَ ﴾ و(ما) صلة، مجازة: أَيَا تَدْعُو؛ كقوله (عَمَّا قَلِيلٍ) و(جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ)، وتقديره: أَيَّ الأسماء تدعو به، فأنت مصيب، ووقف حمزة، والكسائي، ورويس عن يعقوب على قوله: (أَيَا) دون (ما)، وعوضوا من التنوين ألفاً، وبيدئون (مَا تَدْعُوا) بتقدير: الذي تدعوه، ووقف الباقون على (ما)^(٢).

﴿ فَكَلِمَةً ﴾ سبحانه ﴿ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ التي تقتضي أفضل الأوصاف.
 ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي: بقراءتك في صلاتك، فَيَسْبَبُكَ المشركون.
 ﴿ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا ﴾ ولا تخفيها عن أصحابك المصلين معك.
 ﴿ وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ الفعل، وهو الجهر، والمخافة.
 ﴿ سَبِيلًا ﴾ طريقاً وسطاً.

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٤)، ورويت القراءة بضم اللام عن يعقوب.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٣).

جنة السنة

[١١١] ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ قال الحسين بن الفضل: يعني: الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً^(١)، والآية ردُّ على اليهود والنصارى والعرب في قولهم: عزيزٌ وعيسى والملائكة ذرية الله، تعالى عن أقوالهم.

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ في الألوهية ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِكٌ مِنَ الدَّلِيلِ ﴾ أي: لم يذلل فيحتاج إلى ولي يتعزُّ به، وهو ردُّ على العرب في قولهم: لولا أولياء الله لذلل.

﴿ وَكَرِهَ ﴾ عن أن يكون له شريك أو ولي ﴿ تَكْبِيرًا ﴾ قال عمر رضي الله عنه: «قَوْلُ الْعَبْدِ: اللهُ أَكْبَرُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، وهي أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال، ثم أكَّدها بالمصدر تحقيقاً لها وإبلاغاً في معناها، والله أعلم^(٢).

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٧٢٥).

(٢) إلى هنا تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف لتفسيره، والمكون من جزأين، وجاء في آخره: «قال جامع عفا الله عنه بكرمه: وكان الفراغ من جمع هذا الجزء عقب صلاة الظهر من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر صفر ختم بالخير والظفر سنة أربع عشرة وتسع مئة من الهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية والبركة والإكرام وكان جمعه بالمسجد الأقصى الشريف شرفه الله وعظمة بقبة موسى عمَّرها الله بذكره ووافق الفراغ من تبيضه عقب صلاة الظهر من يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع عشرة وتسع مئة، الحمد لله وحده وصلواته على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلامه، حسينا الله ونعم الوكيل».

* هذا وقد وقع في النسخة الخطية «ش» خرم من قوله: «واستعارة الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للريب، وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات» (ص: ١٢٥) من هذا المجلد إلى هنا.



مكية في قول جميع المفسرين، ورُوي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ والأول أصح، أيها: مئة وعشر^(١) آيات، وحروفها: ستة آلاف وثلاث مئة وستون حرفاً، وكلمتها: ألف وخمسة مئة وسبع وسبعون كلمة، وهي من أفضل سور القرآن، ورُوي عن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِسُورَةٍ عَظِيمَةٍ كَمَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمَنْ جَاءَ بِهَا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ ذَلِكَ؟» قالوا: أي سورة هي يا رسول الله؟ قال: «سُورَةُ الْكَهْفِ، مَنْ قَرَأَ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَزِيَادَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَمَنْ قَرَأَ بِهَا، أُعْطِيَ نُورًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَوُقِيَ بِهَا فِتْنَةُ الدَّجَالِ»^(٢)»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾

(١) في «ت»: «عشرون».

(٢) في «ت»: «القبر».

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» عن إسماعيل بن أبي رافع بلاغاً، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٤٧٥).

جنة السنة

[١] لما سألت قريشُ رسولَ الله ﷺ عن المسائلِ الثلاثِ: الرُّوحِ والكهفِ وذي القرنينِ حَسَبَ ما أمرهم به اليهودُ، قالَ لهم رسولُ الله: «غَدًا أُخْبِرُكُمْ»، ولم يقل: إن شاء الله، فعوتبَ بلبثِ الوحيِ عنه خمسةَ عشرَ يوماً، فأرجفَ به المشركونَ، وقالوا: إنَّ محمداً قد تركه ربيُّه الذي كان يأتيه من الجنِّ، وقال بعضهم: قد عجزَ عن أكاذيبه، إلى غيرِ ذلك، فسقَّ ذلكَ عليه، فجاءه الوحيُّ من الله سبحانه بالجوابِ، فافتتحه بحمدِ الله تعالى، فقال الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١) أي: الشناء له، وتقدّم الكلامُ عليه مستوفى في سورة الفاتحة.

﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لِمُعْجَزَاتِهِ وَالْعِوَجُ: فَقَدْ اسْتَقَامَةً، وهو بكسر العين في المعاني، وفتحها في الأشخاص؛ كالعصا والحائط ونحوهما.

﴿قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

[٢] ﴿قِيَمًا﴾ مستقيماً نصبٌ على الحال، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، مجازُهُ: أنزلَ على عبده الكتابَ قِيَمًا، ولم يجعلْ له عِوَجًا، قال ابنُ عطية: ويصحُّ أن يكونَ معنى (قيماً): قيامُهُ بأمرِ الله تعالى على العالمِ^(٢).

وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عنى العالم، وكان حفص عن عاصم يسكت يسيراً على (عِوَجًا)؛ تنبيهاً على تمام الوقف

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٣٨٥/١٠).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٤٩٥/٣).

جنة السنة

عليه، ثم يقول: (قِيَمًا)^(١) ﴿لِيُنذِرَ﴾ الكافرين ﴿بِأَسَاءٍ﴾ عذاباً.

﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من عنده. روى أبو بكر عن عاصم: (لَدُنْهِ) بسكون الدال وإشمامها الضم من غير صوت يسمع؛ دلالة على أن أصلها الضم، وبكسر النون والهاء وصلتها بياء في اللفظ، فكسر النون لسكونها وسكون الدال قبلها، وكسر الهاء إتياع، وقرأ الباقون: بضم الهاء والدال، وإسكان النون، وابن كثير على أصله في الصلة بواو^(٢).

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو نعيم الجنة وما يتقدمه من خير الدنيا.

﴿مَكْثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾

[٣] ﴿مَكْثِينَ﴾ مقيمين.

﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ ظرف دال على زمن غير متناه. قرأ حمزة، والكسائي (وَيُبَشِّرُ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها؛ من البشر، وهو البشري والبشارة. وقرأ الباقون بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من بَشَّرَ المضعف على التكرير^(٣).

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٢/٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٨-٣٤٧).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٤٨).

جنة السنة

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [٤].

[٤] ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ وهم ثلاث طوائف: اليهود في عزير، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة.

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [٥].

[٥] ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ ﴾ باتخاذ الولد لله تعالى ﴿ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ من قبلهم؛ لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى ﴿ كَبُرَتْ ﴾ عظمت ﴿ كَلِمَةً ﴾ نصب على التمييز ﴿ تَخْرُجُ ﴾ أي: تظهر ﴿ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ وهي قولهم: اتخذ الله ولداً^(١) ﴿ إِنْ ﴾ أي: ما ﴿ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ فهي (ما) النافية.

﴿ فَلَعَلَّكَ بِخَيْغِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [٦].

[٦] ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا تكن كذلك. وقوله: ﴿ بِخَيْغِ نَفْسِكَ ﴾ أي: قاتلها ﴿ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ﴾ من بعد ذهابهم عنك.

﴿ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن ﴿ أَسَفًا ﴾ حزناً على فوات إيمانهم.

(١) «وهي قولهم: اتخذ الله ولداً» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا ﴾ والمراد بما على الأرض: كل ما يزينها من علماء وصلحاء ونبات وزخارف ونحوه، ولم يدخل في هذا الجبال الصم، وكل ما لا زينة فيه؛ كالحيات والعقارب ونحوها ﴿ لِنَبْلُوهُمْ ﴾ لنختبر الناظرين إليها.

﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أزهد في الدنيا.

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ أي: الأرض.

﴿ صَعِيدًا ﴾ أملس مستويًا.

﴿ جُرُزًا ﴾ غليظًا يابسًا لا ينبت.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ثم جاء بما هو أعجب من ذلك فقال:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ أي: بل ظننت.

﴿ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾ الغار في الجبل.

﴿ وَالرَّقِيمِ ﴾ لوح رُقم فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم، ثم وضعوه

جنة السنة

على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص، والرقيم بمعنى: المرقوم؛ أي: المكتوب، والرقم: الكتابة^(١).

﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي: كانوا آية يعجب بها من علمها، وفيه معنى الإنكار على السائلين عن أصحاب الكهف؛ كأنه قال: لا تعجبوا من أمرهم، ففيما خلقناه من صنوف الخلق ما هو أعجب منه.

﴿إِذْ أَوْىٰ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ أَوْىٰ الْفِتْيَةُ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكامل.

﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: رجعوا وهربوا إليه، وأما خبر مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح يعبدون الله تعالى، وكان ملك منهم يقال له: دقيانوس قد عبد الأصنام، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، فلا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، أو يقتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وسيأتي ذكرها، فهرب أهل الإيمان منه، وكان حين قدمها أمر أن يجمع له أهل الإيمان، فمن وقع به خيره بين القتل وبين عبادة الأوثان، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله، فيقتل.

(١) ورد على هامش «ش»: «وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا...» وتتمة الكلام مقدار عشرة أسطر، إلا أنها مطموسة.

جنة السنة

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله، جعلوا يسلمون أنفسهم للعداب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها، وعلى كل باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك هؤلاء الفتية، حزنوا حزناً شديداً، وأقبلوا على الصيام والقيام والتسبيح والدعاء، وكانوا سبعة في قول ابن عباس، وأسماءؤهم عنده: مكشلمينا، ويمليخا، ومرطونس، ونينوس، وسارينوس، ودوانانس، وكفشطيوخس، وقيل: كانوا ثمانية، وكثر الاختلاف في أسمائهم وأنسابهم وحرفهم واسم كلبهم ولونه^(١).

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ أي: رزقاً.

﴿وَهَيَّيْ﴾ وأصلح ﴿لَنَا مِن أَمْرِنَا﴾ الذي نحن فيه، وهو الإيمان وترك

الكفر.

﴿رَشَدًا﴾ صواباً، أي: اجعلنا راشدين. قرأ أبو جعفر (وَهَيَّيْ)

و(يَهَيَّيْ) بإسكان الياء الثانية بغير همز^(٢).

فظهر عليهم، وحملوا إلى الملك فقال: اختاروا إما أن تدعنوا آلهاتنا،

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٧٩/٣) عن أسماء الفتية: «... وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته، والله أعلم، فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا﴾ أي، سهلاً هيئاً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة». وقال أيضاً (٧٧/٣) عن لون الكلب: «واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٩٠/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤٩/٣، ٣٥١).

جنة السنة

وإما أن أقتلكم، فقال مكشلمينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً ملك السموات والأرض جلت عظمته، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، وقال بقية الفتية لدقيانوس كذلك، فقال الملك: ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب، ورأيت أن أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، فأخذوا من بيوتهم نفقة، وخرجوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس، واسم الكهف حيرم، وأقاموا به يعبدون الله فيه، واتبعهم كلب كان لهم، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، وهو يملیخا، وكان من أجملهم وأجلدهم، فكان يبتاع طعامهم من المدينة سراً، فإذا دخل المدينة، لبس ثياب المساكين، ويشتري طعامهم، ويتجسس لهم الأخبار، ولبثوا كذلك زمناً حتى أخبرهم يملیخا أن الملك يطلبهم، ففرعوا لذلك، وحننوا، فبينما هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف.

﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١).

[١١] قال الله تعالى: ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ أي: أنمناهم إنامة ثقيلة ﴿ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ ﴾ ظرف لـ (ضربنا) ﴿ عَدَدًا ﴾ نعت (سنين) أي: معدودة، وتخصيص الآذان بالذكر؛ لأنها الجارحة التي منها عظمُ فساد النوم، وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحکم نوم إلا مع تعطل السمع.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (١٢).

[١٢] وألقي النوم عليهم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، فسمع الملك أنهم بجبل بنجلوس، فألقى الله في نفسه أن يأمر

جنة السنة

بالكهف فيسد عليهم حتى يموتوا جوعاً فيه، وظنهم أيقاظاً وهم رقود، أراد الله تعالى أن يكرمهم، وأن يجعلهم آية، وكان القوم يُقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ثم عمد رجلان كانا مؤمنين في بيت الملك يكتمان إيمانهما اسم أحدهما يندروس، والثاني روناس، فكتبا شأن الفتية وأنسابهم في لوح من رصاص، وجعله في تابوت من نحاس، وجعله في البنيان، فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات وقومه وقرون بعده، وخلفت الملوك بعد الملوك، ثم مَلَكَ تلك البلاد رجل صالح اسمه نيدوسيس ثمانياً وعشرين سنة، فتحزب الناس في ملكه، فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ومنهم من يكفر ويكذب بالساعة، فبكى الملك الصالح، وتضرع إلى الله حين رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ثم دخل بيته وأغلق بابه، ولبس مُسوحاً وجعل تحته رماداً، وجعل يتضرع إلى الله تعالى، ويبكي ويدعو الله أن يظهر لهم آية يبين لهم بطلان ما هم عليه، حتى أراد الله أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية؛ ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح، ويجمع كلمة المؤمنين، فألقى في نفس رجل من ذلك البلد الذي به الكهف أن يهدم بنيان فم^(١) الكهف، فبيني حظيرة لغنمه، فهدمه، وحجبه الله بالرعب حتى لا يقدر أن يتقدم حتى ينظر إليهم، وكلبهم دونهم، وأذن الله للفتية أن يجلسوا، فجلسوا مستبشرين، فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون بها إذا أصبحوا من ليلتهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم بعد ما أنماهم.

(١) «فم» ساقطة من «ت».

جنة السنة

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وإلا فقد كان الله تعالى علم ﴿أَيُّ الْحَزْبَيْنِ﴾ الفريقين ﴿أَحْصَى﴾ أحفظ ﴿لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ المعنى: أيهم أضبط غاية لأوقات لبثهم.

قال ابن عطية: والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية؛ إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عهدهم التاريخ بأمر الفتية، قال: وهذا قول الجمهور من المفسرين^(١).

وقيل: المراد بالحزبين: المختلفين في مدة لبثهم، وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك نيدوسيس، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف، فقال المسلمون الأولون: مكثوا ثلاث مئة سنة وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل مكثوا كذا وكذا، وقال آخرون: الله أعلم بما لبثوا.

فلما استيقظ الفتية من نومهم، قاموا إلى الصلاة، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يرون في وجوههم ولا في أبدانهم شيئاً ينكرونه، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم، فلما قضاوا صلاتهم، قالوا لصاحب نفقتهم: أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشي أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد يخيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٠٠).

جنة السنة

في أنفسهم يسير، فقال لهم^(١) صاحب نفقتهم: إن الملك أراد قتلكم، أو تذبخوا للطواغيت، فقال كبيرهم: يا إخوتاه! اعلموا أنكم ملاقو الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ثم قالوا لصاحب نفقتهم: انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال بها، وما الذي نُذكر به عند دقيانوس، وتلطف، ولا تشعرن بك أحداً، وابتع لنا طعاماً فأتنا به، وزدنا على الطعام الذي جئتنا به، فقد أصبحنا جوعاً، ففعل كما كان يفعل، ووضع ثيابه^(٢) وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس، وانطلق خارجاً، فلما مر بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن بابه، فعجب منها، ثم مر ولم يبالي بها حتى أتى باب المدينة، فنظر في أعلى الباب علامة أهل الإيمان، فاستخفى وتحول إلى باب آخر، فرأى مثل ذلك، حتى خيلَ إليه أن المدينة ليست بالذي كان يعرف، ورأى ناساً يحلفون باسم عيسى، ولم يميز منهم أحداً، فازداد حيرة، وظن أنه نائم، فسأل عن اسم المدينة، ف قيل له: أقسوس، فقال: لعل عقلي ذهب، فدفع الورق إلى البائع ليشتري طعاماً، فعجب البائع من الورق، وطرحها إلى رجل من أصحابه، فجعلوا ينظرون إليها، ويقول بعضهم لبعض: إن هذا رجل قد أصاب كنزاً، وجعل أهل المدينة يقولون: ما رأينا هذا الفتى قط، فحملوه إلى رجلين كانا رأسي المدينة ومدبري أمرها، وهما صالحان، اسم أحدهما أزيوس، والآخر أضطيوس، فنظرا إلى الورق، فعجبا منه، فقال أحدهما: أين الكنز يا فتى؟ فقال: ما وجدت

(١) «لهم» زيادة من «ت».

(٢) «ثيابه» زيادة من «ت».

حنة السنة

كنزاً، وهذا الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، وإني رجل من أهل المدينة، أنا فلان بن فلان، فلم يعرفه أحد، ولا عرف أباه، قالوا: فنقش هذا الورق من ثلاث مئة سنة، وأنت غلام شاب؟! فقال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: ما نعرف على وجه الأرض اليوم هذا الاسم إلا ملك قد هلك، وهلك بعده قرون، قال لهم: فما يصدقني أحد، لقد كنا فتية، وكان الملك أكرهنا على عبادة الأوثان، فهربنا منذ أيام إلى الكهف، وخرجت لأشتري لأصحابي طعاماً، وأتجسس الأخبار، فانطلقوا معي إلى الكهف في جبل بنجلوس؛ لأريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول، قال: يا قوم! لعل هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، فلما سمع أصحاب الكهف الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، جزعوا وظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم، فسبق إليهم صاحبهم، وقص عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بإذن الله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث، ثم فتحوا التابوت النحاس الموضوع بباب الكهف، فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما أسماؤهم، وأنهم كانوا فتية آمنوا وهربوا من ملكهم دقيانوس الجبار؛ مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم، أمر بسد الكهف عليهم، فكتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم، فلما قرؤوه، عجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوساً مشرقاً وجوههم لم تبل ثيابهم، وجاء الملك

جنة السنة

الصالح نيدوسيس حتى وقف عليهم، واعتنقهم، وبكى، فدعوا له، فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، فتوفى الله أنفسهم، فأمر الملك أن يجعلوا في توابيت الذهب، ثم رآهم في المنام، فقالوا له: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، وإنما خلقنا من تراب، وإلى التراب نصير، فأمر الملك بتابوت من ساج، فجعلوا فيه، وحجبه الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على الدخول إليهم، فأمر الملك، فجعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة. وقد حكى المفسرون والمؤرخون قصة أهل الكهف على وجوه كثيرة بألفاظ مختلفة، والله أعلم^(١).

﴿ تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [١٣].

[١٣] قال الله تعالى: ﴿ تَحْنُ نَقْصُ ﴾ نزل ﴿ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ ﴾ خبر الفتية ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ شبان وأحداث، حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، ولذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان.

﴿ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ثبتناهم على ذلك.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠٠/١٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣٦٣/٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٧/٣)، وما بعدها.

جنة السنة

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ۗ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قويناها على قول الحق، وصبرناها على هجر الأوطان ﴿ إِذْ قَامُوا ﴾ بين يدي الملك ديقيانوس حين أمرهم بالسجود للأصنام وعبادة غير الله تعالى ﴿ فَقَالُوا ﴾ مخلصين رادين عليه ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَهًا ﴾ ولئن دعونا إلهاً غيره ﴿ لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ جوراً، والشطط: هو الإفراط في الظلم.

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۗ ءِالِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ۗ ﴾ .

[١٥] ثم أنكروا حال قومهم فقالوا: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۗ ﴾ تعالى .

﴿ ءِالِهَةً لَّوَلَا ﴾ هلاً ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ على عبادة الأصنام ﴿ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ حجة ظاهرة ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ ﴾ فزعم أن معه إلهاً شريكاً؟!

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۗ ﴾ .

[١٦] ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ أي:

جنة السنة

اعتزلتم قومكم ومعبودهم ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ فإنكم لم تعتزلوا عبادته، المعنى: إذ بعدتم عن قومكم ومرادهم.

﴿فَأَوْوِا إِلَى الْكَهْفِ﴾ فالجؤوا إليه.

﴿يَشُرُّ﴾ ييسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بأن يسهلها عليكم ويعيدكم من عدوكم. قرأ أبو عمرو (يَشُرُّ لَكُمْ) بإدغام الراء في اللام من رواية السوسي، واختلف عنه من رواية الدوري، والوجهان صحيحان عن أبي عمرو^(١) ﴿وِيَهَيِّئْ﴾ يسهل ﴿لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ما يرتفق به الإنسان، قالوا ذلك توكلاً على الله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مَرْفَقًا) بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون: بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناها واحد.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا﴾ [١٧].

[١٧] ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ قرأ ابن عامر، ويعقوب: (تَزَوَّرُ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف؛ مثل: تحمَّرُ، وقرأ الكوفيون: بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء، أصله: تتزاور، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وقرأ الباكون: بتشديد الزاي وإثبات الألف، أصله تتزاور، قلبت التاء الثانية زايًا، ثم أدغمت،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٨/٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٠).

جنة السنة

والقراءات بمعنى واحد^(١)؛ أي: تميل وتعدل عن كهفهم.

﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ظرف لـ(تزاور)، والمعنى: نحو الجهة المسماة باليمين.

﴿وَإِذَا غَرَبَتِ نَقْرَضُهُمْ﴾ تجاوزهم، وتعدل عنهم.

﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وأصل القرض: القطع، ومنه سمي المقرض؛ لأنه يقطع به.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: متسع من مكان^(٢) الكهف، يصل إليهم النسيم، ويدفع عنهم كرب الغار ووخمه، ولا تصل إليهم الشمس عند طلوع ولا غروب.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ عجائبه الدالة على قدرته، ثم مدحهم فقال:

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ بأن فتح له طريق الهداية فسلكها ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ أي: المخلص في إيمانه الذي أصاب الفلاح. أثبت نافع وأبو جعفر وأبو عمرو الياء في (المهتدي) وصلاً، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«تفسير البغوي» (١٨/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٢/٣).

(٢) «مكان» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٣/٣).

جنة السنة

وذم ضدهم فقال: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ أي: يضلله تعالى بخذلانه.

﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ يرشده إلى فلاحه.

﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنَقَلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ
وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلِيَّتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَلَمَلِثَتْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (١٨).

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيَقَاطًا﴾ جمع يَقُظ؛ كعُضد؛ أي:

منتبهين؛ لأنهم كانت أعينهم مفتحة في نومهم ﴿وَهُمْ رُفُودٌ﴾ نيام، جمع راقد، ويتنفسون مع ذلك ولا يتكلمون ﴿وَنَقَلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ مرة للجنب الأيمن، ومرة للجنب الأيسر.

قال ابن عباس: «كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب؛ لثلاث تآكل الأرض لحومهم»^(١)، ويقال: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ﴾ مادُّ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ والوصيد: العتبة التي لباب الكهف، أو موضعها حيث ليست على الأصح، وقيل: هو فناء الباب، والباب الموصد: هو المغلق، وأكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب.

قال ابن عباس: «كان كلباً أنمر، واسمه قطمير»^(٢)، وقيل كان أسداً،

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣٦٦/٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣٧٣/٥).

جنة السنة

ويسمى الأسد كلباً، فكانوا إذا انقلبوا انقلب موافقة لهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة.

﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لو نظرت إليهم يا محمد.

﴿لَوْلَيْتَ﴾ لرجعت هيبه وخوفاً.

﴿مِنْهُمْ فِرَاراً﴾ هارباً؛ لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله من رقدتهم.

﴿وَلَمَلَيْتَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: بتشديد اللام الثانية، والباقون بتخفيفها، وأبو جعفر وأبو عمرو بيدلان الهمز ياءً، وكلها لغات بمعنى: لامتلأت^(١).

﴿مِنْهُمْ رُعباً﴾ خوفاً؛ لما ألبسهم الله من الهيبة، ولعظم أجرامهم، وانفتاح عيونهم، ولوحشة مكانهم. قرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: (رُعباً) بضم العين، والباقون: بإسكانها^(٢).

وعن ابن عباس قال: «غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء، فنظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع ذلك من هو خير منك، فقال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾، فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيشير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٢٠/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٥-٣٥٤/٣).

(٢) انظر: «التيشير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٥/٣).

جنة السنة

دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً، فأخرجتهم»^(١).

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أي: كما أنماهم هذه المدة بقدرتنا، مثل ذلك أيقظناهم ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ عن حالهم وما جرى لهم.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ وهو رئيسهم مكشلمينا: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ في نومكم؛ لأنهم استكثروا طول نومهم. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) (لَبِثْتَ) بإظهار التاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام^(٢).

﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾ لأنهم دخلوا الكهف طلوع الشمس، وبعثهم الله آخر النهار، فلما رأوا الشمس، قالوا: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فلما نظروا إلى

(١) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣٠١/٢)، و«تغليق التعليق» لابن حجر (٢٤٤/٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣٦٦/٥). قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٧٦/٣): «ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً، والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه، وقد أعلمنا الله بصفته، ولم يعلمنا بمكانه».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٥/٣).

جنة السنة

أظفارهم وأشعارهم، تيقنوا أن لبثهم أكثر من يوم.

فثم: ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمُ فَآبَعْتُمْوَأَحَدَكُمُ ﴾ يعني: يملخوا ﴿ بَوْرِقِكُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب (بَوْرِقُكُمْ) بإسكان الراء، والباقون: بكسرها^(١)، والقراءتان معناهما واحد، وهي الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، المعنى: فأرسلوا واحداً منكم بفضتكم ﴿ هَذِيهٖ ﴾ المعدة للنفقة ﴿ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ التي خرجنا منها، وهي المسماة في الإسلام طرسوس، وكان اسمها في الجاهلية أقسوس.

﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا ﴾ يعني: أي أهلها ﴿ أَزْكَى طَعَامًا ﴾ أحل وأطيب؛ لأنهم كان فيهم من يذبح للطواغيت ﴿ فليأتكم بَرِّقٍ ﴾ بشيء. ﴿ مِنْهُ وَلِيَتَلَطَّفَ ﴾ يترقق في الشراء، وفي طريقه، وفي دخوله^(٢) المدينة حتى لا يطلع عليه.

﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ ﴾ يعلمن ﴿ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ من الناس.

﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿٢٠﴾.

[٢٠] ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا ﴾ يطلعوا ﴿ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ يقتلوكم، قيل:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)،

و«تفسير البغوي» (٢١/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٥-٣٥٦).

(٢) «وفي دخوله» ساقطة من «ت».

جنة السنة

كان من عاداتهم القتل بالحجارة، وهو أخبث القتل.

﴿أَوْ يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يردوكم إلى دينهم ﴿وَلَنْ نُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾
لن تسعدوا لا في الدنيا ولا في الآخرة إن رجعتم إلى دينهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ ﴿٢١﴾.

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أنماهم وأيقظناهم لحكمة.

﴿أَعْتَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لحكمة، وهي ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ قوم

نيدوسيس.

﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لأن الكفار منهم كانوا ينكرون البعث والحساب، المعنى: ليعلموا أن القادر على إدامة هؤلاء هذه المدة، وإبقائهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى وحشرهم.

﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾ أي: المسلمون والكافرون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المتنازعين ﴿أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ والتنازع في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم كنيسة؛ لأنهم من أهل نسبنا، فلما لم يتحقق المتنازعون ذلك قالوا:

﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قرأ السوسي عن ابن عمرو: (أَعْلَمُ بِهِمْ) (أَعْلَمُ بَعْدَتِهِمْ) وشبهه بإسكان الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً لتوالي الحركات، فتخفى إذ ذاك بغنة، فإن سكن ما قبلها، ترك ذلك

جنة السنة

إجماعاً^(١). فغلب المؤمنون كما أخبر تعالى في قوله:

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ وهم نيدوسيس الملك وأصحابه:
﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ لنجعلن على باب الكهف.
﴿ مَسْجِدًا ﴾ فجعلوا ثم مسجداً يُصلى عليه.

١ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

[٢٢] ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ أي: نصارى نجران حين ناظروا النبي ﷺ في عدد أصحاب الكهف: ﴿ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وهذا قول السيد، وكان يعقوبياً، وقيل: اليهود ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وهذا قول العاقب، وكان نسطورياً.

﴿ رَجْمًا ﴾ مصدر؛ أي: ظناً وحسداً، وهو يستعار من الرجم؛ كأن الإنسان يرمي الموضوع المشكل المجهول عنده يظنه المرة بعد المرة يرميه؛ عسى أن يصيب ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ من غير يقين.

﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وهذا قول المسلمين، فصدقهم الله تعالى، والواو في قوله: (وثامنهم) واو عطف دخلت في آخر

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٧٨-٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٨-٣٥٧).

جنة السنة

إخبار عن عددهم؛ لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذه نهاية ما قيل، ولو سقطت، لصح الكلام، ولو كانت فيما قبل من قوله (ورابعهم) (وسادسهم)، لصح الكلام^(١)؛ لأن الجملة الثانية إذا التبت بالأولى، جاز إثبات الواو وحذفها، ولا يجوز حذف الواو إذا لم ترتبط الثانية بالأولى.

﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يردَّ علمَ عدتهم إليه عز وجل. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (رَبِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أخبر تعالى أن عالم ذلك من البشر قليل، والمراد به قوم من أهل الكتاب، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة، وثامنهم كلبهم»^(٣).

قال ابن عطية: ويستدل على هذا من الآية بأن القرآن لما حكى قول من قال: ثلاثة وخمسة، قرن بالقول: إنه رجم بالغيب، فقدح ذلك فيها، ثم حكى هذه المقالة، ولم يقده فيها بشيء^(٤).

﴿فَلَا تُمَارِ﴾ أي: لا تجادل ﴿فِيهِمْ﴾ في أهل الكهف ﴿إِلَّا مَرَّةً ظَهْرًا﴾

(١) قوله: «ولو كانت فيما... لصح الكلام» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٣٦٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١١٣).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٠٨).

جنة السنة

إلا جدال عالم متيقن^(١)؛ لأنه تعالى عرفك الحق من ذلك . قرأ الدوري عن الكسائي : (تमार) بالإمالة بخلاف عنه^(٢) .

﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ ﴾ أي : لا تسأل ﴿ فِيهِمْ ﴾ في أصحاب الكهف ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من أهل الكتاب ﴿ أَحَدًا ﴾ عن قصتهم ؛ لأنك خير بذلك .

﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعِلْتُ ذَلِكَ غَدًا ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ولما سئل ﷺ عن ذي القرنين والروح وأهل الكهف ، فقال : «غداً أخبركم» ، ولم يستثن ، نزل : ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَأْنِي ﴾^(٣) أي : لأجل شيء تهم به .

﴿ إِنْ فَعِلْتُ ذَلِكَ غَدًا ﴾ أي : فيما يُستقبل من الزمان ، لا اليوم الذي يلي يومك .

﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادَّكَرَ بَكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ، تقديره : إلا أن تقول : إلا أن يشاء الله ، أو إلا أن تقول : إن شاء الله ، فالمعنى : إلا أن تذكر مشيئة الله .

(١) «عالم متيقن» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٨٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٨) .

(٣) انظر : «تخريج أحاديث الكشاف» للزليعي (٢/٣٣١) .

جنة السنة

﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ﴾ بالاستغفار ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ الاستثناء.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء، ثم ذكرت، فاستثنى^(١)، وجوز ابن عباس الاستثناء في اليمين إلى سنة ما لم يحدث، وعن الحسن وطاوس: ما دام في المجلس، واتفق الأئمة الأربعة على أن الاستثناء في اليمين بالله تعالى لا ينفع ويسقط الكفارة إلا أن يكون متصلاً باليمين لفظاً أو حكماً، واختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق^(٢)، فقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز، واشترط الشافعي أن ينوي الاستثناء قبل فراغ اليمين، وقال مالك وأحمد: لا يجوز الاستثناء فيهما.

واختلفوا في الاستثناء من غير الجنس، فقال أحمد، ومحمد بن الحسن، وزفر: لا يصح، وأكثر الشافعية والمالكية: يلزم صحة استثناء ثوب وغيره، والأشهر عن أبي حنيفة صحته من مكيل وموزون من أحدهما فقط، واستثناء الكل باطل بالاتفاق، وكذا الأكثر من عدد مسمى عند الإمام أحمد، وأبي يوسف، وابن الماجشون من المالكية، وقال الأئمة الثلاثة: يصح، ولا يصح الاستثناء إلا نطقاً إلا في يمين خائف بنطقه بالاتفاق، وإذا تعقب الاستثناء جملاً بواو العطف، وصلح عوده إلى كل واحدة، فلجميع عند الأئمة الثلاثة إلا لمانع؛ كبعد مفردات، وعند أبي حنيفة للأخيرة، والاستثناء من النفي إثبات، وبالعكس عند الشافعية والمالكية والحنابلة؛ خلافاً للحنفية في الأولى، ولبعضهم فيهما.

﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي﴾ يدلني.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٣)،

(٢) «والعتق» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا﴾ أي: يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد، والإشارة بهذا إلى الاستدراك الذي يقع من ناسي الاستثناء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يَهْدِينِي) بإثبات الياء حالة الوصل، وابن كثير ويعقوب بإثباتها في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين^(١).

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا سَعًا﴾^(٢٥).

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا﴾ يعني: أصحاب الكهف ﴿فِي كَهْفِهِمْ﴾ نياماً أحياء.

﴿ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا سَعًا﴾ هذا إخبار من الله سبحانه عن مدة لبثهم في الكهف، وهو الأصح. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ثَلَاثَ مِئَةٍ) بغير تنوين على الإضافة، والباقون: بالتنوين، وأبدلوا السنين من (ثَلَاثَ مِئَةٍ)^(٢).

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرَ بِهِ وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(٢٦).

[٢٦] وقوله: ﴿قُلِ﴾ معناه: أن الأمر في مدة لبثهم كما

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٨-٣٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٩).

جنة السنة

ذكرنا، فإن نازعوك فيها، فأجبهم وقل:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي: هو أعلم منكم، وقد أخبر بمدة لبثهم.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاث مئة شمسية، والله ذكر ثلاث مئة قمرية، والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مئة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاث مئة تسع سنين، فلذلك قال: وازدادوا تسعاً»^(١).

﴿لَمْ يَغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المختص بعلم ما غاب فيهما.

﴿أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ﴾ أي: ما أبصر الله وأسمع! فلا يغيب عنه شيء

﴿مَا لَهُمْ﴾ أي: لأهل السموات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله

﴿مِنْ وَلِيِّ﴾ يتولى أمورهم.

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ فليس لأحد أن يحكم بحكم لم يحكم

به الله. قرأ ابن عامر: (وَلَا تُشْرِكُ) بالخطاب وجزم الكاف على النهي، وقرأ

الباقون: بالغيب، ورفع الكاف على الخبر؛ أي: لا يشرك الله في حكمه^(٢).

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ

مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾^(٢٧).

[٢٧] ولما قيل للنبي ﷺ: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٦/٣)، و«تفسير ابن كثير» (٨٠/٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)،

و«تفسير البغوي» (٢٦/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٠).

جنة السنة

نزل: ﴿وَأْتَلُ ﴿ واقراً يا محمد ﴿ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ ﴿ أي: القرآن، واعمل به .

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لا نقص في قوله . قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ) بإدغام اللام الأولى في الثانية^(١) .
﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَحَدِّلاً ﴾ ملجأ يلجأ إليه .

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ .

[٢٨] ولما طلب عيينة بن حصن الفزاري وأصحابه من النبي ﷺ إبعاد أبي ذر وأصحابه من الفقراء من مجلسه؛ لثلاثة حالهم؛ ليجلسوا إليه، نزل: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾^(٢) أي: احبسها .

﴿ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ طرفي النهار . قرأ ابن عامر: (بِالْغَدَاةِ) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها، وقرأ الباقون: بفتح الغين والدال وألف بعدها^(٣) .

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٠) .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/٢٣٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/٣٨٠) .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦١) .

جنة السنة

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ تعالیٰ ، لا یتبتغون عرضاً من الدنيا .

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي : لا تطرد الفقراء لفقرتهم وراثثة حالهم ، ولا تمل إلى الأغنياء لجمالهم وغناهم . قرأ أبو عمرو (تريد زينة) بإدغام الدال في الزاي (١) .

﴿ وَلَا نُطِيعُ ﴾ في طردهم ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ هو عينته وأصحابه ﴿ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ عن القرآن والتوحيد ﴿ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ ﴾ في الشرك وطلب الشهوات .
﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ سرفاً وتضييعاً .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٧٩﴾ .

[٢٧٩] ﴿ وَقُلِ ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ﴿ الْحَقُّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره : الذي أنبأكم به الحق ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ بترك طرد المؤمنين ، ثم خيرهم تهديداً ، فقال : ﴿ فَمَنْ شَاءَ ﴾ الإيمان ﴿ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ ﴾ الكفر ﴿ فَلْيُكْفُرْ ﴾ المعنى : لست بطارد المؤمنين لهواكم ، فاعملوا ما شئتم .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ هيأنا ﴿ لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ والسرادق : هو ما أحاط بالبناء من الستر ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا ﴾ من العطش ﴿ يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦١).

جنة السنة

هو القيح والدم الأسود ﴿يَسْوَى الْوُجُوهُ﴾ ينضجها ﴿يَسَكُ الشَّرَابُ﴾ المهل
﴿وَسَاءَتْ﴾ قبحت النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: مجلساً جامعاً، أو متكأ، وأصل
الارتفاق: نصب المرفق تحت الخد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ .

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾
أي: لا نضيع أعمالهم، بل نثيبهم بها.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ
ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ
الْثَوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٣١﴾ .

﴿٣١﴾ فإن قيل فأين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام
معترض، والعدن: الإقامة، يقال: عدن فلان بالمكان: إذا أقام به،
وسميت عدناً؛ لخلود المؤمنين فيها.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا﴾ يلبسون في الجنة.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ واحدها سوار، وهو ما يلبس في الذراع ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾
(من) الأولى للابتداء، والثانية للبيان صفة لأساور، وتنكيرها لتعظيم
حسنها من الإحاطة به ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾ قرأ أبان عن عاصم: بكسر الباء،

جنة السنة

والباقون: بفتحها^(١) ﴿ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ﴾ جمع سندسة، وهو رفيع الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ثخينه، وهو فارسي معرب ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي ستر كالبيت، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا؛ كما هو هيئة المبتنعين. قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِنِينَ) و(مُتَّكُونَ) وشبهه بغير همز حيث وقع، والباقون: بالهمز^(٢).

﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ أي: نعم الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ مجلساً ومقراً.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّةً مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾^(٣٢).

[٣٢] ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي: مثل حال هؤلاء المؤمنين والكافرين بحال.

﴿رَّجُلَيْنِ﴾ وكانا أخوين في بني إسرائيل، مؤمن اسمه يهودا، وكافر واسمه قطروس، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطرا، فاشتري الكافر بها ضياعاً وعقاراً، وصرفها المؤمن في وجوه الخير، وآل أمرهما إلى ما أخبر الله تعالى به في قوله:

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّةً﴾ بستانين ﴿مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلناه محيطاً بالجنتين ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ وسطهما ﴿زَرْعًا﴾ يقات به؛ أي: جمعت

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٢٢/٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦٢/٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٩٧/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦٢/٣).

جنة السنة

هذه الأرض أنواع الثمرات وأصناف الأقوات، ولم يكن بين الجنتين موضع خراب.

﴿ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتِ أَكْلَاهَا وَلَمْ تَظَلِمِي مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴾ [٣٣]

[٣٣] ﴿ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ ءَأَنْتِ أَكْلَاهَا ﴾ أعطت ثمرها. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: (أَكْلَاهَا) بإسكان الكاف والباقون: بضمها^(١) ﴿ وَلَمْ تَظَلِمِي ﴾ أي: تنقص ﴿ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ بل أتت به في غاية الكمال ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ شققنا. قرأ يعقوب (وَفَجَّرْنَا) بتخفيف الجيم، والباقون: بالتشديد^(٢) ﴿ خِلَالَهُمَا ﴾ وسطهما ﴿ نَهْرًا ﴾ يجري بينهما؛ ليزيد بهاؤهما.

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [٣٤]

[٣٤] ﴿ وَكَانَ لَهُ ﴾ لصاحب البستان ﴿ ثَمْرٌ ﴾ قرأ أبو عمرو: (ثُمَّرٌ) بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم الثاء والميم، وقرأ أبو جعفر، وعاصم،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٦٣).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣٦).

جنة السنة

ويعقوبُ: بفتحهما^(١)، فمن قرأ بالضم، فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار، ومن قرأ بالفتح، جمع ثمرة، وما يخرجه الشجر من الثمار المأكولة.

﴿فَقَالَ﴾ الكافر صاحب البستان ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يراجعه في الكلام ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ لإقباله على الدنيا، وتركه الآخرة ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَكْثَرُ) بالمد^(٢).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ الكافر.

﴿جَنَّتَهُ﴾ التي لا جنة له سواها، ولا حظَّ له في الجنة التي وعد المتقون، ولم يقل: جنتيه؛ لأن المراد ما هو جنته، وأخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها، ويفاخره بها.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ﴾ إعجاباً:

﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾ تهلك ﴿هَذِهِ﴾ الجنة ﴿أَبَدًا﴾ لطول أمله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٣-٣٦٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٤).

جنة السنة

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ كائنة .

﴿ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ كما تزعم .

﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ أي : مرجعاً؛ فإنه لم يعطني الجنة في الدنيا، إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر: (مِنْهُمَا) بميم بعد الهاء على الثنية؛ أي : من الجنيتين، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون: بحذف الميم على الأفراد، أراد: جنته، وكذلك هي في مصاحفهم^(١) .

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ المسلم ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ أي : أباك آدم؛ لأنه خلق من تراب .

﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي : مَنِيٍّ ﴿ ثُمَّ سَوَّكَ ﴾ عدلك وكملك ﴿ رَجُلًا ﴾ بشراً ذكراً .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٤-٣٦٥) .

جنة السنة

﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس عن يعقوب: (لَكِنَّا) بإثبات الألف بعد النون في الحالين، وحذفها الباقون وصلاً، ولا خلاف في إثباتها في الوقف إتباعاً للرسم، وأصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف؛ لكثرة استعماله، ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، مجازه: لكن الله هو ربي^(١).

﴿ وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (بِرَبِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ وَلَوْلَا ﴾ أي: هلاً.

﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ﴾ عند دخولها ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي: الأمر ما شاء الله، وتشكره على إنعامه عليك، وقلت: ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ اعترافاً بالعجز على نفسك، والقدرة لله.

ثم قال: ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ فتكبرت عليّ. قرأ أبو عمرو،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٦-٣٦٧).

جنة السنة

وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِذْ دَخَلْتَ) بإدغام الذال في الدال، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِصِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ ﴿٤٠﴾ .

' [٤٠] ﴿ فَعَسَىٰ ﴾ فلعل ﴿ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي ﴾ يعطيني في الآخرة ﴿ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾ أي: على جنتك ﴿ حُسْبَانًا ﴾ مرامي، جمع حسبانة، وهي الصواعق ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِصِحَ صَعِيدًا ﴾ أرضاً ﴿ زَلَقًا ﴾ يزلق عليها؛ لملاستها.

﴿ أَوْ يُصِصِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ أَوْ يُصِصِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ﴾ غائراً في الأرض لا سبيل له.

﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ أي: إن طلبته لم تجده، تلخيصه: أرجو أن أُرزق أفضل من جنتك، وأن تهلك جنتك. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون عن نافع: (إِنْ تَرَيْنِي) بإثبات الياء وصلأً، ويعقوب بإثباتها وصلأً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين^(٢)، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَقَلُّ)

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٧).

جنة السنة

بالمد كما تقدم في (أَنَا أَكْثَرُ) [الآية: ٣٤]، وأثبت نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء في (يُؤْتِينِي) وصلأ، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلأ ووقفأ، وحذفها الباكون في الحالين^(١).

﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ﴾ بالهلاك، فهلكت ثمرته. قرأ أبو عمرو: (بِشَمْرِهِ) بضم الشاء وإسكان الميم، وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: بضم الشاء والميم، وقرأ أبو جعفر، وعاصم، وروح عن يعقوب: بفتحهما^(٢).

﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ هو التصفيق وتقليبهما ظهراً لبطن تندماً ﴿ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ أي: في عمارتها ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة ﴿ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ سقوفها، يعني: أن السقوف وقعت، ثم تهدمت الحيطان عليها، فهي خاوية، والحيطان على العروش، وتعطف على (يُقَلِّبُ).

﴿ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: بإسكان الياء، والباكون بفتحها^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٨).

(٢) وقد تقدم قريباً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

جنة السنة

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُمْ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِراً ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُمْ فِئَةٌ ﴾ جماعة .

﴿ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من عذابه .

﴿ وَمَا كَانَ مُنْصِراً ﴾ ممتنعاً بنفسه من العذاب . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَكُنْ لَهُ) بالياء على التذكير للفصل بـ(له)، وقرأ الباقر: بالتاء مؤنثاً؛ لتأنيث (فئة) (١) .

﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك الوقت، وهي اسم مكان، ويستعمل في

الزمان .

﴿ الْوَلِيَّةُ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الواو، يعني: السلطان والملك، وقرأ الباقر: بفتح الواو (٢)، بمعنى: النصر والتولي؛ لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

﴿ لِلَّهِ الْحَقُّ ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي: (الْحَقُّ) بالرفع صفة للولاية، وقرأ الباقر: بالجر صفة لله (٣) .

= (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٦-٣٦٧) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٩) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)،

و«تفسير البغوي» (٣/٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦٩-٣٧٠) .

(٣) المصادر السابقة .

جنة السنة

﴿هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا﴾ أفضل جزاء لأهل طاعته .

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي : عاقبة للمؤمنين ، المعنى : ثواب الله تعالى للمؤمنين في الآخرة أفضل من غيره . قرأ عاصم ، وحمزة ، وخلف : (عُقْبًا) بإسكان القاف^(١) .

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾﴾ .

[٤٥] ﴿وَأَضْرَبَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ لقومك .

﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني : المطر ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ أي : تكاثف بسبب نزوله ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ وامتزج الماء بالنبات حتى روي وحسن .

﴿فَأَصْبَحَ﴾ عن قريب ﴿هَشِيمًا﴾ أي : مهشوماً ، تهشم : تكسر .
﴿تَذْرُوهُ﴾ تفرقه .

﴿الرِّيحُ﴾ فتذهب به ، المعنى : شبه الدنيا بما فيها منها بنبات حسن ، فيس فتكسر ، ففرقته الريح ، فانعدم . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (الرِّيحُ) بغير ألف على الإفراد ، وقرأ الباقر : بألف بعد الياء على الجمع^(٢) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٩٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٣) ، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧١) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٧٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧١) .

جنة السنة

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ من السعادة والشقاوة، والإنشاء والإفناء
﴿مُقَدِّرًا﴾ قادراً.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ
ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا﴾ (٤٦).

[٤٦] ثم زهد تعالى فيها، ووبخ المفتخرين بها، فقال: ﴿الْمَالُ
وَالْبَنُونَ﴾ التي يفتخر بها عينته وأصحابه الأغنياء.
﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها^(١).

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ عند الجمهور هي قول: سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿خَيْرٌ عِندَ
رَبِّكَ﴾ من المال والبنين ﴿ثَوَابًا﴾ جزاءً.
﴿وَخَيْرًا أَمَلًا﴾ أي: ما يتعلق بها من الأمل.

﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ
أَحَدًا﴾ (٤٧).

[٤٧] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿نُسِِّرُ الْجِبَالَ﴾ وتسييرها: إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما يسير
السحاب؛ كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. قرأ
أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير: (تُسِيرُ) بالتاء وضمها وفتح الياء، ورفع

(١) في «ت»: «فيهما».

جنة السنة

(الجبال) مجهولاً، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وكسر الياء^(١)، ونصب (الجبال) مفعول (نسير) خبر عن الله تعالى.

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ظاهرة ليس فيها ما يستظل به من شجر ولا بناء، قد ذهب عنها كل ما كان عليها.

﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ أي: جمعنا المؤمنين والكافرين إلى الموقف والحساب.

﴿ فَمَنْ نَفَادَرَّ ﴾ أي: نترك ﴿ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ إلا قذفته الأرض.

﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ حِجْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾^(٤٨).

[٤٨] ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ أي: مصطفين، فثمَّ يقال لهم:

﴿ لَقَدْ حِجْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فرادى حفاة عراة، لا شيء معكم من المال والولد، ولما خرج من قصة إلى قصة، أضرب فقال:

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ تجاوزون وتحاسبون فيه، يقوله لمنكر البعث. قرأ الكسائي، وهشام (بل زَعَمْتُمْ) بإدغام اللام في الزاي، والباقون بالإظهار^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٣).

جنة السنة

﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ الذي كتبت فيه أعمالهم ﴿ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الذنوب .
 ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ عند معاينة ما فيه من القبائح :

﴿ يَا وَيْلَنَا ﴾ يا هلاكنا! ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
 ﴿ مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ ﴾ تعجباً من شأنه . وقف أبو عمرو، والكسائي بخلاف
 عنه على الألف دون اللام من قوله: ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ ﴾ في النساء [الآية: ٧٨]،
 و﴿ مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ ﴾ هنا، و﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ ﴾ في الفرقان [الآية: ٧]،
 ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ ﴾ في سأل [الآية: ٣٦]، ووقف الباقون (فمال) على اللام إتباعاً
 للخط، بخلاف عن الكسائي^(١)، قال ابن عطية: ومنعه قوم جملة؛ لأنها
 حرف جر، فهي بعض المجرور، وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس،
 وأما أن يختار أحد الوقف فيما ذكرناه ابتداءً، فلا^(٢)، انتهى .

﴿ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ عن جليها^(٣) ﴿ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا ﴾ عدّها وأثبتها .
 قال ابن عباس: «الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة»^(٤).

(١) وقد تقدم عنهم ذلك في سورة النساء .

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٨١/٢) .

(٣) في «ت»: «تصدر عن جانبها» .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٢٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٣٧/٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤١٤) .

جنة السنة

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿حَاضِرًا﴾ مكتوباً لا يغيب منه شيء
﴿وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ.

﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر (للملائكة) بضم التاء حالة
الوصل إتباعاً، وروي عنه إشماع كسرتها الضم، والوجهان صحيحان
عنه^(١)، وتقدم الكلام على ذلك، وعلى تفسير السجود مستوفى في سورة
البقرة عند تفسير نظير هذه الآية.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال ابن
عباس: «كان من حي من الملائكة يقال لهم: الجن، خلَقوا من نار
السموم»^(٢)، وتقدم في سورة البقرة أنه كان من الملائكة، لا من الجن على
الأصح.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي: من الملائكة الذين هم خزنة
الجنة، قال ابن عطية: ولا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى؛

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٣/٣٧٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/٢٠١).

جنة السنة

إذ كان مقترناً^(١) بالأمر والنهي مرسلًا والملك مشتق من اللائكة، وهي الرسالة، فهو في عداد الملائكة يتناوله قول: (اسجدوا)^(٢)، وقيل: كان من الجن حقيقة؛ لأن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته.

﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ﴾ الهمزة للإنكار دخلت على فاء العطف، والواو لآدم

وذريته، والهاء للخبث، وتقديره: أفتتخذون إبليس وذريته.

﴿أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء.

﴿يَتَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ من الله إبليس وذريته.

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [٥١].

[٥١] ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ ﴾ أي: ما أحضرتهم، يعني: إبليس وذريته، وقيل: جميع الخلق. قرأ أبو جعفر: (مَا أَشْهَدْنَاَهُمْ) بالنون والألف على الجمع للعظمة؛ أي: أحضرتناهم، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم^(٣).

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ فأستعين بهم على خلقها، وأشاورهم فيها.

(١) في «ت»: «متصرفاً».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٢٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٤).

جنة السنة

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تُخِذُوا الْمُضِلِّينَ ﴾ عن الدين .

﴿ عَضُدًا ﴾ أعواناً أعتضد بهم . قراءة العامة : (وَمَا كُنْتُمْ) بضم التاء ،
وقرأ أبو جعفر : بفتحها خطاباً للنبي ﷺ^(١) ؛ أي : لا يجوز ذلك الاعتضاد
بأحد من المضلين .

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي : واذكر يوم ﴿ يَقُولُ ﴾ قرأ حمزة : (نَقُولُ) بالنون ،
يخبر تعالى عن نفسه ، وقرأ الباقون : بالياء^(٢) ؛ أي : يقول هو تعالى ثمَّ
للكفار : ﴿ نَادُوا شُرَكَاءِيَ ﴾ بزعمكم ؛ يعني : الأوثان ﴿ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنهم
يشفعون لكم .

﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا ﴾ لم يجيبوا ، ولم يشفعوا .
﴿ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ أي : مهلكاً بينهم وبين آلهتهم .

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا
مَصْرَفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر ،

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١١) ، و«إتحاف فضلاء
البشر» للدمياطي (ص : ٢٩١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٤) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٩٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٤) ،
و«تفسير البغوي» (٣/٤٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٥) .

جنة السنة

وخلف، وورش، وابن ذكوان: (رأى) بإمالة الراء والهمزة حيث وقع، وافقهم أبو عمرو في إمالة الهمزة فقط، وروي عن السوسي أربعة أوجه: فتح الراء والهمزة، وكسرهما، وفتح الراء وكسر الهمزة، وعكسه، وروي عن أبي بكر وجهان: كسر الراء وفتح الهمزة، وكسرهما، وروي عن حمزة: كسر الراء وفتح الهمزة، والباقون بفتحهما جميعاً^(١).

﴿ فَظَنُّوا ﴾ أيقنوا ﴿ أَنَّهُمْ مُّوَاَقِعُوهَا ﴾ داخلوها.

﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّمَا مَصْرَفًا ﴾ معدلاً وانصرافاً.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [٥٤].

[٥٤] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل جنس يحتاجون إليه ليتذكروا ويتعظوا.

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ ﴾ والمراد: جميع الناس، وهو الأصح.

﴿ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ خصومة، المعنى: أن الإنسان أكثر جدالاً من غيره.

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة ليلة، فقال: «ألا تُصَلِّيَان؟» فقال علي: يا رسول الله! إن أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال ذلك، ولم يرجع إليه بشيء،

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٥-٣٧٦).

جنة السنة

ثم سمعه علي وهو مولٌ يضرب فخذَه وهو يقول^(١): ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٢).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾^(٣).

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ القرآن والرسول ﷺ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ من الذنوب.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ تقديره: وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار إتيان مثل.

﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: سنتنا في إهلاكهم؛ من الغرق والصيحة والظلمة^(٣) والريح وغير ذلك.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ قرأ الكوفيون، وأبو جعفر: (قُبُلًا) بضم القاف والباء، جمع قبيل؛ أي: أصنافاً، وقرأ الباقون: بكسر القاف وفتح الباء، يعني: مقابلة عياناً^(٤).

(١) «وهو يقول» ساقطة من «ت».

(٢) رواه البخاري (١٠٧٥)، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ومسلم (٧٧٥)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٣) في «ت» «الظلمة».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٤٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧٦/٣).

جنة السنة

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ للمؤمنين والكافرين .

﴿ وَمُجَدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ باقتراح الآيات تعنتاً، والسؤال عن قصة أهل الكهف .

١ ﴿ لِيُدْحِضُوا ﴾ ليبطلوا ﴿ بِهِ الْحَقَّ ﴾ من إحاض القدم، وهو إزلاقها .

﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي ﴾ أي: القرآن ﴿ وَمَا أُنذِرُوا ﴾ به من العذاب ﴿ هُزُوًا ﴾

سخرية . قرأ حمزة وخلف (هُزُوًا) بجزم الزاي حيث وقع، والباقون: بضمها، وحفص: بإبدال الهمزة واوا^(١) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ﴾ بالقرآن .

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ تولى وترك العمل بها .

﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ من الكفر والمعاصي .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية .

﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفهموا القرآن .

﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ثقلاً عن سماع الحق .

(١) سلفت في تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة .

جنة السنة

﴿وَأَن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ والمراد: من حقت عليه الشقاوة ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون.

﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَل لَّهُمْ مَوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا﴾ ﴿٥٨﴾
[٥٨] ﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ﴾ للمؤمنين.

﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ لهم خاصة في الآخرة والرحمة في الدنيا؛ بمعنى: النعمة، فهي نعم المسلم والكافر.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فيها.

﴿بَل لَّهُمْ﴾ أي: لهلاكهم ﴿مَوْعِدٌ﴾ يعني: البعث.

﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا﴾ منجاة. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (يؤاخذهم) (تواخذني) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ ﴿٥٩﴾

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ المتقدمة؛ كقرى عاد وثمود وغيرهم.

﴿أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالتكذيب؛ كقريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ أي: لإهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾ أجلاً. قرأ أبو بكر

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٧).

جنة السنة

عن عاصم: (لِمَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، وقرأ حفصٌ عنه: بفتح الميم وكسر اللام، وهو مصدر هلك، ومعنى القراءتين: جعلنا لوقت هلاكهم، وقرأ الباكون: بضم الميم وفتح اللام على المعنى الأول، وهو مصدر أهلك يهلك^(١).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى ﴾ هو ابن عمران على الأصح ﴿ لِفَتْنِهِ ﴾ وخادمه هو يوشع بن نون عليه السلام، كان يتبعه ويخدمه، ويأخذ منه العلم. ﴿ لَآ أَبْرَحُ ﴾ لا أزال أسير.

﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ملتحى العذب والمالح، [وقيل: المراد: المكان الجامع لملتقى بحري فارس والروم مما يلي الشرق]^(٢)، وقيل غير ذلك، وقالت فرقة: البحران كناية عن موسى والخضر؛ فإن موسى عليه السلام كان بحر علم الظاهر، والخضر بحر علم الباطن، قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف^(٣). قرأ أبو عمرو: (لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ) بإدغام الحاء الأولى في الثانية^(٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٢-٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٩-٣٧٨).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٢٨).

(٤) انظر: «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٧٩-٣٨٠).

جنة السنة

﴿ أَوْ أَمْضَى ﴾ أسير ﴿ حُقُبًا ﴾ زماناً غير محدود، وجمعه أحقاب،
والحقب أقل زمان، وقيل: ثمانون سنة.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
سَرِيًّا ﴾ (٦١).

[٦١] ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا ﴾ أي: موسى وفتاه .

﴿ مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ أي: بين البحرين، وهو الموضع الذي وعد موسى أن
يجتمع فيه بالخضر، وفيه الصخرة، وفيه عين الحياة التي لا يصيب ماؤها
ميتاً إلا حيي .

﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ الذي تزودا به، فأصابه شيء من برد ماء العين، فعاش
﴿ فَاتَّخَذَ ﴾ الحوت ﴿ سَبِيلَهُ ﴾ طريقه . قرأ أبو عمرو: (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ) بإدغام
الذال في السين في الحرفين^(١) .

﴿ فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا ﴾ مسلماً يسرب فيه من قوله: ﴿ وَسَارِبٌ بِالتَّهَارِ ﴾ [الرعد:
١٠]، وإنما كان الحوت مع يوشع، فنسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله،
ونسي يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر .

وملخص القصة: ما روي عن أبي بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أيُّ الناس أعلم؟
قال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً
بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا ربّ فكيف لي به؟ قال:

(١) المصدران السابقان .

جنة السنة

تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مِكتل، فحيثما فقدت الحوت، فهو ثمٌّ، فأخذ حوتاً، فجعله في مِكتل، ثم انطلق، فانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام، حتى إذا أتيا الصخرة التي عند مجمع البحرين، وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المِكتل حين أصابه بردُ الماء، فخرج منه، فسقط في البحر، فعلم يوشع بأمره، وأمسك الله جِزِيَةَ الماء عن الحوت، فصار عليه مثلُ الطاق، فصار للحوت سرباً، فلما استيقظ موسى، نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيّة يومهما وليلتيهما^(١).

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ مجمع البحرين ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا ﴾ الغداء: ما يعد للأكل أول النهار، والعشاء: آخره ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا ﴾ الذي سرنا بعد مجاوزة الصخرة ﴿ نَصَبًا ﴾ تعباً، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به؛ ليتذكر الحوت، ويرجع إلى مطلبه.

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ﴿٦٣﴾ .

(١) رواه البخاري (٤٤٤٨)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَنبِرُ ﴾، ومسلم (٢٣٨٠)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر - عليه السلام -، عن أبي كعب رضي الله عنه.

جنة السنة

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ له فتاه: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ يعني: التي رقد عندها موسى .

﴿ فَأَيُّ تَسْبِيحٍ الْحَوْتِ ﴾ عند الصخرة .

﴿ وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ أي: ما أنساني ذكره إلا الشيطان، وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه . قرأ الكسائي: (أنسانيه) بالإمالة، وقرأ حفص عن عاصم: (أنسانيه إلا) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بكسرها^(١) .

﴿ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ﴾ قال ابن عباس: «أي: اتخذ موسى طريق الحوت في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً»^(٢)، وقيل: هو جواب من موسى ليوشع حين قال له: ﴿ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ﴾ فقال موسى: ﴿ عَجَبًا ﴾ أي: أعجب عجباً، قال ابن زيد: «أي شيء أعجب من حوت كان دهرأ من الدهور يؤكل منه، ثم صار حياً، ويبس له الماء، قال: وكان شق حوت»^(٣) .

﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّ عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ .

[٦٤] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: أمر الحوت ﴿ مَا كُنَّا نَبِغُ ﴾ أي:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٤٦/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٥/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٠-٣٨١) .

(٢) تقدم تخريجه قريباً في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤٦/٣) .

جنة السنة

نطلب؛ لأنه وعد وجود الخضر حيث ينسى بعض متاعه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والكسائي: (نُبِغِي) بإثبات الياء وصلأً، وحذفها تخفيفاً وإتباعاً لخط المصحف، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، وحذفها الباقيون في الحالين^(١).

﴿ فَأَرْتَدَّا ﴾ رجعا ﴿ عَلَيَّ أَثَارِهِمَا ﴾ يقتصان الأثر الذي جاء فيه.

﴿ قَصَصًا ﴾ مصدر.

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا

عِلْمًا ﴾ ﴿٥٠﴾

[٦٥] فأتيا الصخرة ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ وهو الخضر على الصحيح، واسمه: بلياً بن ملكان بن يقطر بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكان أبوه ملكاً، والخضر لقب له، سمي به لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ خَضْرَاءً؛ لأنه جلس على فَرَوْةٍ بيضاء، فاهتَزَّتْ تحته خضراً»^(٢)، وترك الملك زهداً في الدنيا، وقال مجاهد: سمي خضراً؛ لأنه إذا صلى اخضر ما حوله^(٣)، فأتاه

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١-٤٠٣)، و«التيسير» للداني (ص:

١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٣/٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٢١)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى -

عليهما السلام -.

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٦/٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي

(٥/٤٢٠).

جنة السنة

موسى وهو مسجى بثوب مستلقياً على قفاه، فسلم عليه، فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، قال ابن عطية: والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحي إليه^(١).

﴿ءَايِنْتُهُ رَحْمَةً﴾ نبوة وشفقة ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ وهو علم الباطن اللدني، فقال: يا موسى! أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى﴾ شرط.

﴿أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ علماً يرشدني. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (تُعَلِّمَنِي) بإثبات الياء وصلأً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحالين^(٢)، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: (رُشْدًا) بفتح الراء والشين، والباقون: بضم الراء وإسكان الشين، وهما لغتان^(٣).

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٢٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» لللداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» لللداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٢).

جنة السنة

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ولما قال موسى هذا، قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً، وببني إسرائيل شغلاً، فقال موسى: الله أمرني بذلك، فحيثُذ ﴿ قَالَ ﴾ الخضر: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ لأنك ترى ما تنكره. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء في الأحرف الثلاثة، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ثم عذر الخضر موسى في عدم صبره، فقال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ علماً، قال ابن عطية: كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظواهر أقوال الناس وأفعالهم^(٢).

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ إنما استثنى؛ لأنه لم يثق من نفسه بالصبر، وهذه عادة الأنبياء والأولياء. قرأ أبو جعفر: (سَتَجِدُنِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣). ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ لا أخالفك فيما تأمر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٢).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٢٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، =

جنة السنة

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي ﴾ فلا تبدأني بالسؤال ﴿ عَنْ شَيْءٍ ﴾ أنكرته

مني .

﴿ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ حتى أبتدئك بذكره، وأوضح لك علته . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَسْأَلْنِي) بفتح اللام وتشديد النون مكسورة مع إثبات الياء بعدها؛ لأن نون التوكيد المشددة التي يبنى معها^(١) الفعل على الفتح دخلت على نون الوقاية، فحذفت، وبقيت نون التوكيد مكسورة للياء بعدها، وروي عن ابن ذكوان راوي ابن عامر حذف الياء في الحالين استغناء بالكسرة عنها، وقرأ الباقون: بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة؛ لأنه لم يلحق الفعل نون التوكيد، وأثبتوا الياء في الحالين إتباعاً لخط المصحف^(٢)، فلما شرط الخضر على موسى ذلك، قَبِلَ شَرْطَهُ .

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿ فَأَنْطَلَقَا ﴾ يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة،

فاستحملا صاحبها، فحملهما بغير أجر .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾ وبلغا اللُّجَّ .

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٨٣/٣)، وقرأ بفتح الياء - أيضاً - نافع .

(١) في «ت»: «معه» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤٧/٣) .

جنة السنة

﴿ خَرَفَهَا ۖ الْخَضِرُ ۚ بِأَنْ أَخَذَ فَأَسَأَ، فَاقْتَلَعَ لَوْحًا أَوْ لَوْحِينَ مِنْ أَلْوَاهِهَا مِنْ قَبْلِ الْبَحْرِ، فَسَدَّ مُوسَى الْخَرَقَ بِشِبَاهِهِ، وَ﴿ قَالَ ۖ لِلْخَضِرُ ۖ

﴿ أَخْرَفَهَا لِئُغْرِقَ أَهْلَهَا ۖ قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَخَلْفَ: (لِيُغْرَقَ) بِالْيَاءِ مَفْتُوحَةً وَفَتَحَ الرَّاءَ (أَهْلَهَا) بَرَفَعَ اللَّامَ فَاعِلًا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالتَّاءِ مَضْمُومَةً وَكَسَرَ الرَّاءَ وَنَصَبَ (أَهْلَهَا) مَفْعُولًا خَطَابًا لِلْخَضِرِ (١).

١ ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ عَظِيمًا مُنْكَرًا، وَالْإِمْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الدَّاهِيَةُ، وَأَصْلُهُ كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٍ كَبِيرٍ، وَرَوَى أَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَدْخُلْهَا، وَرَوَى أَنَّ الْخَضِرَ أَخَذَ قَدْحًا مِنْ زَجَاجٍ، وَرَقَعَ بِهِ خَرَقَ السَّفِينَةِ.

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْوَصِيَّ لَهُ أَنْ يَنْقُصَ مَالَ الْيَتِيمِ إِذَا رَأَاهُ صَاحِبًا؛ مِثْلُ أَنْ يَخَافَ عَلَى رِيْعِهِ ظَالِمًا، فَيُخْرِبُ بَعْضَهُ، قَالَ أَبُو يُوسُفَ: لَوْ طَمَعَ السُّلْطَانُ فِي مَالِ الْيَتِيمِ، فَصَالِحَهُ الْوَصِيُّ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ عَلَى الْأَقْلَى مِمَّا طَمَعَ، لَمْ يَضْمَنْ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِحِفْظِ مَالِ الْيَتِيمِ مَا أَمَكَنَهُ، وَالْحَكْمُ فِي الْمَسْأَلَةِ كَذَلِكَ بِالِاتِّفَاقِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴾

[٧٢] ﴿ قَالَ ۖ الْخَضِرُ ۖ ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ تَذَكِيرٌ لِمَا

ذَكَرَهُ قَبْلَ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٤٩/٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٤/٣).

جنة السنة

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ بنسياني . وتقدم مذهب أبي جعفر وورش في (لَا تُؤَاخِذْنِي) عند قوله : (لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ) .

﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي ﴾ تغشيني ، يقال : رهقه : إذا غشيه .

﴿ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي : لا تعسر علي متابعتك .

عن النبي ﷺ : « أن الأولى كانت من موسى نسياناً ، والثانية شرطاً ، والثالثة عهداً »^(١) . قرأ أبو جعفر : (عُسْرًا) (يُسْرًا) بضم السين فيهما حيث وقع^(٢) .

﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ فَأَنْطَلَقًا ﴾ بعد خروجهما من السفينة .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان ، أحسنهم وجهاً ، فأضجعه الخضر ، فذبحه بالسكين ﴿ فَقَتَلَهُ ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ، ولو عاش ، لأرهب أبويه طغياناً وكفراً »^(٣) .

(١) رواه البخاري (٢٥٧٨) ، كتاب : الشروط ، باب : الشروط مع الناس بالقول ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٤-٣٨٥) .

(٣) رواه مسلم (٢٦٦١) ، كتاب : القدر : باب : معنى : «كل مولود يولد على الفطرة» ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

جنة السنة

﴿ قَالَ ﴾ موسى توبيخاً ﴿ أَفَلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ . قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (زَكِيَّةً) بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء، وقرأ الباقون: بالألف وتخفيف الياء^(١)، ومعناها واحد، مثل: قاسية وقسية؛ أي: طاهرة من الذنوب، وقال أبو عمرو بن العلاء: الزاكية: التي لم تذنّب قط، والزاكية التي أذنبت ثم تابت ﴿ بَعِيْرَ نَفْسٍ ﴾ لم تقتله قصاصاً.

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ أي: منكراً، والنكر: أعظم من الإمر. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُكْرًا) بضم الكاف حيث وقع، والباقون: بإسكانها، ومعناها واحد^(٢).

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ لن تطيق معي صبراً، وزاد هنا: (لَكَ) توبيخاً لموسى؛ لأنه كان في الأولى معذوراً.

- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٥).
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٥).

جنة السنة

﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴾ (٧٦).

[٧٦] ولذلك ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ بعد هذه المرة.

﴿ فَلَا تُصَحِّبْنِي ﴾ وفارقي. قرأ روح عن يعقوب بخلاف عنه: (تصحبني) بفتح التاء وإسكان الصاد وفتح الحاء بغير ألف؛ من الصحبة، وقرأ الباقون: (تصحبني) بالألف وضم التاء وكسر الحاء^(١)؛ أي: لا تصحبني نفسك، ولا تزودني شيئاً من علمك.

﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴾ قرأ نافع وأبو جعفر: (لَدُنِّي) بضم الدال وتخفيف النون، وروى أبو بكر عن عاصم: بتخفيف النون وإشمام الدال الضم بعد إسكانها، وقرأ الباقون: بضم الدال وتشديد النون^(٢)، فالقراءة بالتخفيف بحذف النون الأصلية، والإتيان بنون الوقاية، ومن شدد أدخل نون الوقاية على الأصلية، فأدغم. المعنى: قد اتضح عذرك عندي في مفارقتي؛ لأنني لم أحفظ وصيتك.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٥١/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٣/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٦/٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٥١/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٨٧-٣٨٦/٣).

جنة السنة

قال ﷺ: «يرحم (١) الله أخي موسى، استحيا فقال ذلك» (٢).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى - وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه - لولا أنه عَجَل، لرأى العَجَب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة قال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿فلو صبر، لرأى العجب﴾» (٣).

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾.

[٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي إنطاكية ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهم ضيافة، وأعاد ذكر الأهل تأكيداً ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ امتنعوا من إطعامهما.

قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف (٤).

وعن أبي هريرة قال: أطعمتها امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما، فدعا لنسائهم، ولعن رجالهم (٥).

(١) في «ت»: «رحم».

(٢) انظر: «تخریج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣٠٥/٢).

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٠)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر - عليه السلام -، عن أبي بن كعب - رضي الله عنه -.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٥٢/٣).

(٥) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

حنة السنة

ومذهب أحمد: يجب على المسلم ضيافة المسلم المجتاز به يوماً وليلة بشرط أن يكون مجتازاً في قرية لا مصر، فإن أبقى، فللضيف طلبه به عند الحاكم، فإن تعذر، جاز له الأخذ من ماله، ومن مر بثمر في شجر لا حائط عليه ولا ناظر، فله أن يأكل منه ولا يحمل، وكذا الحكم في الزرع، ولبن في الماشية، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة.

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ يسقط، هذا من مجاز كلام العرب؛ لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب ودنا من السقوط، وكان الخضر رأى حائطاً ارتفاعه مئة ذراع قد قارب السقوط، فمسحه بيده.

﴿ فَأَقَامَهُ ﴾ عدله ﴿ قَالَ ﴾ موسى:

﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ويعقوب: (لَتَّخَذْتَ) بتخفيف التاء الأولى وكسر الخاء من غير ألف وصل؛ من تَخَذَ يَتَخَذُ: عمل شيئاً، على وزن لعلمت، فابن كثير، ورويس عن يعقوب يظهران الذال عند التاء، وأبو عمرو يدغمها، وقرأ الباقر: بتشديد التاء الأولى وفتح الخاء وألف وصل، وزن لاكتسبت، فيكون اتخذ افتعل، فحفص عن عاصم يظهر الذال، والباقر يدغمونها، وهما لغتان، مثل اتبع وتبع^(١)، المعنى: أن موسى قال للخضر: قد علمت حاجتنا إلى الطعام، فلو طلبت على عملي جعلاً، لدفعنا به ألم الجوع.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٥٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٦٥ و ٣١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨٩-٣٨٨).

جنة السنة

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (٧٨).

[٧٨] فثم ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ أي: لا أصبحك بعد هذا.

﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ سوف أخبرك.

﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ وأنكرته عليّ، فقال له موسى: أخبرني بعلم مالم أستطع عليه صبراً قبل المفارقة.

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (٧٩).

[٧٩] فقال: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ ﴾ لضعفاء، وكانوا عشرة إخوة: خمسة زمني، وخمسة ﴿ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ مؤاجرة؛ طلباً للتكسب ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ أي: قدامهم ملك كافر اسمه الجلندا ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

روي أن الخضر اعتذر إلى القوم، وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعييها، فإذا جاوزوا، أصلحوها فانتفعوا بها.

والغصب: هو الاستيلاء على مال الغير قهراً بغير حق، وهو محرم بالاتفاق.

واختلفوا في الصلاة في المغصوب، فقال أحمد: لا تصح، ولا يسقط

جنة السنة

الطلب بها، وقال مالك والشافعي: يصح مع التحريم، فلا يثاب، وقال الحنفية: تكرهه، وكذا حكم الحج وسائر العبادات مما له حكم من صحة أو فساد، والعقود كالبيع والنكاح ونحوهما.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغَيْنَا وَكُفِّرَّا ۗ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾ خِفْنَا.

﴿أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ يَغْشِيهِمَا.

﴿طُغَيْنَا وَكُفِّرَّا﴾ بَأَنْ يَطْغَى عَلَيْهِمَا بِعُقُوبَتِهِمَا، أَوْ يَحْمِلُهُمَا حُبَّهُ عَلَى مِتَابَعَتِهِ، وَذَلِكَ طُغْيَانٌ وَكُفْرٌ.

﴿فَارْدَنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ۗ﴾ (٨١).

[٨١] ﴿فَارْدَنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا﴾ يَعُوضُهُمَا.

﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ صِلَاحًا وَتَقْوَى.

﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ رَحْمَةٌ وَعَطْفٌ، وَنَصَبُهُ عَلَى التَّمْيِيزِ، فَأَبْدَلَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى جَارِيَةً تَزَوَّجَتْ نَبِيًّا، فَوَلَدَتْ نَبِيًّا، فَهَدَى اللَّهُ بِهِ أُمَّةً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلُهُمَا) بفتح الباء وتشديد الدال من بَدَّلَ، وقرأ الباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال من أبدل، وهما لغتان^(١)، وفرق بعضهم

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٥٣/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

حنة السنة

فقال: التبديل: تغيير شيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائمة، والإبدال: رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (رُحْمًا) بضم الحاء، والباقون: بجزمها، ومعناها واحد^(١).

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وكان اسمهما أصرم

وصريم.

﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «كان ذهباً وفضة»^(٢)، وعن ابن عباس: «كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخر: أنا الله وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقتة للخير، وأجرته على يديه، والويل لمن

= (٢/٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٤).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٦)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) رواه الترمذي (٣١٥٢)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الكهف، وقال: غريب، والحاكم في «المستدرک» (٣٣٩٧).

جنة السنة

خلقته للشر، وأجريته على يديه»^(١)، وهذا قول أكثر المفسرين .

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ فحفظاً بصلاح أبيهما في أنفسهما ومالهما،
وقيل : كان الجد السابع .

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ إيناس رشدهما ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا ﴾ حينئذ
﴿ كَنَزَهُمَا رَحْمَةً ﴾ نعمة ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ قال أولاً : ﴿ فَأَرَدْتُ ﴾ ثم قال :
﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ توسعاً في اللغة، قال بعضهم : لما قال
الخضر : (فأردت) ألهم : من أنت حتى تكون لك إرادة؟! فجمع في الثانية،
فألهم : من أنت وموسى حتى تكون لكما إرادة؟ فخص في الثالثة
الإرادة لله^(٢) تعالى؛ ليعلم أن الكل إليه .

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ أي : باختيارى، بل بأمر الله وإلهامه .

﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ ﴾ أي : ما لم تطق .

﴿ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ استطاع واستطاع بمعنى واحد .

ولما فارقه موسى، قال : أوصني، قال : لا تطلب العلم لتحدث به،
واطلبه لتعمل به .

واختلف في حياة الخضر، فكثير من العلماء ذهب إلى أنه حي، وهو
يصلي الجمعة في خمسة مساجد: في المسجد الحرام، ومسجد المدينة،
ومسجد بيت المقدس، ومسجد قباء، ومسجد الطور، في كل مسجد
جمعة، ويأكل في كل جمعة أكلتين من كمأة وكرفس، ويشرب مرة من ماء

(١) رواه البيهقي في «الزهد» (٢/٢١٤).

(٢) في «ت»: «بالله» .

جنة السنة

لازمزم، ومرة من جب سليمان الذي بيت المقدس، ويغتسل من عين سلوان.

قال الشيخ أبو محمد نصر البندنجي: سألت الخضر: أين تصلي الصبح؟ فقال: عند الركن اليماني، قال: وأقضي بعد ذلك شيئاً كلفني الله تعالى قضاءه، ثم أصلي الظهر بالمدينة، ثم أقضي شيئاً كلفني الله قضاءه، وأصلي العصر بيت المقدس، حكى ذلك صاحب «مثير الغرام»^(١) وغيره.

وسبب حياته - على ما حكاه البغوي -: أنه شرب من عين الحياة^(٢). وروى المشرف بسنده، وحكاه غيره: أن الخضر وإلياس - عليهما السلام - يصومان شهر رمضان بيت المقدس^(٣)، ويوفيان الموسم كل عام^(٤)، وإلياس من أنبياء بني إسرائيل، وذهب قوم إلى أن الخضر ميت؛ لقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنْ رَأْسَ مِئَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ

(١) اسم «مثير الغرام» أطلق على ثلاثة كتب، وهي: ١- «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» لأبي الفرج ابن الجوزي، و٢- «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» لشهاب الدين المقدسي المتوفى (٧٦٥)، و٣- «مثير الغرام في زيارة الخليل عليه السلام» لإسحاق بن إبراهيم التدمري المتوفى (٨٣٣). انظر: «كشف الظنون» (١٥٨٩/٢-١٥٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥٥/٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٩٦/١٠): رواه أحمد في «الزهد» بإسناد حسن عن أبي رواد، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٢/١): وهو معضل.

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٩٦/١٠): رواه الدارقطني في «الأفراد» من طريق عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً، وفي إسناده محمد بن أحمد بن زيد، وهو ضعيف.

جنة السنة

على ظهر الأرض أحد^(١)، ولو كان الخضر حياً، لكان لا يعيش بعده.

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

[٨٣] ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ﴾ هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، وكان في زمن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: اسمه عبد الله، أو مرزبان، وكان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبه الله، وناصر الله فناصره الله، وهو من ذرية نوح عليه السلام، وسمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس: مشرقها ومغربها، وقيل: بعثه الله إلى قومه، ولم يكن نبياً، فأمرهم بالتقوى، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله تعالى، ثم بعثه مرة أخرى إليهم، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه، فسمي ذا القرنين، وقيل غير ذلك.

قال ابن عطية: أحسن الأقوال أنه كان ذا ظفرتين من شعرهما قرناه، فسمي به، والظفائر قرون الرأس^(٢).

وروي أن جميع من ملك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران: نمرود، وبخت نصر.

وتوفي الإسكندر بناحية السواد بشهرزور بعد أن غزا الهند حتى انتهى

(١) رواه البخاري (١١٦)، كتاب: العلم، باب: السهر في العلم، ومسلم (٢٥٣٧)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/٥٣٨).

جنة السنة

إلى البحر المحيط، فهال ذلك ملوك المغرب، فوفدت عليه رسلهم بالانقياد والطاعة، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي وبحر الشمس في الجنوب في أربع مئة رجل من أصحابه يطلب عين الحياة، فلم يصبها، فسار فيه ثمانية عشر يوماً، وبنى اثنتي عشرة مدينة سماها كلها إسكندرية، وكانت مملكته اثنتي عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، كذا نقله بعض المؤرخين، وقال الكواشي: قالوا: وعاش ألفاً وست مئة سنة، وحكى البيضاوي قولاً أن سبب تسميته بذي القرنين؛ لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس، والله أعلم^(١).

﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ ﴿ سَأَذْكَرْ لَكُمْ ﴿ مِنْ خَيْرِهِ ﴿ ذِكْرًا ﴾ ﴾ خبيراً .

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ ﴿ ٨٤ ﴾ .

[٨٤] ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ بأن قويناه .

﴿ وَءَانَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ أي: من أسباب كل شيء و^(٢)أراده .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ﴿ ٨٥ ﴾ .

[٨٥] ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: اقتفى طريقاً موصلاً إلى مراده . قرأ الكوفيون، وابن عامر: (فَأَتْبَعَ) (ثُمَّ أَتْبَعَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء في المواضع الثلاثة، أي: أدرك، ولحق، وقرأ الباقون، وهم أهل الحجاز والبصرة:

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/٥١٩).

(٢) «و» زيادة من «ت» .

جنة السنة

بوصل الهمزة وتشديد التاء في الثلاثة^(١)؛ أي: سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته؛ أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته، والمعنى: سلك طريقاً نحو الغرب.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُعَذِّبُونَ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ خَائِدُونَ ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء وهمز الياء؛ أي: ذات حمأة، وهو الطين الأسود، وقرأ الباقون: (حَامِيَةٍ) بالألف وفتح الياء من غير همز^(٢)؛ أي: حارة، ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين.

وسأل معاوية كعب الأحمار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطنين، كذلك نجده في التوراة^(٣).

﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا ﴾ أي: عند تلك العين.

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩-١١).
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩-١٠).
- (٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٤١٢)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/١٩٧-١٩٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/٤٥٠-٤٥١).

جنة السنة

﴿ قَوْمًا ﴾ كافرين، لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لفظه البحر، فخيرّه الله بين أن يعذبهم، أو يدعوهم إلى الإيمان كما قال تعالى:

﴿ قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ والمراد منه: الإلهام؛ لأنه لم يكن نبياً على الأصح
﴿ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ﴾ يعني: إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام.
﴿ وَإِمَّا أَنْ نَنخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ عفواً؛ أي: خيرناك في قتل من لم يؤمن، وفي العفو عنه، أو الأسر بشرط الإيمان.

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثُكْرًا ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] ﴿ قَالَ ﴾ الإسكندر: ﴿ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ أشرك ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ بالقتل في الدنيا.

﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ في الأخرى ﴿ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثُكْرًا ﴾ شديداً.

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ ﴿٨٨﴾ .

[٨٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ) بالنصب والتنوين وكسره للساكنين؛ أي: فله الحسنى جزاء، ونصب (جَزَاءٌ) على المصدر، وقرأ الباقر: بالرفع من غير تنوين على الإضافة^(١)، فالحسنى: الجنة، وأضاف الجزاء إليها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، =

جنة السنة

﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ أي: لا نأمره بما يصعب عليه، بل بما يسهل.
وتقدم مذهب أبي جعفر في ضم السين من (يُسْرًا) عند قوله: (عُسْرًا).

﴿ ثُمَّ أَنْعَ سَبِيًّا ﴾ (٨٩)

[٨٩] ﴿ ثُمَّ أَنْعَ سَبِيًّا ﴾ أي: سلك طريقاً ومنازل.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ (٩٠)

[٩٠] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ أي: موضع طلوعها.

﴿ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ هم الزنج.

﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ يخصصهم؛ لأن أرضهم لا تحمل بناءً ولا شجراً، ولهم سرور يغيبون فيها عند طلوعها، ويظهرون منها عند ارتفاعها.

روي أنه وصل إليهم رجل، فرأى أناساً يفرش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى، قال: فبينما أنا عندهم، إذ سمعت شيئاً كالصلصلة، فغشي عليّ، فأفقت وهم يمسخونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء، إذا هي عليه كهيئة الزيت، فأدخلونا سرباً لهم، فلما ارتفعت، خرجوا إلى البحر يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس، فينضج لهم.

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٠).

جنة السنة

﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ .

[٩١] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس، حكم في الذين عند مطلعها كذلك.

﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ ﴾ بما عنده من الجند والآلات والعدد والأسباب ﴿ خُبْرًا ﴾ علماً.

﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ يعني: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[٩٣] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (السَّدَّيْنِ) بفتح السين، والباقون: بضمها، وهما لغتان معناهما واحد^(١)، وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم، فهو السد - بالفتح -، وما كان من صنع الله، فهو بالضم -^(٢)؛ لأن السد - بالضم - فعل مبني لمفعول، وبالفتح مصدر، وهما الجبلان بين أرمينيا وأذربيجان، فلما

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)،

و«تفسير البغوي» (٣/٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/٤٥٩).

جنة السنة

وصل إلى السدين ﴿وَجَدِمِ دُونَهُمَا﴾ أي: من ورائهما.

﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يُفْقَهُونَ) بضم الياء وكسر القاف على معنى: لا يفهمون غيرهم قولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء والقاف^(١)؛ أي: لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: «لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم»^(٢).

﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٩٤).

[٩٤] ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ أي: قال مترجمهم:

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قرأ عاصم: بهمزهما، والباقون: بغير همز تخفيفاً، وهما اسمان أعجميان مثل هاروت وماروت، وهم من ولد يافث بن نوح، والقراءة بالهمز وعدمه لغتان^(٣)، أصلها من أجيح النار، وهو ضوءها وشرها، شهبوا به؛ لكثرتهم وشدتهم.

قال المؤرخون: أولاد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث، فسام

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٥٩/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢/٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥٩/٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥-١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٦٠/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٤).

جنة السنة

أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

عن ابن عباس: «هم عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء»^(١)؛ لأنه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح، فمنهم من طوله مئة وعشرون ذراعاً، أو خمسون، ومنهم من طوله وعرضه كذلك، ومنهم من يلتحف بأذنه ويفترش الأخرى.

وروي أنهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم، طول أحدهم مثل نصف الرجل المربع منا.

قال علي - رضي الله عنه -: «منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالبا في موضع الأظفار من أيدينا، وأنياب وأضراس كأضراس السباع، لهم شعر في أجسادهم»^(٢).

فلما وصل ذو القرنين إلى أولئك القوم، قالوا له شكاية: إن يأجوج ومأجوج.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالقتل والتخويف وإتلاف الزروع وفعل الخبيث.

﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً نخرجه من أموالنا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَرَجًا) بفتح الراء وألف بعدها، وهو المال المضروب على الأرض يؤدي في كل مدة، وقرأ الباقون: بإسكان الراء من غير ألف، مصدر خرج^(٣)، وهو الجعل كما تقدم أولاً.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٦٠/٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١٩٠/٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٦١/٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١٩٠/٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، =

جنة السنة

﴿ عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ حاجزاً لثلاثا يصلوا إلينا. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَدًّا) بفتح السين، والباقون: بضمها، وهما لغتان^(١).

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾.

[٩٥] ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي ﴾ أي: قَوَانِي ﴿ فِيهِ رَبِّي ﴾ من العلم وطلب ثوابه والمال.

﴿ خَيْرٌ ﴾ أفضل مما تعطونني أنتم. قرأ ابن كثير: (مَكَّنِّي) بنونين مخففتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة على الأصل، والباقون: بواحدة مكسورة مشددة على الإدغام^(٢)، المعنى: ثواب الله خير من ثوابكم.

﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أي: آلة أتقوى بها ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ هو أكبر من السد، فجاوزه بذلك، فحفر ما بين السدين حتى بلغوا الماء.

= و«تفسير البغوي» (٦٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤/٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٥٩/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤/٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٦٢/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤/٤).

جنة السنة

﴿ءَأَثُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَثُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ (١٦).

[٩٦] ثم قال: ﴿ءَأَثُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى﴾ قِطْعُهُ، جمع زبرة. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رَدْمًا أَثُونِي) بكسر التنوين ووصل التنوين مع همزة ساكنة بعده، من باب المجيء، وإذا ابتدأ، كسر همزة الوصل، وأبدل الهمزة الساكنة بعدها ياءً، والباقون: بقطع الهمزة ومدة بعدها في الحالين؛ من الإعطاء، وورث على أصله يلقي حركة الهمزة على التنوين قبلها^(١)، فجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض، وجعل بينهما الحطب والفحم.

﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى﴾ قرأ أبان عن عاصم: (سَوَى) بتشديد الواو من غير ألف، وقرأ الباقون: (سَاوَى) بالألف وتخفيف الواو^(٢)؛ أي: ملأ.

﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بضم الصاد والذال، وروى أبو بكر عن عاصم: بضم الصاد وإسكان الذال، والباقون: بفتحهما، وكلها لغات^(٣)، معناها: الناحيتان من الجبلين؛ لأنهما يتصادفان؛ أي: يتقابلان، فلما ملأ ما بينهما بالزبر والحطب، ووضع حوله منافخ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٦٣/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥/٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٦٣/٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٦٣/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦/٤).

جنة السنة

﴿ قَالَ أَنْفُخُوا ﴾ فنفخوا النار .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ ﴾ أي : الحديد ﴿ نَارًا ﴾ أي : كالنار .

﴿ قَالَ أَمْثِلْ ﴾ قرأ حمزة، وأبو بكر بخلاف عنه : (قَالَ أَتْتُونِي) بوصل الألف وهمزة ساكنة؛ من باب المجيء، وإذا ابتداءً، كسرا همزة الوصل، وأبدلا الهمزة الساكنة ياء، والباقون: بقطع الهمزة ومدة بعدها في الحالين من الإعطاء^(١) ﴿ أَفْرَعٌ ﴾ أصب .

﴿ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ نحاساً مذاباً، فجعلت النار تأكل الحطب، وتصير النحاس مكان الحطب، حتى لزم الحديد النحاس، وكان طوله مئة فرسخ، وعرضه خمسين ذراعاً، وارتفاعه مئتي ذراع، وقيل غير ذلك .

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ ﴿١٧﴾ .

[٩٧] ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ أي : يعلوه من فوقه ؛ لملاسته ورفعته .
قرأ حمزة (فما استطاعوا) بتشديد الطاء، يريد: فما استطاعوا، فأدغم التاء في الطاء، وجمع بين ساكنين وصلأً، قال ابن الجزري: والجمع بينهما في مثل ذلك^(٢) جائز مسموع، وقرأ الباقون: بتخفيفها على حذف^(٣) التاء ﴿ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ خَرْقًا؛ لصلابته وسمكه .

(١) انظر: «معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧)، وباقي المصادر في التعليق السابق .

(٢) «في مثل ذلك» زيادة من «ت» .

(٣) المصادر السابقة .

جنة السنة

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (١٨).

[٩٨] فلما فرغ منه ﴿ قَالَ هَذَا ﴾ أي: السد ﴿ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ علي وعليكم؛

لعدم خروجهم بسببه ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أي: وقت خروجهم .

﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ قرأ الكوفيون: (دَكَّاء) بالمد والهمز من غير تنوين؛ أي:

أرضاً ملساء، والباقون: بالتنوين من غير همز^(١)؛ أي: مستويماً مع وجه الأرض.

﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ واجباً بالشواب والعقاب وغيرهما، هذا آخر كلام ذي

القرنين.

روي أنهم يحفرون كل يوم الردم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس،

قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعيده الله كما كان، حتى إذا

بلغت مدتهم، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي

عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيعودون وهو كهيئته،

فيحفرونه، ويخرجون، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، فيشربون

المياه، وينحصر الناس منهم في حصونهم، ولا يقدرّون على إتيان مكة

والمدينة وبيت المقدس، ويرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع كهيئة الدم،

فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيرسل الله تعالى عليهم

دوداً في أعناقهم، فيهلكون جميعاً، فيرسل الله عليهم طيراً، فتلقيهم في

البحر، ويرسل مطراً يغسل الأرض، وخروجهم يكون بعد خروج الدجال

وقتل عيسى إياه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)،

و«تفسير البغوي» (٣/٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨).

جنة السنة

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ﴾ [٩٩]

[٩٩] ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: بعض يأجوج ومأجوج من وراء السد يوم سد ﴿ يَمُوجُ ﴾ يضطرب ويختلط ﴿ فِي بَعْضٍ ﴾ لكثرتهم وعدم خروجهم.
﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿ فُجِعَتْهُمْ ﴾ أي: جميع الخلائق يوم القيامة للحساب.
﴿ جَمْعًا ﴾ في مكان واحد.

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [١٠٠]

[١٠٠] ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ أي: أظهرناها.
﴿ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ حتى يشاهدوها عياناً.

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [١٠١]

[١٠١] ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ عن القرآن والإيمان به، وقوله (أعينهم) كناية عن البصائر، لا عين الجارحة.
﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ لذكري؛ لإفراط صممهم عن الحق.

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِ أَوْلِيَائِهِ إِنَّا أَعَدَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ [١٠٢]

[١٠٢] ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الاستفهام للإنكار ﴿ أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي ﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزيراً والشياطين ﴿ مِن دُونِ أَوْلِيَائِهِ ﴾ المعنى: أفظن

جنة السنة

الكافرون اتخذهم عبادي من دوني أرباباً ينفَعهم، أو لا أعذبهم.

﴿ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ منزلاً، المعنى: جهنم معدة للكافرين كالنزل المعد للضيف. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (دُونِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) بتحقيق الهمزتين، والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بين بين^(٢).

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿١٠٣﴾ .

[١٠٣] ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ نصب على التمييز؛ أي: بالذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا.

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

[١٠٤] ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ ﴾ ضاع ﴿ سَعِيَهُمْ ﴾ عملهم الخير.

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ لكفرهم؛ كالرهبان؛ فإنهم خسروا دنياهم وآخرتهم.

﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ عملاً ينفَعهم؛ لعجبهم، واعتقادهم

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«الكشف» لمكي (٨٢/٢)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/٤).

جنة السنة

أنهم على الحق. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر: (يَحْسُبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرهما^(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بالبعث ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل اجتهادهم بكفرهم، فلا يثابون على أعمالهم. ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: نذرهم، فلا يكون لهم مقدار، قال ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾»^(٢).

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من هبوط أعمالهم وخسة قدرهم، مبتدأ ﴿جَزَاءُهُمْ﴾ مبتدأ ثان، خبره ﴿جَهَنَّمَ﴾ وهما خبر (ذلك). ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ سخريه.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٢)، كتاب: التفسير، باب: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، ومسلم (٢٧٨٥)، في أول كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

جنة السنة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

[١٠٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ ﴾ في علم الله .

﴿ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴾ وهو وسط الجنة، ومعناه: البستان .

﴿ نُزُلًا ﴾ قال كعب: «ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»^(١) .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

[١٠٨] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ ﴾ لا يطلبون ﴿ عَنْهَا حَوْلًا ﴾ تحويلاً .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ ﴿١٠٩﴾ .

[١٠٩] ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ ﴾ أي: ماؤه ﴿ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ تكتب به،

وهي وعده لأوليائه، ووعيده لأعدائه وحكمه، وسمي المداد مدادا؛ لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء .

﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ أي: فني ماؤه ﴿ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ ﴾ [أي: تفرغ] .

﴿ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ أي: علمه وحكمه . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:

(يَنْفَدُ) بالياء على التذكير لتقديم الفعل، والباقون: بالتاء على التأنيث^(٢)

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٣٦/١٦) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٧٠/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

جنة السنة

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ بمثل ماء البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة عليه، لينفذ أيضاً، ولم تنفذ^(١) كلماته تعالى، ونصبه تمييز.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ منزه عما لا يليق به، وكان كفرهم بعبادة الأصنام، فلذلك خصص هذا الفعل فيما أوحى إليه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يأمل حسن لقائه.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ خالصاً ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ لا يرائي بعمله.

قال ابن عباس: نزلت في جندب بن زهير العامري، قال للنبي ﷺ: إني أعمل العمل لله تعالى، فإذا اطلع عليه، سرنى، فقال النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل ما شورك فيه»، فنزلت^(٢).

وعنه - عليه السلام - : «اتقوا الشُّركَ الأصغرَ»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»^(٣).

= (٢/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢١).

(١) في «ت»: «لنفذ أيضاً، ولم تنفذ».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧١). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/٣١٣)، غريب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد - رضي الله عنه - . ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج - رضي الله عنه - .

جنة السنة

وقال ﷺ: «من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف، عُصِمَ من فتنة الدجال»^(١).

وعنه ﷺ: «من قرأ سورة الكهف، فهو معصومٌ ثمانية أيامٍ من كل فتنة، فإن خرج الدجال في الأيام الثمانية، عصمه الله من فتنة الدجال»^(٢).

وروي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجال، فقال: «أت بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك؛ وإن من أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك، أأنت تعلم أنني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً، وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه، ومات أبوه، فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك، وأحييت لك أخاك، أأنت تعلم أنني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له الشياطين^(٣) نحو أبيه وأخيه، قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به، فأخذ بلحمتي الباب، فقال: مهيم أسماء؟ قلت: يا رسول الله! لقد خلعت

(١) رواه مسلم (٨٠٩)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٩/٢-٥٠)، عن علي - رضي الله عنه -.

(٣) في «ت»: «الشيطان».

جنة السنة

أفئدتنا بذكر الدجال، قال: إن يخرج، فأنا حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن، قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله! والله إنا لنعجنن عجينا، فما نخبزه حتى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: يجزئهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس»^(١).

ومما ورد في أمر الدجال: ما روي عن الضحاك أنه قال: «الدجال ليس له لحية، وافر الشارب، طول وجهه ذراعان، وقامته في السماء ثمانون ذراعاً، وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعاً، ثيابه وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجوهر، وعلى رأسه تاج مُرَّصَع بالذهب والجوهر، هيئته المجوس، وكلامه الفارسية، تطوى له الأرض ولأصحابه طياً طياً، يطمأ مجامعها، ويرد مناهلها إلا المساجد الأربعة: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الطور»^(٢).

وفي الحديث الشريف: أن عينه اليمنى طافية^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٥٥/٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٤٥٥/٦)، والطيالسي في «مسنده» (١٦٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٨/٢٤).

(٢) لم أقف عليه، غير أن الألويسي في «روح المعاني» (١١/١٥) قال: فقد أخرج أحمد في «المسند» أن الدجال يطوف الأرض إلا أربعة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، والأقصى، والطور. . . اهـ. والصحيح الثابت أنه «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نَقْبٌ إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها. . .» كما رواه البخاري (١٧٨٢)، كتاب: فضائل المدينة، باب: «لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم (٢٩٤٣) كتاب: الفتن وأشراف الساعة، باب: قصة الجساسة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٢٥٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، =

جنة السنة

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأُنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكنني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيُّ لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»^(١).

وعن خالد بن معدان قال: عصمة المؤمنين من المسيح الدجال بيت المقدس^(٢).

وعن ربيعة بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقتيتكم جنود الدجال ببطن الأردن، بينكم النهر، أنتم غربيه، وهم شقيه»، قال ربيعة: فقال المحدث من أصحاب رسول الله ﷺ: فما سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله ﷺ^(٣).

والأردن هو نهر الشريعة المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

= ومسلم (١٦٩)، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والدجال، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(١) رواه البخاري (٢٨٩٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، ومسلم (١٦٩)، (٤/٢٢٤٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٤٤٧)، عن أبي الزاهرية مرفوعاً: «معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال بيت المقدس...».

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٥٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٦٣٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٠٦٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٣/٦٢)، عن نهيك بن صريم - رضي الله عنه -.

جنة السنة

مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ ﴿البقرة: ٢٤٩﴾، وهو شرقي بيت المقدس، ومسافته عنه نحو يوم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم التيجان»^(١).

ويرويه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف مُحَلَّى»^(٢).

وروي أن نبي الله عيسى ﷺ يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة أحجار: الأول منها يقول: باسم إله إبراهيم، والثاني: باسم إله إسحاق، والثالث باسم إله يعقوب، ثم يخرج بمن تبعه من المسلمين إلى الدجال، فإذا رآه، انهزم عنه، فيدركه عند باب لُدّ، فيرميه بأول حجر، فيضعه بين عينيه، ثم الثاني، ثم الثالث، فيقع، فيضربه عيسى فيقتله، فيقتل الدجال واليهود، حتى إن الحجر والشجر ليقولان: يا مؤمن هذا تحتي يهودي، فأته فاقتله^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٩٤٤)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، لكنه قال: «عليهم الطيالة» بدل «التيجان»، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٤/٣)، وغيرهما، لكن عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢٤٩)، والرويان في «مسنده» (١٢٣٩)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٤٨)، وتمام الرازي في «فوائده» (٢٦٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٣/٢).

(٣) انظر: تخريج الحديث المتقدم.

جنة السنة

قال ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم إماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير»^(١).

وأما لُدّ، فهي بليدة بأرض فلسطين شمالي مدينة الرملة، مسافتها عن بيت المقدس نحو يوم، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢١٠٩)، كتاب: البيوع، باب: قتل الخنزير، ومسلم (١٥٥)، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم...، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.



مكية بإجماع، إلا السجدة منها، ففيها خلاف، وآيها تسع وتسعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثمان مئة وحرفان، وكلمها: تسع مئة واثنان وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ﴾

[١] ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قرأ أبو عمرو: بإمالة الهاء وفتح الياء، وقرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف: بضم الهاء وإمالة الياء ضد الأول، وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الهاء والياء جميعاً، واختلف عن نافع، فروي عنه إمالتها بين بين، وفتحها، والأول أشهر، وفتحها الباقون، وهم أبو جعفر، وابن كثير، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر يقطع الحروف على أصله، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة في جميع أحرف الهجاء من أوائل السور، وأظهر دالَّ (صاد) عند ذال (ذِكْرُ): نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وأدغمها الباقون، وأشبع مدَّ (ع): ورش بخلاف عنه^(١)، واختلف في الحروف التي في أوائل السور

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، =

جنة السنة

على قولين: فقيل: هي سر الله في القرآن، لا ينبغي أن يتعرض له، نؤمن بظاهره، ونترك باطنه، وقال الجمهور: بل ينبغي أن يتكلم فيها، وتطلب معانيها؛ فإن العرب قد تأتي بالحرف الواحد دالاً على كلمة، وليس في كتاب الله ما لا يفهم، وتقدم الكلام فيها أول سورة البقرة، قال ابن عباس: (كهيعص): هذه حروف دالة على أسماء من أسماء الله تعالى: (الكاف) من كبير، و(الهاء) من هاد، و(الياء) من علي، و(العين) من عزيز، و(الصاد) من صادق^(١)، وقيل: معناه كافٍ لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

﴿ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴾

[٢] ﴿ ذَكَرْ ﴾ خبر مبتدأ؛ أي: المتلوا ذكر ﴿ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴾ وفيه تقديم وتأخير، معناه: ذكر ربك عبده زكريا برحمته، و(رحمت) بالتاء في سبعة مواضع، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(٢)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (زَكَرِيَّا) مقصوراً بغير همز حيث وقع، والباقون: بالهمز والمد^(٣).

= «تفسير البغوي» (٧٣/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٤١-٢٤٥ و٧١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥-٢٧).
(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٤٠٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣٠٠/١٠)، وغيرهما.

(٢) انظرها في تفسير الآية (٢١٨) في سورة البقرة.

(٣) انظرها في تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

جنة السنة

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [٣].

[٣] ﴿ إِذْ نَادَى ﴾ دعا ﴿ رَبَّهُ ﴾ في محرابه ﴿ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ سراً جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وروح عن يعقوب: (زَكَرِيَّا إِذْ) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية^(١)، وتقدم ذكر زكريا ووفاته في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ [الآية: ٣٧].

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [٤].

[٤] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أي: ضعف من الكبير. ﴿ وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ كناية عن عموم الشيب، شبهه بلهب النار، ونصبه على التمييز، تقديره: اشتعل شيبُ رأسي. قرأ أبو عمرو: (الرَّأْسُ شَيْبًا) بإدغام السين في الشين^(٢).

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: عودتني الإجابة فيما مضى، وما أشقتني قطُّ برِّدًا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٠).

جنة السنة

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ .

[٥] ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ العصبه .

﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ أي : بعدي ؛ ألا يقوموا مقامي في الدين ، خاف تضييع بني عمه دين الله ، وتغيير أحكامه ؛ لما شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين ، وقتل الأنبياء ، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته لثلاثا يضيع الدين . قرأ ابن كثير : (وَرَائِي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ لا تلد .

﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أعطني من عندك ﴿ وَلِيًّا ﴾ ولداً .

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ .

[٦] ﴿ يَرِثُنِي ﴾ في النبوة والعلم ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ الملك .

﴿ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ أي : راضياً بقضائك تقياً مرضياً . قرأ أبو عمرو ، والكسائي : (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء ، والباقون : بالرفع على الحال والصفة ؛ أي : ولياً وارثاً^(٢) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٠٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٥٠) ،

و«تفسير البغوي» (٣ / ٧٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤ / ٣٠) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٠٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٨) ،

و«تفسير البغوي» (٣ / ٧٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤ / ٣١) .

حنة السنة

﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلْمٍ أَسمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿يَنْزَكِرِيَا﴾ فيه إضمار؛ أي: فاستجاب الله له دعاءه، فقال، أو: فنودي: (يا زكريا) ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلْمٍ﴾ بولد ﴿أَسْمُهُ يَحْيَى﴾ سمي به لأنه حيي به الرحم اليأس .

﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: لم يسم قبله يحيى . قرأ ابن عامر، وعاصم، وروح عن يعقوب: (يا زَكْرِيَاءُ إِنَّا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واوًا خالصة^(١)، وقرأ حمزة: (نُبَشِّرُكَ) بفتح النون وجزم الباء وضم الشين مخففة؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة، وقرأ الباكون: بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة^(٢)؛ من بَشَّرَ المضعف على التكثير، والبشر والتبشير والإبشار لغات فصيحات .

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ أي: كيف، ومن أين ﴿يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾، وليس لي ما أستحق به ذلك، ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧ و١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٢٩٧-٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٨-٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢) .

جنة السنة

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ييساً؛ أي: بلغت العتي من أجل الكبر.
قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (عِتِيًّا) بكسر العين، والباقون:
بضمها، وهما لغتان^(١).

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾^(٩).

[٩] فَتَمَّ ﴿ قَالَ ﴾ جبريل: ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما قلت لك.

﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ ﴾ أي: خلق يحيى من كبيرين ﴿ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ سهل.

﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (خَلَقْنَاكَ) بالنون والألف على لفظ الجمع للتعظيم، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد^(٢)، وكلاهما إخبار؛ أي: أوجدناك.

﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: قبل يحيى ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ بل كنت معدوماً.

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾^(١٠).

[١٠] ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ دلالة على حمل امرأتي. قرأ نافع،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤).

جنة السنة

وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِي آيَة) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ أي: صحيحاً من غير خرس، روي أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس، فإذا أراد^(٢) ذكر الله، انطلق لسانه. روي عن يعقوب وقنبل: الوقفُ بالياء على (لَيَالِي).

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(١١).

[١١] ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ صبيحة ليلة حمل امرأته.

﴿ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ من المصلى، أو من الغرفة، وكان الناس ينتظرونه ليخرج إلى الصلاة، فخرج متغيراً لونه، فأنكروه وقالوا: مالك يا زكريا؟

﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ أو ما ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ إشارة بإصبعه ﴿ أَن سَبِّحُوا ﴾ صلوا.

﴿ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ طرفي النهار^(٣). قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (المحراب) بالإمالة، والباقون: بالفتح^(٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤/٤).

(٢) «أراد» زيادة من «ت».

(٣) «النهار» ساقطة من «ش».

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٦٤/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤/٤).

جنة السنة

﴿يَيْحَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢).

[١٢] ﴿يَيْحَىٰ﴾ فيه حذف معناه: يولد له، وقلنا للمولود: يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة بلا اختلاف؛ لأنه ولد قبل عيسى عليه السلام، ولم يكن الإنجيل عند الناس موجوداً ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد. ﴿وَّءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة، وقيل: الفهم للتوراة. ﴿صَبِيًّا﴾ شاباً لم يبلغ حد الكهول.

وروي أنه نبيء وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين، وروي أنه قال له الصبيان: لم لا تلعب؟ فقال: أَللَّعِبِ خُلِقْتُ؟! *

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣).

[١٣] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: رحمة من عندنا، المعنى: رحمة للخلق، ولأبويه ﴿وَزَكَاةً﴾ تطهيراً وبركة وصدقة تصدق الله بها على أبويه وأهل زمانه.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة، ولا همَّ بها.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤).

[١٤] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: جعلناه محسناً إليهما، مشفقاً عليهما. ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيًّا﴾ لربه.

جنة السنة

﴿ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : سلامة له من الشيطان .

﴿ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ إلى الموقف .

قال سفيان بن عيينة : أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال : يوم ولد فيخرج مما كان ، ويوم يموت^(١) فيرى قوماً لم يكن عاينهم ، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله ، فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن^(٢) .

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ وَأَذْكُرْ ﴾ يا محمد ﴿ فِي الْكِتَابِ ﴾ أي : القرآن ﴿ مَرْيَمَ ﴾ يعني :

قصتها ، وهذا ابتداء قصته ليست من الأولى .

﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ أي : اعتزلتهم ناحية ﴿ مَكَانًا ﴾ ظرف ﴿ شَرْقِيًّا ﴾

نعتة ؛ أي : نحو المشرق في بيت المقدس ، ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة .

﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴾ ﴿١٧﴾ .

(١) «يوم يموت» ساقطة من «ش» .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٦/٥٨-٥٩) ، والبيهقي في «الزهد الكبير»

(٢/٢٢٨) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/١٧٤) .

حنة السنة

[١٧] ﴿ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ سترًا تستتر به؛ لتخلو للعبادة، وقيل: لتغتسل من الحيض، وقد تقدم في تفسير سورة آل عمران أنها كانت لا تحيض.

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿ فَمَثَلٌ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ أتاها جبريل - عليه السلام - متمثلًا بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَمَثَلٌ لَهَا) بإدغام اللام الأولى في الثانية^(١).

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾^(١٨)

[١٨] فلما رآته يقصد نحوها ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ مطيعاً؛ أي: إن اتقيت، فستنتهي لتعودي. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي أَعُوذُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾^(١٩)

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾ لها جبريل: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ قرأ

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٥).
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٥).

جنة السنة

أبو عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع (لِيَهَبَ) بالياء بعد اللام؛ أي: ليهب لك ربك، وقرأ الباقون بخلاف عن قالون: (لَاهَبَ) بهمزة بين اللام والهاء^(١)، وأخبر جبريل عن نفسه؛ لأنه الواهب بأمر ربه، ورسمها (لَاهَبَ) ﴿غُلَمًا زَكِيًّا﴾ ولداً طاهراً لا يقارف ذنباً.

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾^(٢).

[٢٠] ﴿ قَالَتْ ﴾ مريم: ﴿ أَنَّى ﴾ من أين ﴿ يَكُونُ لِي غُلَمٌ ﴾ ولم يمسنني بشر ﴿ بَشَرٌ ﴾ ولم يقربني زوج ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ زانية تبغي الرجال، تلخيصه: إنما يكون الولد من نكاح أو سفاح، وليسا عندي، ولا أحدهما.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾^(٣).

[٢١] ﴿ قَالَتْ ﴾ جبريل: ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما قلت لك. ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ ﴾ أي: خلق ولد بلا أب ﴿ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ سهل. ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً ﴾ علامة ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ ودلالة على قدرتنا ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ لمن آمن به؛ لأنه سبب الرحمة.

﴿ وَكَانَ ﴾ ذلك ﴿ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ مقدرًا لا يرد.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٧٩/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦/٤).

جنة السنة

قال ابن عباس: أنست به، فنفخ في جيب درعها، فسرت النفخة بإذن الله تعالى^(١).

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾^(٢٧).

[٢٢] ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي: حملت عيسى في بطنها.

^١ ﴿ فَأَنْبَذَتْ بِهِ ﴾ أي: انفردت وهو في بطنها.

﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل بوادي بيت لحم قبل بيت المقدس، بينهما أربعة أميال؛ فراراً من قومها أن يُعيروها بولادتها من غير زوج، وكانت مدة الحمل ساعة واحدة في قول ابن عباس، وقيل غير ذلك، وكان سنّها ثلاث عشرة سنة، وقد ورد في حديث المعراج الشريف أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين أسري به: «انزل فصلًا، فنزل فصلي، قال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام»^(٢)، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾^(٢٣).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤١٥٦)، وابن عساکر في «تاریخ دمشق» (١٧٠/٨٧).

(٢) تقدم تخريج حديث الإسراء والمعراج في «لصحيحين» وهذا لفظ النسائي في «سننه» (٤٥٠)، كتاب: الصلاة، باب: فرض الصلاة.

حنة السنة

[٢٣] ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ وهو تحرك الولد للخروج وألم الولادة حتى

ذهبت .

﴿إِلَى جِدْعِ النَّحْلَةِ﴾ وكانت يابسة في الصحراء في شدة الشتاء، التجأت إليها؛ لتستند إليها، وتمسك بها؛ إذ لم تكن لها قابلة تعينها، أو^(١) لثلا يراها أحد .

﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا﴾ تمت الموت استحياء من الناس، ومخافة لومهم . قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِثُّ) بكسر الميم، والباقون: بضمها^(٢) .

﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم: (نَسِيًّا) بفتح النون، والباقون: بكسرها^(٣)، ومعناها: حقيراً .
﴿مَنْسِيًّا﴾ إذا ألقى نسي، ولم يلتفت إليه .

﴿فَنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

[٢٤] ﴿فَنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، وروح عن يعقوب: (مِنْ) بكسر الميم

(١) في «ت»: «و» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧/٤) .

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨٠/٣)، والمصادر السابقة، وهذه القراءة والتي قبلها رويتا بخلاف عن عاصم .

حنة السنة

(تَحْتِهَا) بخفض التاء، وقرأ الباقون: بفتح الميم ونصب التاء^(١)، وهو جبريل - عليه السلام - وكانت مريم على أكمة، وجبريل - عليه السلام - وراء الأكمة تحتها، لما سمع كلامها، وعرف جزعها، ناداها:

﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهراً صغيراً. قرأ أبو عمرو (جَعَلَ رَبُّكِ) بإدغام اللام في الراء^(٢).

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِمِجْذِ النَّخْلَةِ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾

[٢٥] روي أن جبريل - عليه السلام - أو عيسى - عليه السلام - ضرب بعقبه الأرض، فظهرت^(٣) عين ماء عذب، فجرى النهر اليابس، فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها، فقبل لها: ﴿وَهَزَىٰ﴾ أي: حركي.

﴿إِلَيْكَ بِمِجْذِ النَّخْلَةِ﴾ وأمليه إليك، والباء مزيدة للتأكيد، والهز: تحريك بجذب ودفع.

﴿تَسْقِطُ عَلَيْكَ﴾ قرأ حمزة: (تَسَاقَطُ) بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، أصله: تتساقط، فحذف إحدى التاءين، وروى حفص عن عاصم: بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين، على وزن تَفَاعِلٍ، وساقط بمعنى:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩).

(٣) في «ش»: «فظهر».

جنة السنة

أسقط، والتأنيث لأجل النخلة، وقرأ يعقوب: بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، رده إلى الجذع؛ أي: يتساقط، وقرأ الباقون: بفتح التاء والقاف وتشديد السين؛ أي: تتساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين^(١) ﴿رُطْبًا جَنِيًّا﴾ أي: مجنياً.

﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٢).

[٢٦] ﴿فَكُلِّي﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرِبِي﴾ من ماء النهر.

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيبي نفساً بعيسى، وبانتفاء التهمة عنك؛ بحمل النخلة اليابسة، وجري النهر اليابس؛ لأنه إذا شوهذ ذلك، لم يستبعد وجود ولد بلا فحل، وقرة العين مأخوذة من القر، وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد، ودمع الحزن سخن، وإنما معنى قرة العين: أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع؛ إذ لا حزن بهذا الأمر الذي قرت العين به و(عَيْنًا) نصب على التمييز ﴿فِيمَا تَرَيْنَ﴾ أي: فإن رأيت ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ صمتاً، والصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام والكلام، أمرت أن تنذري السكوت؛ لأن عيسى يكفيها، ولئلا تجادل

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٨٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٠-٣٩/٤).

جنة السنة

السفهاء، وعرفتهم بصيامها إشارة، وكان هذا في شريعتهم، ولا يجوز في شرعنا أن ينذر أحد صمتاً.

﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ سِيَّآ ﴾ آدمياً؛ أي: أنا ممنوعة من كلام البشر.

﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيحًا ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ فلما رأوه معها، بكوا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالح، ثم ﴿ قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ ﴾ أي: فعلت. ﴿ شَيْئاً فَرِيحًا ﴾ عظيماً من الافتراء.

﴿ يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ يَتَأَخَتَ هَرُونَ ﴾ كان رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل، شُبِّهت به، روي أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل، سوى سائر الناس، شبهوها به على معنى: أنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ ﴾ عمران ﴿ أَمْرًا سَوْءٍ ﴾ زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟!

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ إلى عيسى عليه السلام؛ أي: كلموه ليحييكم،

جنة السنة

فغضب القوم، وقالوا: مع ما فعلت تسخرين بنا؟! ثم ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: في حجر أمه ﴿صَبِيًّا﴾ وكان عيسى يرضع.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

[٣٠] فقالت له: تكلم، فأقبل عليهم بوجهه، ثم اتكأ على يساره، وأشار بسبابته، ثم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ اعترف بالعبودية وهو ابن يوم أو أربعين؛ لثلاثين.

﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ قال الأكثرون: أوتي الإنجيل وهو صغيرٌ طفلٌ، وكان يعقل عقلَ الرجال. قرأ حمزة: (آتَانِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١)، وقرأ أبو عمرو (فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) بإدغام الدال في الصاد^(٢) ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ على من آمن بي واتبعني.

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي﴾ أمرني.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٣).

جنة السنة

﴿ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ قرأ الكسائي: (آتاني) (وَأَوْصَانِي) بالإمالة، والباقون: بالفتح (١).

﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ أي: وجعلني برًّا بها؛ أي: كثير الإحسان إليها.

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ بمخالفته.

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ﴾ أي: السلامة عند الولادة من طعن الشيطان.

﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ عند الموت من الشرك.

﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ من الأهوال، ولما كلمهم عيسى بهذا، علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى ولم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المعنى ذلك الذي هذه قصته.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٣-٤٤).

جنة السنة

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما يقول النصارى من أنه إله، أو أنه ابن الله .

﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (قَوْلَ الْحَقِّ) بنصب اللام؛ أي: قَالَ قَوْلَ الْحَقِّ، وقرأ الباقون: برفعها^(١)؛ أي: هذا الكلام قول الحق، والحق هو الله سبحانه .

﴿الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ﴾ يشكِّون ويختلفون؛ لأن اليهود قالوا: عيسى ساحر كذاب، وبعض النصارى قال: هو الله، وبعضهم: ولده، وبعضهم: شريكه، وكذبوا جميعاً .

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وِلْدٍ سَبَّحْنَهُ^ع إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^{٢٥}﴾ .

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وِلْدٍ﴾ أي: ما ينبغي له ذلك، وجيء به (من) للنفي العام؛ [لأنك إذا قلت: ما عندي رجل، جاز أن يكون عندك أكثر من رجل]^(٢)، وإذا قلت: ما عندي من رجل، نفيت أن يكون عندك واحد وأكثر ﴿سَبَّحْنَهُ^ع﴾ عن صفات المخلوقين .

﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أراد كونه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قرأ ابن عامر:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٥)، وقراءة يعقوب في «النشر» .

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ش» .

جنة السنة

(فَيَكُونُ) بنصب النون؛ لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً، وقرأ الباقون: بالرفع على معنى: فهو يكون^(١).

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ﴾ أطيعوه؛ لاختصاصه بالربوبية.

﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أي: هو الطريق المشهود له بالاستقامة. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب، (وَإِنَّ اللَّهَ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بفتحها عطفاً على ما قبل^(٢)؛ أي: أوصاني بالصلاة والزكاة، وبأن الله.

﴿ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ أي: اليهود والنصارى، فجعله اليهود ولد زناً، والنصارى إلهاً.

﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: شهودهم يوم القيامة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٦).

جنة السنة

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ أي : ما أسمعهم وأبصرهم .

﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ حين لا ينفعهم ذلك ؛ لأنهم يسمعون ويبصرون في

الآخرة ما لم يسمعوا أو لم يبصروا في الدنيا .

﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي : خطأ بين .

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ هو يوم القيامة يقع فيه الندم على ما فات

﴿ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فرغ من الحساب ، واستقر كلُّ في مقره^(١) ، ويؤتى بالموت

في صورة كبش أملح ، ويذبح ، وينادى على أهل النار وأهل الجنة : خلود

بلا موت ؛ كما ورد به الحديث الصحيح عن النبي ﷺ^(٢) .

﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ عن الاهتمام لذلك المقام .

﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون به في الدنيا .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ بأن نهلك جميع سكانها .

(١) في «ت» : «مستقره» .

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٣) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ، ومسلم

(٢٨٤٩) ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ،

والجنة يدخلها الضعفاء ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

جنة السنة

﴿وَالْتِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة، فيجازون. قرأ يعقوب: (يُرْجَعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم^(١).

﴿وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾

[٤١] ﴿وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالالف^(٢).

﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغاً في الصدق بجميع ما صدر عن الله .

﴿نَبِيًّا﴾ النبي العالي في الرتبة بإرسال الله إياه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾

[٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر وهو يعبد الأصنام: ﴿يَا أَبَتِ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء حيث وقع، والباقون: بكسرها، ووقفاً: (يَا أَبَهُ) بالهاء، ووافقهما في الوقف ابن كثير، ويعقوب^(٣).

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ صوتاً ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ العبادة ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ أي: لا يدفع ﴿شَيْئًا﴾ من عذاب الله عنك!؟

- (١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٧).
- (٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٨).
- (٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٨).

جنة السنة

﴿ يَتَأْتِ بِإِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ يَتَأْتِ بِإِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ﴾ بالله والبيان .

﴿ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي ﴾ على ديني ﴿ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ مستقيماً .

﴿ يَتَأْتِ بِلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ يَتَأْتِ بِلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ لا تطعه بعبادة الأصنام .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ عاصياً .

﴿ يَتَأْتِ بِإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ يَتَأْتِ بِإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ ﴾ يصيبك .

﴿ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ قريباً في النار . قرأ الكوفيون ،

وابن عامر ، ويعقوب : (إِنِّي أَخَافُ) يأسكان الباء ، والباقون : بفتحها^(١) .

﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمُ الْبُهْمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي ﴾

﴿٤٦﴾ مَلِيًّا ﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٨/٤) .

جنة السنة

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من الأصنام، فارتحل من كوثر إلى الأرض المقدسة
﴿ وَأَدْعُوا رَبِّي ﴾ أعبدّه .

﴿ عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي ﴾ بعبادته .

﴿ شَقِيًّا ﴾ أي : عسى أن يجيبني فيك، ولا يخيبني .

﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا
جَعَلْنَا نَبِيِّنَا ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فذهب مهاجراً .

﴿ وَهَبْنَا لَهُ ﴾ بعد الهجرة .

﴿ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ أولاداً كراماً على الله، يأنس بهم بدل الكفار .

﴿ وَكُلًّا ﴾ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا ﴾ نعمتنا، وهو ما بسط الله لهم في الدنيا من

سعة الرزق .

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ أي : ثناءً حسناً في جميع أهل الأديان،

فكلهم يتولونهم، ويشنون عليهم .

﴿ وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ قرأ الكوفيون (مُخْلَصًا)

جنة السنة

بفتح اللام؛ أي: مختاراً اختاره الله لعبادته ونبوته، وقرأ الباقون: بكسرها^(١) أي: أخلص هو نفسه لله وحده.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ والرسول من الأنبياء: الذي يكلف تبليغ أمة، وقد يكون نبي غير رسول.

﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(٥٢).

[٥٢] ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ من موسى، لا من الجبل؛ لأن الجبل لا يمين له، إنما ذلك بالنسبة إلى الشخص، والطور: جبل بين مصر ومدين، ويقال: اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار، فنودي: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّ إِلَهًا لَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ أي: مناجياً، قال ابن عباس: معناه: قربه فكلمه^(٢) ومعنى التقريب: إسماعه كلامه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾^(٥٣).

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمِنْ رَحْمَتِنَا﴾ من نعمتنا عليه.

﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ وذلك حين سأل ربه فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾^(٥٤)

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٩١).

جنة السنة

هَرُونَ أَخِي ﴿ طه: ٣٠-٣١ ﴾، فأجاب الله دعاءه، وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هبة له .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام، وهو الذبيح في قول الجمهور، وقالت فرقة: الذبيح إسحاق، والراجح الأول؛ لأن أمر^(١) الذبيح كان بمنى عند مكة بلا خلاف بين العلماء، وما روي قط أن إسحاق دخل تلك البلاد .

﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ لم يعد أحداً شيئاً إلا وفى به، روي أنه وعد رجلاً^(٢) أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه، فأقام إسماعيل مكانه يومه وليلته حتى رجع إليه الرجل، وقيل: انتظره سنة، قال ابن عطية: وهو بعيد غير صحيح، والأول أصح^(٣) .

﴿ وَكَانَ رَسُولًا ﴾ إلى جرهم ﴿ نَبِيًّا ﴾ مخبراً عن الله - عز وجل - .

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ ﴾ قومه وأمته .

﴿ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ التي افترضها الله عليهم .

(١) «أمر» زيادة من «ت» .

(٢) في «ش»: «رجلان» .

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢١/٤) .

جنة السنة

﴿ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ صالحاً زكياً^(١)؛ لأنه قام بطاعته .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٥٦) .

[٥٦] ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ﴾ وهو جد أبي نوح، واسمه حنوخ - بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة -، وسمي إدريس، لكثرة درسه الكتب، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وكان إدريس خياطاً، وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم الحساب، وأدرك إدريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة، ولما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة، رفعه الله إلى السماء، وكان قد نبأه الله تعالى، وانكشفت له الأسرار السماوية، ونزل عليه جبريل أربع مرات، وله صحف منها: لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرة؛ فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين، إلا من آثره .
﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ .

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾^(٥٧) .

[٥٧] ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ الجنة؛ لأنه روي أنه أذيق الموت ساعة، ثم أحيي، ثم أدخل الجنة ولم يخرج منها، وقيل: رفع إلى السماء الرابعة، وروي ذلك عن النبي ﷺ^(٢)، وقال كعب: صعد به ملك من الملائكة إلى

(١) في «ت»: «زاكياً» .

(٢) وقد تقدم ذلك في حديث الإسراء والمعراج .

جنة السنة

السماء، فلما صار في الرابعة، قبض روحه^(١).

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى عليهم السلام.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٥٨).

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ النبيون المذكورون من زكريا إلى إدريس ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾، وقوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يريد: إدريس ونوحاً ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة، يريد: إبراهيم؛ لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحق ويعقوب ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا ويحيى، وعيسى بن مريم من ذريته ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أرشدنا واصطفينا.

﴿إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ من خشية الله، أخبر تعالى أن الأنبياء كانوا يسجدون ويبكون لسماح آيات الله. قرأ حمزة، والكسائي: (وَبُكِيًّا) بكسر الباء، والباقون: بضمها^(٢)، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في سجود التلاوة وحكمه وسجود الشكر

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٩٢/٣).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٨) من هذه السورة.

حنة السنة

مستوفى آخر سورة الأعراف. وملخصه أنه كالصلاة يشترط له الطهارة واستقبال القبلة بالاتفاق، ولا يسجد له في وقت نهى عند الثلاثة؛ خلافاً للشافعي، وأما حكمه، فقال أبو حنيفة: هو واجب على التالي والسماع، سواء قصد السماع، أو لم يقصد، ويكبر ويسجد بلا رفع يد، ثم يكبر [ويرفع بلا تشهد ولا سلام، وقال مالك: هو فضيلة للقارىء وقاصد الاستماع، ويكبر]^(١) لخفضه ورفع، وليس له تسليم، وقال الشافعي: هو سنة للقارىء والمستمع [والسماع، وينوي ويكبر للإحرام رافعاً يديه، ثم للهوي بلا رفع، ويسجد كسجدة الصلاة، ويرفع مكبراً، ويسلم من غير تشهد، وقال أحمد: هو سنة للقارىء والمستمع]^(٢) دون السماع، وسجوده عن قيام أفضل، ويكبر إذا سجد وإذا رفع، والسلام ركن، وتجزئ واحدة بلا تشهد، وأما سجود الشكر، فقال أبو حنيفة ومالك^(٣): هو مكروه، فيقتصر على الحمد والشكر باللسان، وخالف أبو يوسف ومحمد أبا حنيفة، فقالا: هي قرينة يثاب فاعلها، وقال الشافعي وأحمد: يسن، وحكمه عندهما كسجود التلاوة، لكنه لا يفعل في الصلاة، وقد وقع الكلام على ذلك بأنهم من هذا آخر سورة الأعراف، وذكر اختلاف الأئمة في عدد السجودات ومكانها^(٤)، ونبه على كل شيء في محله فيما مضى من السجودات، وسيأتي التنبيه على ما بقي منها في محل كل سجدة إن شاء الله تعالى.

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) «ومالك» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «محلها».

جنة السنة

﴿ خَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ

عَذَابًا ۝٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ خَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد الأنبياء المذكورين ﴿ خَلْفٌ ﴾

وهم قوم سوء (فالخلف) - بسكون اللام - : الطالح، وبفتحها: الصالح،
والتلاوة بالأولى^(١)، والمراد بالخلف هنا: أهل الكتابين والمجوس ومن
لحق بهم.

﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ المفروضة بتركها ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ﴾ ملاذ النفس

المحرمة ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾ وهو واد في جهنم تستعيد أودية جهنم من
حره، أعده الله للزاني المصر عليه، وشارب الخمرة المدمن عليها، ولآكل
الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور.

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

شَيْئًا ۝٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَآمَنَ ﴾ صدق النبي .

﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أدى الفرائض .

﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي،

وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، والباقون:
بضم الياء وفتح الخاء^(٢) ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ لا ينقصون من أعمالهم شيئاً.

(١) في «ت»: «بالأول».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

جنة السنة

﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ (٦١).

[٦١] ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: وعدهم بها وهي

غائبة عنهم.

﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ آتياً.

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴾ (٦٢).

[٦٢] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة.

﴿ لَغْوًا ﴾ أي: ما يلغى من الكلام ويؤثم.

﴿ إِلَّا سَلَامًا ﴾ أي: لكن سلاماً بمعنى: سلامة.

﴿ وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴾ طرفي النهار، ولا نهار ثم ولا ليل، بل

المراد: مقدارهما.

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٦٣).

[٦٣] ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ ﴾ نعطي ﴿ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ متقياً لله

تعالى. قرأ رويس عن يعقوب (نورث) بفتح الواو وتشديد الراء، والباقون: بالإسكان والتخفيف^(١).

= (٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٠).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥١).

جنة السنة

﴿ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ هو قول جبريل عليه السلام لما استبطأه النبي ﷺ، فقال له: ذلك لأننا عبيد ماورون لانفعل شيئاً إلا بإذن.

﴿ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الدنيا ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ وما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي: مما يلحقه النسيان.

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من الخلق ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ اصبر على أمره ونهيه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ أي: شبيها ونظيراً. قرأ أبو عمرو: (لِعِبَادَتِهِ هَلْ) بإدغام الهاء في الهاء، (وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ): بإدغام الراء في اللام، بخلاف عنه في الثاني^(١).

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَمْ دَامِمْتُ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] [وكان أباي بن خلفٍ ينكر البعث، ففتت عظاماً، وقال: أنبعث

(١) انظر: «غيث النفع» للصفاسي (ص: ٢٨٦)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٥٢/٤).

جنة السنة

بعد ما صرنا كذا؟! فنزل^(١): ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْدَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾^(٢) قاله استهزاء وتكذيباً. واختلف القراء في (أَيْدَا)، فقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (إِذَا) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباكون: بهمزتين على الاستفهام، فالكوفيون، وهشام، وروح، وابن ذكوان بخلاف عنه: يحققون الهمزتين، والباكون: يحققون الأولى، ويسهلون الثانية، ومنهم أبو جعفر، وقالون، وأبو عمرو، ويفصلون بينهما بألف، واختلف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين^(٣).

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾^(٦٧).

[٦٧] ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ ﴾ المعنى: أيقول الإنسان: سأخرج حياً بعد الموت، ولا يتأمل خلقنا له ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: قبل هذه الحالة. ﴿ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ فيستدل على أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: (يَذْكُرُ) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف؛ من الذكر، وقرأ الباكون: بتشديدهما وفتح الكاف^(٤)؛ من التذكُّر^(٥): التفكير.

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٢/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٢-٥٣).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٣).

(٥) في «ت»: «التذكير».

جنة السنة

﴿ فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهْمُ وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهْمُ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾

﴿ جِثِيًّا ﴾ ٦٨ .

[٦٨] ثم أقسم بنفسه تعالى فقال: ﴿ فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهْمُ ﴾ أي: الكفار.

﴿ وَالشَّيْطِينَ ﴾ معهم؛ لأن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة.

﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهْمُ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ قبل دخولهم إياها ﴿ جِثِيًّا ﴾ جمع جاث؛

أي: جاثين على الركب، وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه؛ كالأسير ونحوه؛ لهول ذلك الوقت، وضيق المكان.

﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهْمُ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾ ٦٩ .

[٦٩] ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ ﴾ لنخرجن ﴿ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ طائفة.

﴿ أَيُّهْمُ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾ جراءة، يبدأ بالأكثر جرماً، فالأكثر، ثم الذين

يلونهم؛ الأعتى فالأعتى منهم.

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ ٧٠ .

[٧٠] ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ دخولاً؛ أي: نحن أعلم بالذين

هم أحق بالعذاب ودخول النار، المعنى: نحشرهم، ثم نخرج الأعصى

فالأعصى منهم، ثم ندخل النار أولاً أحقهم بها، ثم أحقهم بها، على قدر

ذنوبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (جِثِيًّا) في الحرف

المتقدم والآتي و(عِثِيًّا) و(صِلِيًّا) بكسر أولهن^(١)؛ والباقون: بالضم^(٢).

(١) في «ت»: «أوائلهن».

(٢) انظر تفسير الآية (٨) من هذه السورة.

جنة السنة

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١).

[٧١] ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾ أي: وما منكم ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ داخلها، وأصل الورد: الحضور، ويطلق على الحضور والدخول، فعلي وابن عباس - رضي الله عنهما - يفسران الورد بالدخول، لكنها تكون^(١) على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، وعلى الكافرين ناراً، روي أنهم يمرون عليها لا يحسون بها؛ لخمودها، في الحديث: «تقول النار للمؤمن: جُزُفقد أطفأ نورك لهي»^(٢).

﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ حتم الأمر: أوجبه؛ أي: لازماً قضاه الله عليكم.

﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الشرك. قرأ الكسائي، ويعقوب: (نُجِّي) بإسكان النون الثانية مخففاً، والباقون: بفتحها مشدداً^(٣).

﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ على الركب، تلخيصه: ورودكم جهنم لا بد منه، ثم نخلص المؤمن منها، ونترك الكافر معذباً فيها.

(١) «تكون» زيادة من «ت».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/٢٥٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/٣٩٤)، وتمام الرازي في «فوائده» (٩٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/٣٢٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/١٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٥)، عن يعلى بن منية رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/١٠٠ و ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٥).

جنة السنة

﴿ وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [٧٣].

[٧٣] ﴿ وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ ﴾ يعني: القرآن وما بين الله فيه.

﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني: مشركي قريش: النضر بن الحارث وأصحابه.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني: فقراء أصحاب محمد ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشتهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين:

﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ منزلاً ومسكناً. قرأ ابن كثير: (مقاماً) بضم

الميم: ظرف من قام، والباقون: بفتحها^(١): مصدر من قام.

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مجلساً، المعنى: قال المشركون للمؤمنين؛ احتقاراً

بهم: أينما أطيب عيشاً وأحسن مجلساً نحن أو أنتم؟

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴾ [٧٤].

[٧٤] فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ ﴾ أمة.

﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا ﴾ لباساً وأموالاً ﴿ وَرِيًّا ﴾ قرأ أبو جعفر، وقالون عن

نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر^(٢): (وَرِيًّا) بتشديد الياء غير مهموز؛ من

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)،

و«تفسير البغوي» (٣/١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٦).

(٢) «عن ابن عامر» ساقطة من «ت».

جنة السنة

الري بمعنى النعمة^(١)، وقرأ الباقون: بهمزة ساكنة بين الراء والياء^(٢): هو المنظر والهيئة [وَزِيًّا] بالمعجمة؛ من الزينة، والتلاوة بالأول والثاني.

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [٧٥].

[٧٥] ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ﴾ أي: الكفر ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر؛ أي: يمهل في غيِّه ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ﴾ في الدنيا؛ بأن ينصر الله المسلمين عليهم، فيعذبهم بالقتل والأسر.

﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ يعني: القيامة، فيصرون إلى النار.

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ منزلاً إذا صاروا في النار ﴿ وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ عدداً وقوة إذا نصر الله المسلمين.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِيغَتُ الصَّالِحَتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَحَيْرٌ مَرْدًا ﴾ [٧٦].

[٧٦] ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا ﴾ آمنوا بالإيمان ﴿ هُدًى ﴾ إيماناً ورشداً ﴿ وَالْبَلِيغَتُ الصَّالِحَتُ ﴾ الأعمال الصالحة؛ من الذكر وغيره.

﴿ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَحَيْرٌ مَرْدًا ﴾ عاقبة.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

جنة السنة

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ونزل فيمن سخر بالبعث، وهو العاص بن وائل السهمي: قال خباب بن الأرت: كان لي على العاص بن وائل دين، فتقاضيته، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني إذا مت ثم بعثت، فسيكون لي ثم مال وولد، فأعطيك، فإنكم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة؛ استهزاء واستخفافاً، فنزل قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾^(١) قرأ حمزة والكسائي: (وَوُلْدًا) بضم الواو وإسكان اللام في هذا الحرف، وفي الثلاثة الآتية: جمع ولد كأسد وأسد، وقيل - بالفتح -: الابن والابنة، وبالضم: الأهل، وقرأ الباقون: بفتح الواو واللام فيهن^(٢).

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾ .

[٧٨] ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: نظر في اللوح المحفوظ .

﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: عهد إليه أنه يعطيه ذلك .

(١) رواه البخاري (٤٤٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾، ومسلم (٢٧٩٥)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٨).

جنة السنة

﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ ﴿٧٩﴾ .

[٧٩] ﴿ كَلَّا ﴾ رد عليه ، يعني : أنه مخطيء فيما تصوره لنفسه .

﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ سنحفظ عليه قوله ، فنجازيه عليه .

﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ نزيده عذاباً فوق عذابه .

﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ أي : نهلكه ونورث ماله وولده غيره .

﴿ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴾ بلا أهل ولا مال .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾ يعني : مشركي قريش .

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾ أصناماً يعبدونها ﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ ليعتزوا بهم .

﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ كَلَّا ﴾ تفسيرها كالتي تقدمت ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ أي :

ستجحد الآلهة عبادة المشركين .

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ على المشركين ﴿ ضِدًّا ﴾ أي : ضد العز ، وهو الذل .

جنة السنة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ثم عَجَّب تعالى نبيه ﷺ منهم بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ ﴾ سلَّطناهم ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ﴾ تزعجهم إزعاجاً، وتسوقهم إلى المعاصي بسرعة، وأصل الأَزُّ: الحركة مع صوت متصل؛ من أزيز القِدْر: غليانها.

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ثم سلَّاه بقوله: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ بطلب العذاب قبل حينه .
﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ أنفاسهم وأعمارهم وأعمالهم؛ ليستوفوا آجالهم .
﴿ عَذَابًا ﴾ فلا يزدون عليها، ولا ينقصون منها.

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي: واذكر يا محمد يوم .
﴿ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ ﴾ نجتمعهم من قبورهم .
﴿ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ ركبانا، جمع وافد .

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴾ جمع وارد، فيساقون رجالة عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش .

جنة السنة

﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ ﴾ أي: لا يشفع ثمَّ ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ توحيداً وإيماناً، المعنى: لا يشفع إلا المؤمن المأمور بالشفاعة المأذون له فيها، ولا يشفع إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، وروي أن أهل العلم والفضل والصلاح يشفعون فيشفعون.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ [٨٩].

[٨٩] ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ منكرًا عظيمًا.

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [٩٠].

[٩٠] ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء على التذكير؛ لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث (السَّمَوَاتِ)^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، =

جنة السنة

﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء وفتح الطاء مشددة من التفطر، وقرأ الباقون: بالنون وكسر الطاء مخففة؛ من الانفطار، ومعناها واحد^(١)؛ أي: يتشققن ﴿مِنْهُ﴾ أي^(٢): من قولهم الكفر ﴿وَتَشَقُّ الْأَرْضُ﴾ أي: تنخسف. ﴿وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: سقوطاً من سماع قولهم.

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩١] ﴿أَنْ دَعَوْا﴾ يعني: لأن جعلوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

[٩٢] ثم نفى سبحانه عن نفسه الولد فقال: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ المعنى: لا يتأتى له تعالى اتخاذ الولد؛ لأن اتخاذ الولد إنما يكون لحاجة ومجانسة، والله تعالى منزه عن ذلك؛ لامتناعهما في حقه سبحانه.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.

[٩٣] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما منهم.

= «تفسير البغوي» (١٠٨/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦١/٤)، وقرأ «يكاد» نافع والكسائي، دون حفص.

(١) المصادر السابقة.

(٢) «أي» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ﴾ يوم القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً.

واستدل بعض العلماء على أن الولد يعتق على والده إذا ملكه بأي وجه من وجوه الملك، وأن الولد لا يكون عبداً بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾، وقد اتفق الأئمة على أن من ملك والديه، وإن علوا، وأولاده، وإن سفلوا، فإنهم يعتقون عليه بملكه لهم، وأن ولاءهم له، واختلفوا فيما عدا الوالدين، والمولودين فقال أبو حنيفة وأحمد: كل ذي رحم محرم منه إذا ملكه، عتق عليه، وله ولاؤه، وقال مالك في المشهور عنه: يعتق عليه الوالدون والمولودون من علو وسفل، والإخوة والأخوات من كل جهة فقط دون أولادهم، وقال الشافعي: لا يعتق إلا عمود النسب من علو وسفل فقط.

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾.

[٩٤] ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ عَلِمَهُمْ كُلَّهُمْ، فلا يخفى عليه أحد.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ﴿٩٥﴾.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ وحيداً من ماله وولده، والكل اسم لجملة مرعية عن أجزاء محصورة، وكلمة (كل) عام تقتضي عموم الأسماء والإحاطة على سبيل الانفراد، وكلمة (كلما) تقتضي عموم الأفعال.

جنة السنة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾

محبة .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ ﴿٩٧﴾ .

[٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ سَهَلْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك يا محمد .

﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : المؤمنين . قرأ حمزة : (لِتُبَشِّرَ) بفتح التاء وتخفيف الشين وضمها ؛ من البشر ، وهو البشري والبشارة ، والباقون : بضم التاء وتشديد الشين مكسورة^(١) ؛ من بَشَّرَ المضعف على التكثير ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ ﴿٩٨﴾ .

[٩٨] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ ﴾ أمة ﴿ هَلْ يُحِشُّ ﴾ أي : ترى .

﴿ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ صوتاً خفياً ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٧٨٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٦٢) .



عَلَيْهِ السَّلَام (١)

[مكية، وآيها مئة وخمس وثلاثون آية] (٢)، وحروفها: خمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً، وكلمها ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ١ ﴾

[١] ﴿ طه ﴾ قرأ أبو عمرو، وورش بخلاف عنه: بفتح الطاء وإمالة الهاء، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإمالتهما جميعاً، وقرأ الباقون: بفتحهما (٣)، وأبو جعفر: بتقطيع الحروف على أصله (٤)، ولم يُمِلْ أحد الطاء مع فتح الهاء، و(طه) اسم من أسماء محمد ﷺ، وقيل: معناه بالسريانية: يا رجل، وقيل: هو قسم أقسم الله

(١) «عليه السلام» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين بياض في «ش».

(٣) في «ت»: «بفتحها».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/١١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٦٧).

جنة السنة

بطوله وهدايته، وقيل: هو أمر من الوطاء، والهاء كناية عن الأرض؛ أي: اعتمد على الأرض بقدميك.

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (٢).

[٢] ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ أي: لم ننزله عليك لتتعب به.

نزلت لما أطال رسول الله ﷺ القيام في الصلاة وبالغ فيه حتى قام على إحدى رجليه بعد نزول القرآن، فأمره الله أن يخفف على نفسه؛ شفقة عليه، وإكراماً له^(١). أمال رؤوس آي هذه السورة: ورش عن نافع، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف^(٢).

﴿ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ (٣).

[٣] ﴿ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن نزلناه عظة وتذكيراً

بالأحكام.

﴿ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ الله تعالى.

﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ (٤).

[٤] ﴿ تَنْزِيلًا ﴾ بدل من قوله: (تَذَكَّرَ).

(١) انظر «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٦٩).

جنة السنة

﴿مَمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ صفة أقامها مقام الموصوف، والعلی: جمع العلیا.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٦﴾.

[٥] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفع بالابتداء ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ استواء يليق بعظمته بلا كيف، وهذا من متشابه القرآن، نؤمن به، ولا نتعرض لمعناه، وقال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه لرجل سأله عن الاستواء، فقال له مالك: «الاستواء معلوم - يعني: في اللغة -، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني»، فأدبر الرجل وهو يقول: يا أبا عبد الله! لقد سألت فيها أهل العراق وأهل الشام، فما وفق فيها أحد توفيقك^(١).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: «هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر».

وتقدم الكلام على ذلك مستوفى^(٢) في سورة الأعراف.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ﴿٦﴾.

[٦] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من جميع المخلوقات.

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/٣٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٢٦-٣٢٥/٦).

(٢) «مستوفى» ساقطة في «ت».

جنة السنة

﴿ وَمَا تَحْتِ الْأَرْضِ ﴾ التراب الندي تحت الظاهر.

﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٧).

[٧] ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ﴾ ترفع صوتك به.

﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ﴾ ما أسره لغيره.

﴿ وَأَخْفَى ﴾ هو ما أسر في نفسه.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٨).

[٨] ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وَحَدَّ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ.

﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ يريد: التسميات التي تضمنت المعاني التي هي

في غاية الحسن، وتقدم ذكر الأسماء الحسنى، والكلام عليها في سورة

الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الآية: ١٨٠].

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٩).

[٩] ﴿ وَهَلْ ﴾ أي: وقد ﴿ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ

أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (١٠).

[١٠] ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان

بخلاف عن هشام وأبي بكر: (رَأَى) بإمالة الراء تبعاً للهمزة، وأمال

جنة السنة

أبو عمرو الهمزة فقط^(١)، وملخص القصة: أن موسى استأذن شعبياً - عليهما السلام - في الخروج بزوجته، فأذن له، فخرج بها سائراً على غير الطريق غيرة نحو الطور الأيمن الغربي في ليلة شاتية باردة، فأخذ امرأته الطلق، فقدم زنده مراراً فلم يور، فأبصر ناراً من بعيد.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ أقيموا. قرأ حمزة (لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بكسرها فيه^(٢).

﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَعَلِّيَ آتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة نار في طرف عود أو فتيلة. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (إِنِّي آنَسْتُ)، و(لَعَلِّيَ آتِيكُمْ) بإسكان الياء فيهما، وافقهم ابن عامر في الأول، والباقون: بفتح الياء فيهما^(٣)، ولم يقل: (آتيكم) بلا (لعلي)؛ لأنه لم يكن متيقناً الوفاء بالوعد ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أي: هادياً يدلني على الطريق.

﴿فَلَمَّا أَنهَا تُودَى يَمُوسَى﴾

[١١] ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ رأى شجرة خضراء من العوسج من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد، وسمع^(٤) تسبيح الملائكة، وألقيت عليه السكينة، فثمَّ ﴿تُودَى يَمُوسَى﴾.

- (١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٠/٤).
- (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (١١٤/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧١/٤).
- (٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٣/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧١/٤).
- (٤) في «ت»: «تَسْمَع».

جنة السنة

﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (أني) بفتح الهمزة؛ أي: بأني، وأبو عمرو: يدغم الياء في الياء في قوله (نُودِي يَا مُوسَى)، والباقون: بكسرها؛ أي: نودي موسى، فقيّل إني^(١)، فنافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: يفتحون الياء، والباقون: يسكنونها، راوي أنه لما سمع هذا النداء، فقال: من المتكلم؟ فقال تعالى: (أَنَا رَبُّكَ).

﴿ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ ۖ ﴾ أي: ألقهما؛ لأنهما كانا من جلد حمار ميت.

﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ المطهر. وقف يعقوب: (بالوادي) بإثبات الياء^(٢) ﴿ طُوًى ﴾ فخلعهما وألقاهما، ورأى الوادي. قرأ الكوفيون، وابن عامر: (طُوًى) بالتنوين، على أنه اسم الوادي، وقرأ الباقون: بغير تنوين، على أنه اسم البقعة، واتفقوا على ضم الطاء^(٣).

وعن ابن عباس: «قيل له: (طوى)؛ لأن موسى طواه بالليل إذ مر به، فارتفع إلى أعلى الوادي»^(٤)، فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه؛ كأنه قال: إنك بالواد الذي طويته طوى؛ أي: تجاوزته فطويته بسيرك.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/٥٦٠).

حنة السنة

﴿ وَأَنَا أَخْتَرْتِكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَأَنَا أَخْتَرْتِكَ ﴾ قرأ حمزة: (وَأَنَا) بتشديد النون (اخْتَرْتَنَّاكَ) بالنون مفتوحة وألف بعدها على الخبر عن نفسه، بلفظ الجمع في الكلمتين؛ تعظيماً لله تعالى، وقرأ الباقر: (وَأَنَا) بتخفيف النون (اخْتَرْتُكَ) بناء مضمومة من غير ألف^(١)، على لفظ الواحد فيهما على الخبر عن نفسه في اللفظ، ومعناه: إني اصطفتك برسالاتي ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ إليك .

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي) بإسكان الياء، والباقر: بفتحها^(٢) .
﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ لعبادتي؛ لأن الصلاة مشتملة على قراءة، والقراءة مشتملة على أذكار. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِلذِكْرِي) بفتح الياء، والباقر: بإسكانها^(٣) .

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آئِنَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ﴾ القيامة ﴿ آئِنَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أُسْرُهَا، ولا أقول:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠-١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٣) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٣/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٤) .

(٣) المصادر السابقة .

جنة السنة

هي آتية؛ أي: أسترها عن العباد، ولا أذكرها لهم؛ لأنهم إذا لم يعلموا متى قيامها، كانوا على وجلٍ منها في كل وقت ﴿لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ بعملها من خير وشر.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١٦).

[١٦] ثم نهى تعالى موسى ﷺ، والمراد: غيره بقوله: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ من الكفار. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في عبادة غير الله ﴿فَتَرْدَى﴾ فتهلك إن انصدت عنها.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ (١٧).

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ أي: وما التي ﴿بِيَمِينِكَ﴾ في يدك اليمنى ﴿يَمْوَسَى﴾ سؤال تقرير، والحكمة فيه تنبيهه على أنها عصا، حتى إذا قلبها حية، علم أنه معجز عظيم، وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا، وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

ويروى أن^(١) عصا موسى هي التي هبط بها آدم من الجنة، وأنها من ورق آس من أحد الخطوط المستطيلة في وسط الورقة، وأن طولها اثنا عشر ذراعاً بذراع موسى عليه السلام، وكانت العصا شعبتين، وفي أسفلها سنان، ولها محجن.

(١) في «ت»: «أنه».

جنة السنة

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَهَأَشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ فقيل: ما تصنع بها؟ قال: ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ﴾
أعتمد عليها عند الوثبة، ﴿ وَهَأَشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ أي: أضرب بها الأغصان
ليسقط ورقها، فترعاه الغنم، (وَأَهْشُّ) بالمهملة: أزجر بها^(١)، والتلاوة
بالأول.

﴿ وَلِيَ فِيهَا مَنَآرِبُ ﴾ جمع مأربة - بضم الراء وفتحها -؛ أي: حوائج
﴿ أُخْرَىٰ ﴾ على تأنيث الجمع في المعنى، وأراد بالمآرب: ما يستعمل فيه العصا
في السفر، فكان يحمل بها الزاد، ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر،
ويحارب بها السباع، وتماشيه وتحده، ويركزها فتورق، وتحمل أي ثمرة أحب
له^(٢)، وتضيء له شعبتها^(٣) في الليل كشمعتين، وتطرد عنه الهوام، وغير
ذلك^(٤). قرأ ورش، وحفص: (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٥).

(١) وهي قراءة عكرمة، انظر: «تفسير البغوي» (١١٧/٣).

(٢) «له» ساقطة من «ت».

(٣) في «ت»: «شعبتها».

(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» (١٤٦/٣): «وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك
المآرب التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام،
ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها
لم تكن كذلك، ولو كانت لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها
ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٧/٤).

جنة السنة

﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى : ﴿ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴾ انبذها .

﴿ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [٢٠].

[٢٠] قال وهب: ظن موسى أنه يقول: ارفضها، ﴿ فَأَلْقَنَهَا ﴾ على وجه الرفض^(١)، ثم حانت منه نظرة، ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴾ عظيمة ﴿ تَسْعَى ﴾ تمشي مسرعة على بطنها، قال هنا: (حَيَّةٌ)، وفي غيره (جَانٌّ)، وهو الخفيف من الحيات، و(ثعبان)، وهو عظيمها؛ لأن الحية تعم الذكر والأنثى، والصغير والكبير.

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ [٢١].

[٢١] فلما رآها لا تمر بحجر إلا ابتلعتة، ولا شجر إلا اقتلعتة، ويُسمع لأنيابها صريف شديد، ولى مدبراً وهرب، ثم ذكر ربه، فوقف استحياء منه، ثم نودي: أن يا موسى! أقبل، ارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف ﴿ قَالَ ﴾ تعالى: ﴿ خُذْهَا ﴾ بيمينك .

﴿ وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ أي: سندها عصا كما كانت، فأدخل موسى يده في كفه ليأخذها، فسمع النداء: أرأيت لو أذن لها أن تضربك كان يغنيك؟! فكشف يده وأدخلها في فيها؛ فإذا هي عصا كما

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٨٤٧/٩).

حنة السنة

كانت، ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ، وأري ذلك موسى عند المخاطبة؛ لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴾ (٢٢).

[٢٢] ثم نبه على آية أخرى فقال: ﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ أي: اجمعها إلى جيبك ما بين أسفل العضد إلى الإبط، وأصله من جناح الطير؛ لأنه يجنح به؛ أي: يميل، فكأن الإنسان يجنح بجانبه عند العطفات والالتفات، المعنى: أدخلها تحت عضدك.

﴿ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ برص، فكان ليداه نور ساطع يضيء كضوء الشمس والقمر.

﴿ آيَةٌ أُخْرَى ﴾ دلالة على صدقك.

﴿ لِنُرْيِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿ لِنُرْيِكَ ﴾ المعنى: فعلنا ذلك لنريك.

﴿ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ الآية ﴿ الْكُبْرَى ﴾ العظمى^(١)، وكانت يده أكبر آياته.

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ترفع وعلا وتجاوز الحد في الكفر.

(١) «العظمى» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿ قَالَ ﴾ موسى :

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ وسَّعه لتحمل الحق والمشاق، وردىء أخلاق فرعون وجنده.

﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿ وَيَسِّرْ ﴾ سَهَّل ﴿ لِي أَمْرِي ﴾ لأبْلغ الرسالة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ ﴾ رثة ﴿ مِنِّ لِسَانِي ﴾ حدثت بسبب إلقائي الجمرة في فيّ، وذلك أن موسى في صغره لطم فرعون لطمه عظيمة، وأخذ بلحيته، فأراد قتله، فقالت آسية: أيها الملك! إنه صغير لا يعقل، جرّبهُ إن شئت، فجعل في طست جمراً، وفي آخر جوهرأ، ووضعتهما لدى موسى، فأراد أخذ الجواهر، فأخذ جبريل يده ووضعها على العجم، فأخذ جمرة ووضعها في فيه، فاحترق، فصار بلسانه لُكُنة منها^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٩/٤).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (١٥٤/٣): «رواه النسائي في «السنن الكبرى»، وأخرجه أبو جعفر بن جرير، وابن أبي حاتم في «تفسيريهما»، كلهم من حديث =

جنة السنة

﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ أي: احلل العقدة كي يفقهوا كلامي، والفقهاء لغةً:

الفهم.

﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا ﴾ معيناً ﴿ مِّنْ أَهْلِي ﴾ والوزير: من الوزر: الثقل؛ لأن الوزير يتحمل أثقال الملك، ويعتمد عليه.

﴿ هَرُونَ أَخِي ﴾ (٣٠).

[٣٠] وكان هارون أجمل شكلاً، وأفصح لساناً من موسى، فلذلك قال: ﴿ هَرُونَ أَخِي ﴾.

﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴾ قوَّ به ظهري.

يزيد بن هارون، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس - رضي الله عنهما - مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأخبار أو غيره، والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً.

[٣٢] ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ الذي حَمَلْتَنِي . قرأ ابن عامر، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (أَخِي أَشْدُّ) بفتح الألف في الوصل والقطع، (وَأَشْرِكُهُ): بضم الألف، وسكنا الياء من (أَخِي)، فهما خبر من موسى^(١)، فدَأَشْدُّ) جزم جواب الطلب كجواب الشرط، (وَأَشْرِكُهُ) عطف عليه، المعنى: أعتضد به أنا، وأجعله أنا شريكى، وقرأ الباقون: بوصل همزة (اشدد)، وتبتدأ^(٢) بالضم، ويفتح همزة (أَشْرِكُهُ) دعاء من موسى، المعنى: افعَل أنت اللهم ذلك به، وفتح الياء من (أَخِي): أبو عمرو، وابن كثير، وسكنا الباقون، وهم: نافع، والكوفيون، ويعقوب^(٣)، وقرأ ابن كثير: (وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي) بإشباع الهاء ووصلها بواو في الدرج، والباقون باختلاس ضممتها^(٤).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٩-٨٠).

(٢) في «ش»: «تبدل».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٩).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٠).

جنة السنة

﴿ كَيْ سُبْحَكَ كَثِيرًا ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿ كَيْ سُبْحَكَ ﴾ تسيحاً ﴿ كَثِيرًا ﴾ .

﴿ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿ وَنَذْرَكَ ﴾ ذكراً ﴿ كَثِيرًا ﴾ فإن التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تزايد الخير.

﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَابَصِيرًا ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَابَصِيرًا ﴾ تعلم أحوالنا. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ) بإدغام الكاف في الكاف من الأحرف الثلاثة^(١).

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ﴾ طَلَبْتِكَ .
﴿ يَمُوسَى ﴾ مِنْهُ عَلَيْكَ .

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ قبل هذه المرة.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٠).

جنة السنة

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾ أَلْهَمْنَاهَا ﴿ مَا يُوحَىٰ ﴾ مَا يُلْهَمُ .

﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ثم فسر الإلهام فقال: ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ ﴾ اجعليه ﴿ فِي التَّابُوتِ ﴾ فأخذت قطناً محلوجاً، ووضعتة في التابوت، وألقت موسى فيه، وشدت عليه وأحكمته؛ لئلا يصل إليه الماء، وكان يدخل من النيل نهر إلى دار فرعون ﴿ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ بحر النيل .

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ أي: الجانب، وسمي ساحلاً؛ لأن الماء يسحله؛ أي: يقشره .

﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُمْ ﴾ وهو فرعون، وهذا إخبار لأم موسى بصيغة الأمر لليم، فألقته فيه، فدخل دار فرعون، فبصر به، فأمر بإخراجه، فأخرج، وفتحوا التابوت، فإذا فيه صبي أحسن الناس وجهاً، فأخذه فرعون وأحبه هو وآسيا حباً شديداً؛ بحيث لا يصبران عنه، يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ قال ابن عباس: «أحبه وحببه إلى الناس»^(١)، والواو بعد عاطفة على محذوف تقديره: ألقى عليك محبة لتحب .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٢١/٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٢٨٤/٥)، و«تفسير القرطبي» (١٩٦/١١) .

حنة السنة

﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ لتربى على حفظي ورعايتي. قرأ أبو جعفر: ﴿وَلْتَصْنَعْ﴾ بإسكان اللام وجزم العين، فيجب له إدغامها، وقرأ الباقون: بكسر اللام ونصب العين^(١)، وأبو عمرو ورويس: يدغمان العين في العين على أصلهما في إدغام المتماثلين، وفتح نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء من (عَيْنِي)، وسكنها الباقون^(٢).

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَفَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَجَجَيْتَكَ مِنَ الْعَمَرِ ۗ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِي﴾.

[٤٠] ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ ظرف (لتصنع)؛ لأن أخته مريم خرجت متعرفة خبره، فجاءتهم، وكان لا يقبل ثدي مرضعة ﴿فَفَقُولُ﴾ أي: فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ أي: امرأة تحضنه وترضعه ويقبل ثديها؟ قالوا: نعم، من هي؟ قالت: أمي، قالوا: لها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، فجاءت بالابن^(٣)، فقبل ثديها. فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ ليزول حزنها ﴿وَقَلَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي، فاغتممت خوفاً من الله تعالى

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨١).

(٣) في «ت»: «بالأم».

جنة السنة

﴿ فَنجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾ بأن غفر لك، وأنجيت من فرعون.

﴿ وَفُتْنَاكَ فُؤُونًا ﴾ مصدر؛ أي: اختبرناك اختباراً بإيقاعك في المحن، وتخليصك منها ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ عند شعيب، قال وهب: لبث عنده ثمانياً وعشرين سنة: عشر مهر ابنته، وأقام عنده ثمانى عشرة سنة حتى ولد له. وتقدم اختلاف القراء في الإدغام والإظهار من (لَبِثْتَ) في سورة الكهف [الآية: ١٩]، ومدين: بين مصر ومكة، مسافتها عن مصر نحو اثني عشر يوماً، وهي منزلة للحجاج، تعرف في هذه الأزمنة بمغارة شعيب، تقدم ذكرها في سورة الأعراف.

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ موعد مقدر في علمي ﴿ يَمْوَسَّىٰ ﴾ أنك تجيء، وأستنبئك فيه، وكان مجيؤه على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء.

﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ ﴿٤١﴾.

[٤١] ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ ﴾ أي: اصطفيتك ﴿ لِنَفْسِي ﴾ بأن جعلتك نبياً.

﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُنْيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ﴿٤٢﴾.

[٤٢] ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ﴾ هارون إلى الناس ﴿ بِآيَاتِي ﴾ التسع.

﴿ وَلَا نُنْيَا ﴾ تفتراً.

﴿ فِي ذِكْرِي ﴾ التسبيح والتقديس والالتجاء إلي.

جنة السنة

﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ بإدعائه الربوبية. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (لِنَفْسِي أَذْهَبٌ) (ذِكْرِي أَذْهَبًا) بفتح الياء فيهما، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ سهلاً؛ أي: ارفقابه، ولا تعنّفاه، وكنّياه؛ لما له من حق التربية، وكان يكنى بأبي مصعب. ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ أَوْ يَخْشَى ﴾ الله، فيسلم، قالوا: تذكّر فرعون وخشي، وروي أنه أحب اتباع موسى، فشاور هامان، فقال: كنت أرى لك رأياً وعقلاً، أنت الآن ربٌّ تريد أن تكون مربوباً؟! وأنت منا الآن تُعبد، تريد الآن أن تُعبد؟! فقلبه عن رأيه^(٢).

﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي بهارون، وأوحي إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلة، وأخبره بما أوحى إليه.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٢-٨٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٢٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/٢٨٨).

جنة السنة

﴿ قَالَا ﴾ يعني: موسى وهارون: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرَطَ عَلَيْنَا ﴾ يعجل عقوبتنا ﴿ أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ الله: ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ بعوني.

﴿ أَسْمَعُ ﴾ ما يقول ﴿ وَأَرَى ﴾ ما يصدر منه.

﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا ﴾ فأتياه فقالا^(١): ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ أرسلنا إليك .

﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إلى الشام ﴿ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ﴾ بأشغالك الشاقة .

﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ ﴾ حجة على صدقنا ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ لأن الرسالة لا تثبت

إلا بحجة ظاهرة، قال فرعون: وما هي؟! فأخرج موسى يده لها شعاع

كشعاع الشمس، ﴿ وَالسَّلَامُ ﴾ المنجى من سخط الله تعالى .

﴿ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ التوحيد.

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ ﴾ بما جئنا به .

﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أعرض عنه .

(١) في «ت»: «فَأَنبَاهُ فَقُولَا» بصيغة الأمر، والصواب «فَأَنبَاهُ فَقَالَا» بصيغة الماضي .

جنة السنة

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ خاطبهما أولاً ، ثم خص موسى بالنداء ؛ لأنه الأصل ، وهارون تابعه .

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ أي : أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾ أي : عرّف كيف يُرتفق بما أعطى .

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ سؤال عن حال الأمم الماضية .

﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ عَلِمَهَا ﴾ محفوظ .

﴿ عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾ اللوح المحفوظ .

﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي ﴾ أي : لا يخطيء ﴿ وَلَا يَنْسَى ﴾ شيئاً ، فلا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ، ولا من وَّحده حتى يجازيه .

جنة السنة

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ قرأ الكوفيون: (مهّداً) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، مصدر وصف به؛ أي: كالمهد يتمهدونها، وقرأ الباقر: (مهّاداً) بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها^(١)، وهو اسم ما يمهد كالفراش، المعنى: وطّأ لكم الأرض لتسكنوها.

﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي: جعل لكم فيها طرقاً لتسلكوها.

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني: المطر، ثم الإخبار عن موسى - عليه السلام -، ثم أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن نفسه بقوله:

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ﴾ أصنافاً ﴿ مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ مختلفة النفع والطعم واللون، جمع شتيت؛ كمرضى جمع مريض.

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ كُلُوا ﴾ من النبات ﴿ وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ ﴾ أسيموها فيه؛ أي: أخرجنا مبيحين لكم الأكل ورعي الدواب.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ لذوي العقول جمع نهية؛ لأنها تنهى صاحبها عن القبيح.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٥).

جنة السنة

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ثم عرفهم أن الأرض أصلهم ومصيرهم، فقال: ﴿ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ لأنكم من آدم، وآدم من التراب ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ عند البعث ﴿ تَارَةً أُخْرَى ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

﴿ وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا ﴾ يعني: فرعون ﴿ كُلَّهَا ﴾ يعني: الآيات التسع، ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ بها ﴿ وَأَبَى ﴾ الإسلام.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ قَالَ ﴾ يعني: فرعون: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ مصر ﴿ بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴾ هذا تعلل وتحير، ودليل على أنه علم كونه محقاً حتى خاف منه على ملكه؛ فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ﴾ أي: بسحر يماثله ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي: فاضرب بيننا وبينك ميقاتاً، والموعود بمعنى: الوعد؛ لقوله:

جنة السنة

﴿لَا تُخَلِّفُهُ﴾ لا نجاوزه ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان. قرأ أبو جعفر (نُخَلِّفُهُ) بإسكان الفاء جزءاً جواب الأمر، فتمتنع الصلاة، وقرأ الباقر: بالرفع والصلة^(١).

﴿مَكَانًا سُؤْيَ﴾ يعني وسطاً بين الموضوعين؛ أي: نتواعد مكاناً، فتستوي مسافته على الفريقين. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف: (سُؤْيَ): بضم السين، والباقر: بكسرهما، وهما لغتان^(٢)، وروي عن أبي بكر إمالة (سُؤْيَ) حالة الوقف؛ وفاقاً لمن قرأ بالإمالة، وروي عنه الفتح أيضاً^(٣).

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل

سنة.

﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ أن يُجمع ﴿النَّاسُ ضُحًى﴾ ضحوةً نهاراً؛ ليكون أبعد من الريبة، وأبين لكشف الحق.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٢٧). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٧)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٤/٨٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٧).

جنة السنة

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ مكره وسحرته، وكانوا اثنين وسبعين، وقيل: أكثر من ذلك، وحضر أهل دولته، وجاء موسى - عليه السلام - ببني إسرائيل معه .
﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ الموعد .

﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ ﴾ يعني: للسحرة: ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ وهذه مخاطبة محذور، وندبهم في هذه الآية إلى قول الحق إذا رأوه، ولا يباهتوا بكذب .
فقال: ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ ﴾ أي: يهلككم ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ عظيم . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء، والباقون: بفتحهما، ومعناهما واحد^(١) .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ على الله تعالى . قرأ حمزة (خَابَ) بالإمالة حيث وقع، واختلف عن ابن ذكوان^(٢) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«الكشف» المكي (٢/٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٨) .

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٤-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٨٨) .

جنة السنة

﴿ فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ [٦٢].

[٦٢] ﴿ فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني: السحرة تناظروا في أمر موسى، وقالوا: إن كان ساحراً، سنغلبه، وإن كان^(١) ما يأتي به من السماء، فله أمره .

﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ أخفوا كلامهم من فرعون .

﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ﴾ [٦٣].

[٦٣] ﴿ قَالُوا ﴾ تفسير لـ ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ :

﴿ إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ ﴾ يعني: موسى وهارون. قرأ أبو عمرو: (إِنَّ) بتشديد النون (هَذَا) بالياء على الأصل، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (إِنْ) بتخفيف النون (هَذَا) بالألف، فابن كثير يشدد النون من (هَذَا)، وحفص يخففها؛ أي: ما هذان إلا ساحران؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٦]؛ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وقرأ الباقون: (إِنَّ) بتشديد النون كأبي عمرو، و(هَذَا) بالألف وتخفيف النون من (هَذَا) كحفص، فيكون (إِنَّ) بمعنى: نعم، و(هَذَا) مبتدأ، و(ساحران) خبر مبتدأ محذوف، واللام داخله على الجملة، تقديره: هذان لهما ساحران، أو (هذان) مبتدأ، (ساحران) خبره، واللام زائدة^(٢)، قال

(١) «كان» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» لللداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٨-١٢٩)، =

جنة السنة

الكواشي: والقراءة بتشديد (إِنَّ) ونصب (هَذَيْنِ) زعموا أنها مخالفة لخط المصحف، وزعم بعضهم أنما حملة على ذلك خشية اللحن، وهذا طعن في عدالة أبي عمرو وعلمه؛ لأنه هو الذي قرأها؛ لأن هذا يشعر أنه قرأها من تلقاء نفسه، لم يأخذها متواترة عن النبي ﷺ، وأنه غير عالم بتعليل (إِنَّ هَذَانِ) بالرفع وتشديد (إِنَّ)، وكيف يجوز اعتقاد مثل هذا بمن شهد له بالعدالة والبراعة في علم العربية، حتى زعموا أنه قال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ: (إِنَّ هَذَانِ) يعنون: بالرفع وتشديد (إِنَّ)، وكيف يجوز أن يعتقد بأحد من المسلمين أنه يستحيي من قراءة ما صحح وتواتر عن النبي ﷺ، مع أن أبا عمرو وغيره من الأئمة كانوا ينشدون ويسمعون الأشعار المنحولة والغريبة، ولا يؤخذ ذلك عليهم، انتهى.

﴿ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ مصر ﴿ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ ﴾
بدينكم وشريعتكم ﴿ الْمَثَلِيَّ ﴾ تأنيث الأمثل، وهو الأعدل.

﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ﴾ ﴿١٦﴾ .

[٦٤] ﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو: (فَاجْمَعُوا) بوصل الهمزة وفتح الميم من جَمَعَ: لَمْ؛ أي: لا تتركوا منه شيئاً. وقرأ الباقون: بالقطع وكسر الميم^(١)؛ من أجمع: أحكم؛ أي: أحكموا ما تكيدون به موسى، واعزموا كلكم على كيد مجتمعين له، ولا تختلفوا فينحل أمركم.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٤).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩١/٤).

جنة السنة

﴿ ثُمَّ اتُّوِّصَفًا ﴾ أي: مصطفين؛ ليكون أهيب في صدور الناس، فجاؤوه في سبعين صفًا، كل صف ألف، فتمَّ رغبهم فرعون في غلب موسى بما هو اعتراض فقال: ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ ﴾ فاز بالمطلوب ﴿ مِنْ أَسْتَعْلَى ﴾ غلب.

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني: السحرة تأدباً: ﴿ يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَى ﴾ عصاك ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ .

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فِإِذَا جِآهَلُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ بَلْ أَلْقَوُا ﴾ ما معكم؛ احتقاراً لهم، وليظهر الحق من الباطل، فألقوه.

﴿ فِإِذَا جِآهَلُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ ﴾ جمع العصا ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر، وروح عن يعقوب: (تُخَيَّلُ) بالياء مضمومة على التأنيث مع فتح الياء لتأنيث جماعة الحبال والعصي، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير^(١)، رده إلى الكيد أو السحر.

(١) انظر: «تفسير الطبري» للطبراني (١٤/٧)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩٢).

جنة السنة

﴿ أَنهَاتَسَعَى ﴾ روي أنهم ألقوا حبالهم وعصيهم، ولطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس، اضطربت، فخيل إليه وإلى الناس أنها تسير وتتحرك، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب.

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ (٦٧).

١ [٦٧] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ أضمر ﴿ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ ظناً منه أنها تقصده كعادة البشر.

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ (٦٨).

[٦٨] ﴿ قُلْنَا ﴾ لموسى: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ أي (١): الغالب القاهر لهم.

﴿ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (٦٩).

[٦٩] ﴿ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ من العصا ﴿ نَلَقَفَ ﴾ تبتلع ﴿ مَا صَنَعُوا ﴾ بقدرة الله تعالى. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (تَلَقَفُ) برفع الفاء على الحال والاستئناف، وقرأ حفص عن عاصم: بإسكان اللام مع تخفيف القاف والجزم، وقرأ الباقون: بتشديد القاف والجزم جواب (وَأَلْقَى)، فالفاعل موسى، نسب إليه التلقف؛ لأنه كان بسببه، والبزي عن ابن كثير:

(١) «أي» ساقطة من «ت».

جنة السنة

على أصله في تشديد التاء من (تَلَقَّفَ) وصلأ؛ كأنه أراد: تتلقف، فأدغم^(١).

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ﴾ مكر ﴿سِحْرٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سِحْرٍ) بكسر السين [وإسكان الحاء من غير ألف؛ أي: حيلة سحر، وقرأ الباقون: بالألف وفتح السين]^(٢) وكسر الحاء، بإضافة الكيد إلى الفاعل، وهي أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية^(٣) ﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿السَّاحِرُ﴾ المراد: الجنس ﴿حَيْثُ أَقْبَ﴾ من الأرض.

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿٧٠﴾

[٧٠] فألقى موسى عصاه، فالتقمت ما جاؤوا به، فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر، وإنما هو من آيات الله ومعجزاته ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا﴾ شكراً لله على الهداية، روي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في سجودهم، ثم رفعوا رؤوسهم.

و﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ قدم هارون؛ لكبر سنه.

-
- (١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٣).
- (٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».
- (٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٤).

جنة السنة

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ التَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [٧١].

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ قرأ حفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب، وقنبل عن ابن كثير بخلاف عنه: (أَمَنْتُمْ) بهمزة واحدة على الخبر، والباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف، وروح عن يعقوب يقرؤون بتحقيق الهمزتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، ولم يدخل أحد منهم ألفاً بين الهمزة المحققة والمسهلة في هذا المحل؛ كما أدخلها من أدخلها منهم في (أَأَنْذَرْتَهُمْ) وبابه؛ لكرهية اجتماع ثلاث ألفات بعد الهمزة^(١)، وأبو عمرو يدغم التاء في السين من قوله: (السَّحْرَةَ سُجَّداً)^(٢)، ومعنى الكل إنكار؛ أي: أصدقتم لموسى، وآمنت بربه من غير أمري إياكم.

﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ ﴾ لرئيسكم ومعلمكم.

﴿ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم.

﴿ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى، و(مِنْ) لابتداء الغاية؛ لأن القطع مبتدأ من مخالفة العضو العضو؛ أي:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(١/٣٦٨-٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩٥).

جنة السنة

لأقطعنها مختلفات، وابتداء الغاية داخلها^(١) بالاتفاق، لا انتهاؤها عند المالكية والشافعية والحنابلة، وعن أبي بكر من أصحاب أحمد: إن كانت الغاية من جنس المحدود كالمرافق، دخلت، وإلا، فلا، وعند الحنفية: إن قامت الغاية بنفسها، لم تدخل؛ كبعثك من هنا إلى هنا، وإن تناوله صدر الكلام، فالغاية لإخراج ما وراءه؛ كالمرافق، والغاية في الخيار، ومنع أبو حنيفة دخول العاشر في قوله: من درهم إلى عشرة ونحوه، وأدخله أصحابه.

﴿وَلَأَصْلِبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ التَّحْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا﴾ يريد: نفسه ورب موسى عليه السلام ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ وأدوم عقاباً.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [٧٢].

[٧٢] ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَتِ﴾ الدلالات على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: ولن نوثرك على الله الذي فطرنا، فالواو في قوله: (وَالَّذِي) عاطفة، وقيل هي واو قسم، و(فَطَرْنَا) معناه: خلقنا واخترعنا.

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ فافعل يا فرعون ما شئت. روي عن يعقوب وقنبل: الوقف بالياء على (قَاضِي)^(٢) ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إنما

(١) في «ت»: «داخل».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٧٢).

جنة السنة

تحكم فينا مدة حياتنا؛ فإن سلطانك في الدنيا، وسيزول عن قريب .

﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [٧٣]

[٧٣] ﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا ﴾ ولما رأوا موسى تحرسه عصاه وهو نائم، قالوا: ليس بساحر؛ لأن الساحر يبطل سحره إذا نام، فكروهوا معارضته خوف الفضيحة، فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر، فذلك قوله:

﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ و(ما) موصولة منصوبة عطف على (خطايانا) أي: ليغفر خطايانا، والذي أكرهتنا عليه ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ ﴾ عطاء منك إذا أطيع ﴿ وَأَبْقَى ﴾ عقاباً منك إذا عصي، وهذا جواب لقوله: ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧١] .

﴿ إِنَّهُمْ مَن يَأْتِ رَبَّهُمْ مُّجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ [٧٤]

[٧٤] ﴿ إِنَّهُمْ مَن يَأْتِ رَبَّهُمْ ﴾ أي: يأت موعداً ربه .

﴿ مُّجْرِمًا ﴾ أي: مشركاً، والمجرم: من اكتسب الخطايا والجرائم .
﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَى ﴾ حياة ينتفع بها .

قالت فرقة: هذه الآية بجملتها هي من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ؛ تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السحرة، وموعظة وتحذيراً .

جنة السنة

﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ﴾ أي : مات على الإيمان .

﴿ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ﴾ في الدنيا .

﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ هي القرب من الله تعالى . قرأ السوسي عن أبي عمرو : (يَأْتِيَهُ) بإسكان الهاء ، (مُؤْمِنًا) بإسكان الواو بغير همز ، وقرأ أبو جعفر ، وقالون عن نافع ، وهشام عن ابن عامر ، ورويس عن يعقوب : باختلاس كسرة الهاء ، بخلاف عنهم ، إلا رويس ، وقرأ الباقون : بإشباع الهاء ، وكلها لغات^(١) .

﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ أي :

أطاع الله ، وأخذ بأزكى الأمور .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي : سر بهم ليلاً من أرض

مصر . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير : (أَنْ أَسْرِ) بوصل الألف ؛ من

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٥٢) ، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٢) ، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٩-٣١٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر»

للمدائني (ص : ٣٠٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩٧) .

جنة السنة

سرى، ويكسرون النون من (أن) للساكين وصلأ، وابتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة؛ من أسرى، ومعناها واحد، وهو سير الليل، وحمزة يسكت على الساكن قبل الهمزة^(١).

﴿ فَأَضْرِبْ ﴾ أي: اجعل ﴿ لَّهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ ﴾ بالضرب بالعصا ﴿ يَبْسًا ﴾ يابساً، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيس له الطريق في البحر، وتقدم ذكر القصة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴾ [الآية: ٥٠].

﴿ لَا تَخَفْ دَرَكًا ﴾ لحاقاً. قرأ حمزة: (لَا تَخَفْ) بالجزم على النهي، وقرأ الباقون: بالألف والرفع على النفي^(٢)؛ لقوله: ﴿ وَلَا تَخَشَى ﴾ المعنى: لا تدرك وأنت آمن.

﴿ فَأَنْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾

[٧٨] ﴿ فَأَنْبَعَهُمْ ﴾ فلقهم ﴿ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾ وكان هو فيهم.

﴿ فَغَشِيَهُمْ ﴾ فغطاهم ﴿ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ما غرقهم، وهو إبهام أهول من

النص.

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/٥٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٣)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٤/٩٨).

جنة السنة

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

[٧٩] ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ ﴾ من أول أمره وإلى هذه النهاية، ثم أكد تعالى

بقوله:

﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ مقابلة لقول فرعون ﴿ وَمَا أَهْدَيْكُمُ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

[غافر: ٢٩].

﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجِئْتَكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجِئْتَكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعون .

﴿ وَوَاعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ لما جاءه موسى، وإنزال التوراة عليه .

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ ظاهر هذه الآية أن القول قيل لبني إسرائيل

حينئذ عند حلول هذه النعم التي عدّد الله عليهم، وبين خروجهم من البحر

وبين هذه المقالة مدة وحوادث .

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ لذائذه ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ لا تجاوزوا

حد الله لكم فيه؛ كالسرف والبطر والمنع عن المستحق .

﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ فيلزمكم (١) عذابي .

(١) في «ت»: «فيليزمكم» .

جنة السنة

﴿وَمَنْ يَجِلَّ عَلَيْهِ عَضِيّ فَقَدْ هَوَى﴾ هلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (أَنْجَيْتُكُمْ) (وَوَعَدْتُكُمْ) (مَا رَزَقْتُكُمْ) بالتاء المضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة، وقرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (وَعَدْنَاكُمْ) بالنون مفتوحة وبعدها ألف؛ من الوعد، وقرأ الباقون، وهم نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر: (وَأَعَدْنَاكُمْ) بألف بين الواو والعين؛ من المواعدة^(١)، وقرأ الكسائي: (فَيَحُلُّ عَلَيْكُمْ) بضم الحاء، (وَمَنْ يَحُلُّ) بضم اللام الأولى؛ أي: ينزل، وقرأ الباقون: بكسر الحاء واللام منهما^(٢)؛ أي: يجب، والحرف الثالث مجمع عليه، وهو الآتي قريباً.

﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ من الشرك.

﴿وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض.

﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ لزم السنة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣٠)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٩٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٢)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٠٠-١٠١).

جنة السنة

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ولما سار موسى بسبعين رجلاً لمناجاة ربه وللإتيان بالتوراة، فلما قرب من الطور، أسرع المسير نحوه شوقاً إلى مناجاة ربه .

فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ ﴾ أي: أي شيء أوجب سبقك وعجلتك .

١ ﴿ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾؟

﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ﴿٨٤﴾ .

[٨٤] واقتضى السؤال عن السبب السؤال عن العذر، فقدم العذر اعترافاً منه بالنقص تأدباً مع الله تعالى ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ ﴾ بالقرب مني يأتون .

﴿ عَلَىٰ أَثْرِي ﴾ ما تقدمتهم إلا بخطأ يسيرة لا يُعتد بها عادة، ثم ذكر موجب العجلة فقال:

﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك توجب مرضاتك . قرأ رويس عن يعقوب: (إثري) بكسر الهمزة وإسكان الثاء، والباقون: بفتحها^(١) .

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ أي: ابتلينا الذين خلفتهم مع

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٠٢) .

حنة السنة

هارون، وكانوا ست مئة ألف، فافتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً من بعد انطلاقك إلى الجبل.

﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ بصياغته له؛ لأنه كان سبب ذلك، وكان منافقاً من طائفة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة أظهروا الإسلام.

﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ [٨٦].

[٨٦] ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ شديد الغضب.

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ أي: صدقاً، وهو أربعون ليلة.

﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ أي: مدة ذهابي عنكم.

﴿ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ ﴾ يجب.

﴿ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ عهدي.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ﴾ أي: باختيارنا. قرأ نافع،

وأبو جعفر، وعاصم: (بِمَلِكِنَا) بفتح الميم، وحمزة، والكسائي، وخلف:

بضمها، والباقون: بكسرهما، وكلها لغات بمعنى واحد^(١)، وقيل: ضم

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٥)، و«النشر في»

جنة السنة

الميم معناه: لم يكن لنا ملك، فنخلف موعدك بقوته وسلطانه، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه ما فعل السامري، وفتح الميم من (مَلَك)، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، ولا وُقِّقنا له، بل غلبتنا أنفسنا، وكسر الميم قد كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ومعناها كالتي قبلها.

﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، عن عاصم، وروح عن يعقوب: (حَمَلْنَا) بفتح الحاء والميم مخففة؛ أي: حملنا نحن. وقرأ الباقون: بضم الحاء وكسر الميم مشددة مجهولاً^(١)؛ أي: حَمَلْنَا غيرُنا.

﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ من حلي قوم فرعون كانوا استعاروها بسبب عرس، فبقيت عندهم، وكانت معهم حين خرجوا من مصر.

﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: طرحنا الحلي في حفيرة.

﴿فَكَذَلِكَ﴾ أي: إلقاء مثل إلقاءهم.

﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلي.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ من تلك الحلي المذابة.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣-١٠٤).

(١) المصادر السابقة.

جنة السنة

﴿عَجَلًا جَسَدًا﴾ مجسداً ﴿لَهُ خُورٌ﴾ صوت يُسمع .

﴿فَقَالُوا﴾ أي : السامري وأتباعه ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي :

تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه، تلخيصه: غلبنا بسبب كيد السامري .

﴿أَفَلَا يَرُونَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] ﴿أَفَلَا يَرُونَ﴾ أي : يعلمون .

﴿إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا يرد عليهم جواباً .

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لأنه عاجز عن ذلك، فكيف يتخذ إلهاً؟! .

هذا غاية الجهل .

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ

فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ﴿٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل أن يرجع إليهم موسى :

﴿يَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ﴾ أي : بالعجل محنة واختباراً، فلا تعبدوه .

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا شريك له .

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ على ديني في عبادة الله ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ الذي أمركم به .

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٩١﴾ .

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ﴾ أي : لا نزال نعبده .

﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فاعتزلهم هارون بمؤمنيه .

جنة السنة

﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] فلما رجع موسى، وسمع الصياح، وكانوا يرقصون حول العجل، قال لل سبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما بصر بهارون، أخذ شعره بيمينه، ولحيته بشماله، و﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ بعبادة العجل.

﴿ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ ﴿٩٣﴾ .

[٩٣] ﴿ أَلَا تَتَّبِعَنِ ﴾ (لا) زائدة، المعنى: أي شيء صدك عن قتالهم وصدّهم واللحوق بي؟ أثبت نافع وأبو عمرو الياء في (تَتَّبِعَنِي) وصلأ، وأثبتها في الحالين: أبو جعفر، وابن كثير، ويعقوب، وفتحها أبو جعفر وصلأ، وحذفها الباقر في الحالين^(١).

﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ بالصلابة في الدين والمحاماة عليه؟

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ أي: بشعر رأسي، وكان قد أخذ ذؤابته. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«الكشف» لمكي (١٠٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٥/٤).

جنة السنة

عاصم: (يَبْنُوْمٌ) بكسر الميم على حذف الياء تخفيفاً، والباقون: بفتحها^(١)،
وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (بِرَأْسِي) بفتح الياء، والباقون:
بإسكانها^(٢).

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ﴾ إذا قاتلت أحدَ الفريقين بالآخر.

﴿فَرَّقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ لم تحفظ وصيتي حين قلت
لك: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢]؛ أي: ارفق بهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ﴾.

[٩٥] ثم أقبل موسى على السامري ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ أي: ما طلبك.

﴿يَسْمِرِيُّ﴾ وما الذي حملك على فعلك؟

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَبَدَّتْهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾ أي: علمت ما لم يعلموا ﴿بِهِ﴾.

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تَبْصُرُوا) بالتاء على الخطاب، والباقون:
بالغيب على الخبر^(٣).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٣٢٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٤).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«تفسير البغوي» (١٣٧/٣)، =

جنة السنة

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ أخذت ملء كفي من تراب موطىء فرس جبريل عليه السلام .

﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ ألقيتها في فم العجل المصاغ . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن عامر ، وابن كثير ، وعاصم ، ويعقوب : (فَنَبَذْتُهَا) بإظهار الذال عند التاء ، والباقون : بالإدغام^(١) ، فإن قيل : كيف عرف جبريل ورآه من بين سائر الناس ؟ قيل : لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيه البنون ، وضعتة في كهف حذراً عليه ، فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام ليريه لما قضى على يديه من الفتنة .

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي : كما حدثتك ﴿ سَوَّلَتْ ﴾ زينت .

﴿ لِي نَفْسِي ﴾ وحسنه لي .

﴿ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ ﴿٩٧﴾ .

[٩٧] ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ فَأَذْهَبَ ﴾ من بيننا طريداً ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ ﴾ طول عمرك . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن عامر ، وابن كثير ،

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٠٧) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٩٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٨-٩ و١٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٠٨) .

جنة السنة

وعاصم، ويعقوب، وخلف عن حمزة: (فَاذْهَبْ فَإِنَّ) بإظهار الباء عند الفاء، والباقون: بالإدغام^(١).

﴿ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ ﴾ لا مخالطة مع أحد، فكان يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، وإذا مس أحداً، أو مسه أحد، حُمًّا جميعاً، فكان إذا رأى أحداً قال: لا مساس؛ أي: لا تقربني، وفر منه، عاقبه الله بذلك، وروي أن ذلك موجود في أولاده إلى الآن.

﴿ وَإِنَّ لَكَ ﴾ يا سامري ﴿ مَوْعِدًا ﴾ أي: لعذابك يوم القيامة.

﴿ لَنْ تُخَلَّفَهُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بكسر اللام؛ من أخلفت الموعد: غبت عنه؛ أي: لن تتخلف أنت عن الإتيان إلى الموعد، وهو الحشر، بل تصل إليه، وقرأ الباقر: بفتح اللام^(٢)؛ أي: لن تخلف الموعد، بل تبعث إليه.

﴿ وَأَنْظُرْ إِلَيَّ إِلْنَهَكَ ﴾ بزعمك.

﴿ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي: دمت عليه مقيماً.

﴿ لَنْحَرِقَتْهُ ﴾ قراءة الجمهور: بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة؛ من الإحراق بالنار، وقرأ أبو جعفر: بضم النون وإسكان الحاء وكسر الراء خفيفة، ومعناه كالأول، وروي عنه وجه ثان: بفتح النون وإسكان الحاء وضم الراء خفيفة، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٠٩).

جنة السنة

عنه^(١)؛ أي: لنبردنه، ومنه قيل للمبرد: المحرق.

﴿ثُمَّ لَنَسِيفَنَّهُ﴾ لنذرينه ﴿فِي أَلْيَرٍ تَسْفًا﴾ لا يصادف منه شيء.

روي أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم؛ لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقه بالنار، ثم ذراه في البحر، وروي أنه ذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في البحر^(٢)، وتقدم ذكر القصة في سورة البقرة [الآية: ٥٢].

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [٩٨].

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا أحد يماثله أو يدانيه

في كمال العلم والقدرة.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز؛ أي: وسع علمه كل شيء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا

ذِكْرًا﴾ [٩٩].

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ؛ أي: مثل ما ذكرناه لك من أخبار

بني إسرائيل ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٣٨/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٠/٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١٣٨/٣)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٣٢١/٤)،

و«تفسير القرطبي» (٢٩٢/٧)، و«تفسير اللباب» لابن عادل (٣٧٧/٢).

جنة السنة

﴿ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ من أخبار الأمور الماضية والأمم؛ تبصرة لك، وزيادة في علمك .

﴿ وَقَدْ آتَيْتَكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ يعني: القرآن، وقيل: ذكراً جميلاً، وصيئاً عظيماً بين الناس .

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴾ .

[١٠٠] ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ عن القرآن، فلم يؤمن به .

﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴾ إثماً ثقيلاً، ووحيد الضمير في (فإنه) رداً إلى لفظ (من). .

﴿ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴾ .

[١٠١] ﴿ خَلِيدِينَ فِيهِ ﴾ في عقاب الوزر، والجمع في (خالدين) نظراً إلى المعنى، ونصبه حال من ضمير (يحمل). .

﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴾ بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن .

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ .

[١٠٢] ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ القرن . قرأ أبو عمرو: (ننْفُخُ) بنون

مفتوحة وضم الفاء إخباراً عن الله تعالى؛ لقوله: (وَنَحْشُرُ)، وقرأ الباقون:

جنة السنة

بالياء وضمها وفتح الفاء مجهولاً^(١) ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين .
﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ زرق العيون من العطش .

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (١٠٣) .

[١٠٣] ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يتسارون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ويتكلمون خفية؛ لهول ذلك
اليوم قائلين: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ في الدنيا، وقيل: في القبور؛ استقصاراً لمدة
لبثهم فيها .

﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ ليالي . وتقدم التنبيه على اختلاف القراءة في الإدغام
والإظهار من (لَبِثْتُمْ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ [طه: ٤٠] .

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا
يَوْمًا﴾ (١٠٤) .

[١٠٤] قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: يتسارون بينهم .
﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعقلهم وأعدلهم وأوفرهم رأياً:
﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من
أحوال يوم القيامة .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٩)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٤/١١٢) .

جنة السنة

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ .

[١٠٥] ولما سئل رسول الله ﷺ: ما يُصنع بالجبال يوم القيامة؟ أنزل:

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١﴾﴾^(١) يقلعها من أصلها، ويجعلها

كالرمل .

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ .

[١٠٦] ثم يرسل الرياح عليها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يترك أماكنها .

﴿قَاعًا﴾ مستويًا من الأرض ﴿صَفْصَفًا﴾ أملس لا نبات فيه .

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ .

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ أودية ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعاً .

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ .

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ المنادي للحشر، وهو إسرافيل - عليه

السلام - حين ينادي: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، واللحوم

المتفرقة! هلمي إلى عرض الرحمن، فيأتون سريعاً .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٣٩)، و«تفسير النسفي» (٣/٦٧) .

جنة السنة

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يعوج مدعو عن صوته، بل يتبعه من غير انحراف عنه.

﴿وَحَشَعَتِ﴾ خفيت وذلت ﴿الْأَصْوَاتِ﴾ أي: أربابها.

﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ هيبة وإجلالاً.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفياً؛ من هميس الإبل، وهو صوت أقدامها إذا مشت، المعنى: لا تسمع إلا مشي الأقدام بخفاء إلى المحشر خوفاً.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ لأحد من الناس ﴿إِلَّا﴾ شفاعة.

﴿مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أن يشفع فيشفع.

﴿وَرَضِيَ لَهُ﴾ للمشفوع فيه ﴿قَوْلًا﴾ بأن قال: لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يعلم تعالى جميع

أحوالهم؛ يعني: الذين يتبعون الداعي.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ تعالى ﴿عِلْمًا﴾ لا يدركونه، ولا يعلمون ما هو

صانع بهم، ونصب (علمًا) تمييز.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت ﴿الْوُجُوهُ﴾ وجوه العصاة.

جنة السنة

﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: خسر من أشرك بالله،
والظلم: الشرك.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٧).

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ قرأ ابن كثير: (فَلَا يَخَفُ) مجزوماً على النهي جواب^(١) لقوله: (وَمَنْ يَعْمَلُ) نهى المؤمن الصالح أن يخاف، وقرأ الباقون: (فَلَا يَخَافُ) مرفوعاً استثناءً^(٢)؛ أي: فهو ليس يخاف.

﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ نقصاً من حسناته.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (١١٣).

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما بيناه في هذه السورة.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: هذا الكتاب.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلسان العرب.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾ كررنا في القرآن ﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾ وعيداً.

(١) في «ت»: «جواباً».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١١٣).

جنة السنة

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الشرك ﴿ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ﴾ الوعيد .
﴿ ذِكْرًا ﴾ اعتباراً وعظة بهلاك من تقدمهم .

﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ
إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤) .

[١١٤] ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ عما يقول المشركون .

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ أي : بقراءته .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ قراءته ؛ أي : تثبتت حتى يفرغ جبريل
من قراءته ، ثم اقرأه ؛ لأنه كان ﷺ يسابق جبريل خوف النسيان^(١) . قرأ
يعقوب : (نَقَضِيَ) بالنون مفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء نصباً على تسمية
الفاعل (وَحْيُهُ) بالنصب ، وقرأ الباقون : (يُقْضَى) بالياء مضمومة وفتح
الضاد ، ورفع (وَحْيُهُ)^(٢) .

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ بالقرآن ؛ أي : حفظاً وفهماً .

﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (١١٥) .

[١١٥] ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴾ أو صيغته ألا يأكل من الشجرة .

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١٤٢/٣) ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم عن الشدي ،
كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣٦-٣٥/٧) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (١٤٢/٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٣٢٢/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٤/٤) .

جنة السنة

﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل هذا الزمان ﴿ فَنَسِيَ ﴾ العهد ﴿ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ صبراً عما نُهي عنه .

وعطف قصة آدم على قوله: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾ للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان، وعرقهم راسخ في النسيان، قال ابن عباس: «إنما سمي الإنسان إنساناً؛ لأنه عهد إليه، فنسي»^(١).

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾
أَبَى ﴿١١٦﴾ .

[١١٦] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ أن يسجد .
قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، وروي عنه: إشماء كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه^(٢)، وتوجيه قراءته مستوفى في سورة البقرة [الآية: ٣٤].

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾
﴿١١٧﴾ .

[١١٧] ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ حواء .

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩/٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٩٢٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٥٤٥/٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧٥/٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٠-٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٥/٤).

جنة السنة

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ فتعب في الدنيا بتحصيل ما يُحتاج إليه منها؛ كماكل ومشرب وملبس، وخص آدم بالشقاء؛ لأن طلب المكاسب غالباً يكون بالرجال.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (١١٨).

[١١٨] ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾.

﴿ وَأَنْتَ لَا تَطْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ (١١٩).

[١١٩] ﴿ وَأَنْتَ ﴾ قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (وَأَنْتَ) بكسر الألف على الاستثناف، وقرأ الباقر: بالفتح نسقاً على قوله: (أَلَّا تَجُوعَ) (١).

﴿ لَا تَطْمَؤُا ﴾ تعطش ﴿ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ تبرز للشمس؛ لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود.

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (١٢٠).

[١٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ فأنهى إليه وسوسة.

﴿ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ أي: من أكل منها لا يموت.

﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ لا يفنى.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١١٦).

جنة السنة

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (١٢١) .

[١٢١] ﴿ فَأَكَلَا ﴾ يعني: آدم وحواء ﴿ مِنْهَا ﴾ وسارعت إلى ذلك حواء، فلما رآها آدم قد أكلت، أكل، فطارت عنهما ثيابهما.

﴿ فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا ﴾ أي: عوراتهما.

﴿ وَطَفِقَا ﴾ جعلاً ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ يلبصقان.

﴿ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ ويضمان شيئاً إلى شيء يستتران بالورق، وهو ورق التين.

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ أي: ضلَّ عن المطلوب منه.

﴿ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (١٢٢) .

[١٢٢] ﴿ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة؛ من جيبت

الشيء: قربته إلي، وجمعه بي.

﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِهِ ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ هداه إلى المداومة على التوبة.

﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (١٢٣) .

[١٢٣] ﴿ قَالَ أَهَيْطًا ﴾ يا آدم وحواء ﴿ مِنْهَا ﴾ ثم أخبرهما أن إبليس

والحية يهبطان معهما بقوله: ﴿ جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ يا ذرية آدم وإبليس ﴿ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ ﴾ إلى يوم القيامة، و(عدو) يوصف به الواحد والاثنان والجمع.

جنة السنة

﴿ فَأَمَّا يَا تِئْتِكُمْ ﴾ يا آدم وحواء، وجمعا؛ لأنهما أصل البشر ﴿ مَتَّى هُدَى ﴾ دعاء شرعي، وقوله: ﴿ فَأَمَّا يَا تِئْتِكُمْ ﴾ شرط، وجوابه في قوله: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ رسولي وكتابي. قرأ الدوري عن الكسائي: (هُدَايَ) بالإمالة^(١).

﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَا يَشْقَى ﴾ في الآخرة.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤].

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي: القرآن، وكفر به. ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ضيقاً ونكدًا شاقاً من العيش. ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ البصر، وقيل: أعمى عن الحجّة.

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [١٢٥].

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ بحجتي، أو بالعين، روي أنه يحشر من قبره بصيراً، فإذا سيق إلى الموقف، عمي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (حَشَرْتَنِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١١٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١١٩).

جنة السنة

﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴾ (١٢٦).

[١٢٦] ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ما ﴿ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا ﴾ تركت العمل بها.
﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ومثل ترك آياتنا ﴿ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴾ أي: تترك في النار
كالمنسي.

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَى ﴾ (١٢٧).

[١٢٧] ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ومثل جزائنا المعرض عن آياتنا.

﴿ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أشرك.

﴿ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ ﴾ وهو حشره أعمى أبداً.

﴿ أَشَدُّ ﴾ مما يعذب به في الدنيا والقبر.

﴿ وَأَبْقَى ﴾ أدام ضرراً من ضيق العيش في الدنيا.

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ (١٢٨).

[١٢٨] ثم ابتداءً يوبخهم ويذكرهم العبر بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي:

يبين الله لهم. قرأ زيد عن يعقوب: (نَهْد) بالنون، والباقون: بالياء^(١)،
والمراد: كفار مكة.

(١) ذكرها القرطبي في «تفسيره» (١١/٢٦٠) من قراءة ابن عباس والسلمي.

جنة السنة

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ أي: الأمم .

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴾ ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش، كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ لذوي العقول .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (١٢٩) .

[١٢٩] ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ ﴾ أي: حكمة .

﴿ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب .

﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ أي: لازماً لهم في الدنيا .

﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ مضروب، وهو يوم القيامة، معطوف على (كَلِمَةٌ) فيه تقديم وتأخير تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى، لكان لازماً .

﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ أَنَايِ الْأَيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (١٣٠) .

[١٣٠] ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ فيك، وهذا منسوخ بآية القتال

﴿ وَسَبِّحْ ﴾ أي: صل ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: وأنت حامد؛ بأن وفقت للتسبيح .

جنة السنة

﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ هي صلاة الفجر ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ وهي صلاة العصر.

﴿ وَمِنْ عَائِي أَيْلِ ﴾ ساعاته جمع أُنْبَى؛ كُنْجِي، وَإِنَّا؛ كِمَعَى ﴿ فَسَبِّحْ ﴾ والمراد: صلاة المغرب والعشاء ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ صلاة الظهر، سميت طرفاً؛ لأنها في آخر الطرف الأول من النهار، وأول الطرف الآخر منه، فهو في طرفين منه؛ أي: سبحه في جميع الأوقات.

﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (تَرْضَى) بضم التاء مجهولاً؛ أي: يرضاك ربك، وقرأ الباقون: بفتحها؛ أي: ترضى بما تُعطى من الثواب يا محمد^(١).

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾.

[١٣١] ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ لا تنظر ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ﴾ أعطينا ﴿ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ أي: أصنافاً من الكفرة ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قراءة العامة: بجزم الهاء؛ أي: زينتها، وقرأ يعقوب: بفتح الهاء^(٢)؛ أي: نور النبات.

﴿ لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ﴾ لنجعل فتنتهم فيما أعطيناهم.

﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ ﴾ ثوابه في الميعاد.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٥)، «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٢١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٤٨). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٢٢).

جنة السنة

﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ مما رزقوا .

﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزْرُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّوَى ﴾ (١٣١) .

[١٣٢] ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ ﴾ أي: أهل بيتك ﴿ بِالصَّلَاةِ ﴾ مع ائتمارك بها ﴿ وَأَصْطَبِرَ ﴾ أنت وهم ﴿ عَلَيْهَا ﴾ على الإتيان بها؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

﴿ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾ لا نكلفك رزق نفسك ولا غيرك .

﴿ نَحْنُ نَزْرُقُكَ ﴾ وإياهم .

﴿ وَالْعَقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلنَّوَى ﴾ .

روي أنه ﷺ كان إذا أصاب أهله ضررٌ، أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ (١٣٣) .

[١٣٣] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني: المشركين .

﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلاً ﴿ يَأْتِينَا ﴾ محمد .

﴿ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ؕ ﴾ كموسى وعيسى .

﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وابن جمار عن أبي جعفر: (تَأْتِيهِمْ) بالتاء؛ لتأنيث البيئتين، وقرأ الباقون:

جنة السنة

بالياء على التذكير^(١)؛ لتقدم الفعل، ولأن البينة هي البيان، فرد إلى المعنى.

﴿بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: ما في الكتب المتقدمة من أخبار الأمم التي أهلكت لما اقترحوا الآيات، فأتتهم، فلم يؤمنوا بها.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزَى﴾ (١٣٤).

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل محمد.

﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة.

﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدعوننا.

﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا.

﴿وَنَخْزَى﴾ بالعقاب يوم القيامة.

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (١٣٥).

[١٣٥] ﴿قُلْ كُلُّ﴾ منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٍ﴾ منتظر، نحن نتربص بكم

العذاب، وأنتم تتربصون بنا الدوائر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ فانتظروا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/١٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٢٣).

جنة السنة

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمر الله ، وقامت القيامة .
﴿مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ الطريق المستقيم ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾ من
الضلالة؛ أي : ستعلمون من هذا^(١) ، والله سبحانه أعلم .

* * *

(١) «من هذا» زيادة من «ت» .



مكية بإجماع ، وآيها مئة واثنان عشرة آية ، وحروفها : أربعة آلاف وثمانين
مئة وتسعون حرفاً ، وكلمها : ألف ومئة وثمان وستون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

[١] ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ أي : وقت حسابهم ؛ يعني : يوم القيامة ،
نزلت تخويفاً لمنكري البعث ، وهي عامة في جميع الناس ، وإن كان المشار
إليه في ذلك الوقت كفار قريش ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ عما يفعل بهم
﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ من التأهب لذلك المقام .

روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً ، فمر به آخر
في يوم نزول هذه السورة ، فقال الذي كان يبني الجدار : ماذا أنزل اليوم من
القرآن؟ فقال الآخر : نزل اليوم : ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مُّعْرِضُونَ ﴾ فنفض يده من البنيان وقال : والله لا بنيت أبداً ، وقد اقترب
الحساب^(١) .

(١) انظر : «تفسير القرطبي» (١١/٢٦٦) .

جنة السنة

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ ﴾ يعني: المشركين

﴿ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني: القرآن ﴿ مُّحَدَّثٍ ﴾ أي: محدث التنزيل، لا نفس القرآن؛ أي: ما يأتيهم شيء من القرآن.
﴿ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ مستهزئين به؛ لفرط غفلتهم.

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ لَاهِيَةً ﴾ غافلة ﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾ عما يراد منها.

﴿ وَأَسْرَأُ ﴾ وأخفوا ﴿ النَّجْوَى ﴾ هي التناجى سراً؛ أي: كتموا ما تناجوا

به.

﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا، ثم بين الله تعالى سرهم الذي تناجوا به، وهو قول بعضهم لبعض: ﴿ هَلْ هَذَا ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ في الجهالة: ﴿ أَفَتَأْتُونَ ﴾ أفتحضرون السحر؛ أي: ما يقول، شبهوه بالسحر، المعنى: أفبتبعون ﴿ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ تعلمون أنه سحر؟!!

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ قُلْ ﴾ أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم وللناس أجمعين: ﴿ رَبِّي يَعْلَمُ

جنة السنة

الْقَوْلُ ﴿ أَي: أقوالكم ﴾ ﴿ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ وهو بالمرصاد في المجازاة عليها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (قَالَ رَبِّي) بألف بعد القاف؛ أي: أخبرهم النبي ﷺ أن ربه يعلم القول. وقرأ الباقون: بغير ألف على الأمر، وتقدم معناه، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار^(١).

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأفعالهم.

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنَسْنَا بَيَاتِهِ
كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴾ .

[٥] ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ ﴾ أخلاط أحلام رآها في النوم.

﴿ بَلِ افْتَرَاهُ ﴾ اختلقه.

﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ أي: كذاب، وما جاءكم به شعر؛ يعني: أن المشركين اقتسموا القول فيه، ولما اقتضت الآية المتقدمة أنهم قالوا: إن ما عنده سحر، عدد الله في هذه الآية جميع ما قالت طوائفهم، ووقع الإضراب بكل مقالة عن المتقدمة؛ ليبين اضطراب أمرهم، فبعد اختلافهم في القرآن، رجعوا إلى مقترحهم من الآيات.

فقالوا: ﴿ فَلْيَأْنَسْنَا ﴾ محمد ﴿ بَيَاتِهِ ﴾ كالناقة والعصا.

﴿ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴾ بالآيات.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٢٩).

جنة السنة

﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] فنزل: ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل مشركي قريش ﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي: أهل قرية عند مجيء الآيات التي اقترحوها، فلذلك ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ وهذه الأمة موعودة ألا تستأصل إلى قيام الساعة، فلذلك لم تعط مقترحها.
﴿ أَفَهُمْ ﴾ أي: كفار قريش ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ عند مجيء الآيات؟! هم أعتى من ذلك.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ونزل جواب ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ وطلبهم^(١).
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (نُوْحِي) بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسم فاعله^(٢).
﴿ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ أهل العلم بالكتابين. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوا) بالنقل، والباقون: بالهمز^(٣) ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

-
- (١) «وطلبهم» ساقطة من «ت» .
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٠).
(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٠).

جنة السنة

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ثم أعلم تعالى أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ ﴾ أي: الأنبياء ﴿ جَسَداً ﴾ ولم يقل: أجساداً؛ لأنه اسم جنس.

﴿ لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ هذا رد لقولهم ﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ [الفرقان: ٧]؛ أي: لم نجعل الرسل ملائكة، بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ في الدنيا.

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴾ الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم.

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ ﴾ من المؤمنين بهم.

﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ المفرطين في غيهم وكفرهم.

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ يا معشر قريش ﴿ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ شرفكم

وما تحتاجون إليه من مصالح دينكم ودنياكم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتؤمنون.

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا

ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ أهلكتنا ﴿ مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ أي: كافرة؛

جنة السنة

يعني: أهلها، والقصم: الكسر بانفصال، ظاهر المعنى: أهلكتنا كثيراً من أهل القرى الظالمين.

﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: جئنا ببدلهم، فسكنوا مساكنهم.

﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا﴾ أي: المهلكون ﴿بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا﴾ أي: القرية.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ مسرعين.

نزلت هذه الآية في أهل حصورا، وهي قرية باليمن كان أهلها من العرب، فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله^(١)، فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بُخت نصر حتى قتلهم وسباهم، فندموا وانهزموا^(٢).

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرَقْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾ (١٣).

[١٣] فقالت لهم الملائكة: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرَقْتُمْ﴾ نَعْمْتُمْ

﴿فِيهِ﴾ من الدنيا ﴿وَمَسْكِنِكُمْ﴾ التي كانت لكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾ شيئاً من دنياكم؛ استهزاءً بهم.

(١) «يدعوهم إلى الله» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩/١٧).

جنة السنة

﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] فأتبعهم بخت نصر وأصحابه^(١)، وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جَوِّ السماء: يا ثارات الأنبياء! فلما رأوا ذلك ﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف .

﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ ﴾ أي: قولهم: يا ويلنا ﴿ دَعْوُهُمْ ﴾ سميت لأنهم دعوا ويلهم ﴿ حَتَّى جَعَلْنَهُمْ حَصِيدًا ﴾ أي: محصودين بالموت والسيوف ﴿ خَمِيدِينَ ﴾ ساكنين .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ ﴾ أي: عبثاً، بل لمصالح الدارين .

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ لُؤْلُؤًا لَلَّاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ لُؤْلُؤًا ﴾ هو الولد والمرأة ﴿ لَلَّاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ من الحور والولدان والملائكة؛ لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره .

(١) «وأصحابه» ساقطة من «ت» .

جنة السنة

﴿ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ولكن لم تفعل ؛ لاستحاله في حقنا .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ بَلْ ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو .

﴿ نَقْذِفُ ﴾ نرمي ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الإيمان .

﴿ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ الشرك ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ يكسره ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ هالك .

﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ الله سبحانه به من الولد ونحوه .

﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ عبداً وملكاً ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ من

الملائكة ، نسبوا إليه تشريفاً ، لا أنه تعالى في مكان .

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ يعيون .

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ يضعفون ، وأصل الفتور :

السكون بعد حدة .

جنة السنة

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ أَمِ ﴾ معناها: بل ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ والهمزة لإنكار اتخاذهم ﴿ إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ ﴾؛ لأن كل الأصنام منها.

﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ يحيون الموتى؛ زيادة توبيخ؛ أي: ليست آلهتهم كذلك، فهي غير آلهة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ثم بين تعالى أمر التمانع بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ﴾ أي: في السماء والأرض.

﴿ إِلَهًا إِلَّا ﴾ أي: غير ﴿ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وذلك بأنه كان يبغى بعضهم على بعض، ويهلك من فيهما؛ لوجود التمانع؛ لأن كل أمر بين اثنين أو أكثر لا يجري على نظام واحد، ثم نزه تعالى نفسه عما وصفه به أهل الجهالة والكفر فقال: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ثم وصف تعالى نفسه بأنه ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ سؤال إنكار؛ إذ له أن يفعل في ملكه ما يشاء؛ لأنه يضع الأشياء في محلها.

﴿ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ لأنهم عبيد حقيقة، وفي أفعالهم خلل كثير.

جنة السنة

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۚ ءَالِهَةً ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۗ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۚ ءَالِهَةً ﴾ استفهام إنكار، وفي تكرار هذا التقرير مبالغة في الإنكار، وزيادة على الأول، وهي قوله: ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ فكانه قرره هنا على قصد الكفر بالله تعالى، ثم دعاهم إلى الحجة والإتيان بالبرهان بقوله^(١): ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي: حجبتكم على ذلك ﴿ هَذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ ذِكْرٌ ﴾ عظة ﴿ مَنْ مَعِيَ ﴾ على ديني. قرأ حفص عن عاصم: (معي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢) ﴿ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ﴾ يعني: الكتب المنزلة، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدًا؟ فلما لم يرجعوا عن كفرهم، أضرب عنهم فقال:

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أي: جميع الكفار.

﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ﴾ القرآن والتوحيد؛ لجهلهم.

﴿ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

(١) «بقوله» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٤/١٣٢).

جنة السنة

[٢٥] ولما أخبر تعالى أنهم لا يعلمون الحق لإعراضهم، أتبع ذلك بإعلامه أنه ما أرسل قط رسولاً إلا أوحى إليه: أن الله تعالى فرد صمد.

فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وَحَدُونَ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (نُوحِي) بالنون وكسر الحاء على التعظيم؛ لقوله: (أَرْسَلْنَا)، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله^(١)، وقرأ يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(٢).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [٢٦]

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ﴾ نزه نفسه عن ذلك ﴿بَلْ﴾ أي:

بل هم.

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ مشرفون؛ يعني: الملائكة، وهذا تكذيب وردّ لقول خزاعة: الملائكة بنات الله، والعبودية تنافي الولادة.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢٧]

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ﴾ أي: يتبعون أمره، ولا يتقدمون قوله

بقولهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٤)،

و«تفسير البغوي» (٣/١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٥)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٤/١٣٢).

جنة السنة

﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ لا يأتون إلا مراده .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [٢٨] .

[٢٨] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما عملوا، وما هم عاملون .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ وهو من قال : لا إله إلا الله .

﴿ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ هَبِيتَهُ ﴾ مُشْفِقُونَ ﴿ خائفون .

﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٩] .

[٢٩] ثم تهدد المشركين بتهديد من يدعي الربوبية فقال : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ

مِنْهُمْ ﴾ أي : من جميع الخلائق ﴿ إِنْتِ إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو : (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون : بإسكانها^(١) .

وعن ابن عباس قال : « إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى

الأنبياء - صلوات الله عليهم -، قالوا : فما فضله على أهل السماء؟ قال :

إن الله قال لأهل السماء : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ ﴾ الآية، وقال

لمحمد : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية [الفتح : ١]، قالوا : فما فضله على

الأنبياء؟ قال : إن الله قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٣) .

جنة السنة

الآية [إبراهيم: ٤]، وقال لمحمد: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨] (١).

﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قرأ ابن كثير: (ألم) بغير واو كما هي في المصحف المكي، وقرأ الباقون: بواو قبل اللام كما هي في مصاحفهم (٢)، المعنى: ألم يعلم الكافرون.

﴿ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا ﴾ أي: جنسهما.

﴿ رَتْقًا ﴾ شيئاً واحداً، والرتق: هو الضم والالتحام.

﴿ فَفَنَقْنَاهُمَا ﴾ فصلنا بينهما بالهواء، فجعلت السماء سبعاً، والأرض سبعاً، وعلم الكفار ذلك ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ النازل من السماء.

﴿ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ أي: أحييناه به؛ لأنه سبب حياته، والنبات داخل فيه.

﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ مع ظهور الآيات!؟

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦١٠)،

والحاكم في «المستدرک» (٣٣٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«تفسير البغوي» (١٥٦/٣)،

و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٣/٤).

جنة السنة

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣١)

[٣١] ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ جبلاً ثوابت ﴿ أَنْ ﴾ أي: لئلاً.

﴿ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي: تتحرك ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ في الرواسي ﴿ فِجَاجًا ﴾ طرقاً واسعة ﴿ سُبُلًا ﴾ تفسير الفجاج ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى مصالحهم.

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (٣٢)

[٣٢] ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ أي: أن تقع على الأرض إلا

بإذنه.

﴿ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا ﴾ التي فيها من الشمس والقمر والنيرات.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون فيؤمنون.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴾ (٣٣)

[٣٣] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ ﴾ تنوينه بدل من

محذوف؛ أي: كل واحد من المذكور ﴿ فِي فَلَكٍ ﴾ والفلك: مدار النجوم

الذي يضمها، والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك.

﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ يجرون بسرعة كالسباح، وذكر ضمير (يسبحون)، وجمع

جمع العقلاء؛ لوصفهم بالسباحة، وهي فعل من يعقل.

جنة السنة

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (٣٤)

[٣٤] ونزل نفيًا للشماتة بالموت لما قال المشركون: إن محمداً

سيموت:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ (١) البقاء.

﴿ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ وحذفت الهمزة من (أفهم)؛ للدلالة الأولى

عليها. قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتَّ) بكسر الميم، والباقون: بضمها (٢).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٥)

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ تزهق بملابسة أيسر جزء من الموت،

وهذا تهويل لشأنه.

﴿ وَنَبَلُوكُمْ ﴾ نخبركم ﴿ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ ﴾ بالشدة والرخاء، وكل ما يصح

أن يكون ابتلاء.

﴿ فِتْنَةً ﴾ امتحاناً وكشفاً؛ ليظهر كيف شكركم فيما تحبون، وكيف

صبركم فيما تكرهون.

﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم. قراءة الجمهور: (تُرْجَعُونَ) بالخطاب

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤٢٧/٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٤/٤).

حنة السنة

بضم التاء وفتح الجيم، ويعقوب: بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الثعلبي عن ابن ذكوان: بالغيب بفتح الياء وكسر الجيم^(١).

﴿وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَأَى) و(رَأَاهُ) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء^(٢).

﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ سخرياً، نزلت في أبي جهل، مر به النبي ﷺ، فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف^(٣) ﴿أَهَذَا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: أهذا ﴿الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم.

﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: بما يذكر به من الوحدانية.

﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ جاحدون، وذلك أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، و(هُم) الثانية صلة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٦٩٨).

جنة السنة

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أي: مستعجلاً، هذا توطئة للرد عليهم في استعجالهم العذاب، وطلبهم آية مقترحة، وهي مقرونة بعذاب مجهر، ووصف تعالى الإنسان الذي هو اسم الجنس بأنه خُلِقَ من عجل، وقيل: المراد بالإنسان: آدم عليه السلام؛ لأنه لما دخلت الروح رأسه، أبصر ثمار الجنة، فقام نحوها عَجَلًا قبل أن تبلغ الروح رجله ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ نقماتي، قيل لهم ذلك على جهة الوعيد أن الآيات ستأتي.

﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته، فأراهم يوم بدر. وقرأ يعقوب: (تَسْتَعْجِلُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(١).

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ ﴾ وقت العذاب.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعنون: النبي ﷺ وأصحابه.

﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ السياط ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون من العذاب، وجواب

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٥).

جنة السنة

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ محذوف، معناه: لو علموا، لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا، ولا قالوا: متى هذا الوعد؟

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيرهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِك فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ) بضم الدال في الوصل، وأبو جعفر: على أصله في فتح الياء من غير همز^(١).

﴿بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِك﴾ كما استهزئ بك، فصبروا.

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فنزل بالمستهزئين العذاب جزاء استهزائهم.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٦).

جنة السنة

﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرُكُمْ بِأَيْلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] فاصبر أنت، و﴿ قُلْ ﴾ للمستهزئين: ﴿ مَنْ يَكْفُرُكُمْ ﴾ يحفظكم.

﴿ بِأَيْلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ من عذابه.

﴿ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ ﴾ عن القرآن ومواعظه.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يُخْطِرُونَهُ بِأَلْهَمِ .

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا لَهُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا ﴾ المعنى: أیظنون أن آلهتهم

تمنعهم من دوننا؟ ثم وصف الآلهة بالضعف فقال:

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا لَهُمْ مِّنَّا ﴾ من عذابنا.

﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ يجارون.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ وفي الكلام

تقدير بعد محذوف؛ كأنه قال: ليس ثمَّ شيء من هذا كله، بل ضل هؤلاء؛

لأننا متعنناهم ومتعنا آباءهم، فنسوا عقاب الله، وظنوا أن حالهم لا يبيد، ثم

وقفهم تعالى على مواضع العبر في الأمم في قوله:

جنة السنة

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ رؤية العين يتبعها رؤية القلب ﴿ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ للمشركين بالفتح على محمد ﷺ، ونزيد في أطرافها للمؤمنين نصرأ عليهم .

﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ أم نحن؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ ﴾ أخوفكم ﴿ بِالْوَحْيِ ﴾ بالقرآن .

﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ﴾ قرأ ابن عامر: (تُسمعُ) بالتاء وضمها وكسر الميم من أسمع، خطاباً للنبي ﷺ، ونصب (الصُّمُّ الدُّعَاءَ) مفعولين، وقرأ الباقون: بالياء مفتوحة غيباً، وفتح الميم ورفع (الصُّمُّ) فاعلاً، ونصب (الدُّعَاءَ) مفعولاً^(١)؛ من سمع، إخبار عن الكفار .

﴿ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ أي: هم صم عن الدعاء إلى الإيمان وقت الإنذار .
واختلاف القراءة في الهمزتين من (الدُّعَاءَ إِذَا) كاختلافهم فيهما من (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢] .

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ ﴾ شيء قليل في الدنيا ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٣٧) .

جنة السنة

الذي خُوفوا به في الأخرى، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند نزولها بهم:
﴿يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بشركنا؛ أي: لدعوا على أنفسهم بالويل،
واعترفوا عليها بالظلم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: ذوات القسط، والقسط: العدل.

﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لأجله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من الظلم.

وفي الأخبار: أن الميزان له لسان وكفتان، توزن به الأعمال^(١)، ليتبين
للناس المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلقة بأجسام
يقرنها الله تعالى يومئذ بالأعمال، فإما أن تكون صحف الأعمال، أو
مثالات تخلق، أو ما شاء الله تعالى.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لحبة. قرأ نافع،
وأبو جعفر: (مِثْقَالٌ) برفع اللام على أن (كان) تامة؛ أي: وإن وقع زنة
حبة، وقرأ الباقر: بنصب اللام^(٢)، على معنى: وإن كان الشيء أو العمل

(١) سلف عند تفسير الآية (٨) من سورة الأعراف، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان»
عن ابن عباس، كما في «الدر المنثور» (٤/١٩٥)، وأخرج نحوه اللالكائي في
«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧٩٣) عن سلمان، وانظر «فتح
الباري» لابن حجر (٢١/١٦٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/١٦٢)، و«النشر في =

جنة السنة

مِثْقَالِ حَبَّةٍ؛ أَي: زنة مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴿أَتَيْنَا﴾ جُنَّا.

﴿بِهَا وَكَفَىٰ بِنَاحِسِيٍّ﴾ حَافِظِينَ، تَوَعَّدَهُمْ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْتَقِينَ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾ التوراة ﴿وَضِيَاءً﴾ التوراة أيضاً؛ أَي: آتيناهم الفرقان مضيئاً. قرأ قبل عن ابن كثير: (وَضِيَاءً) بهمزيين قبل الألف وبعدها، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة بعد الألف^(١) ﴿وَذِكْرًا﴾ عظة ﴿لِّلْمُنْتَقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يخافونه في الخلاء كخوفه بين الناس.

﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ﴾ وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [٥٠].

[٥٠] ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ لمن تذكَّر به وتبرَّك

= القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٨/٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٩/٤).

جنة السنة

﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ على محمد ﴿ أَفَأَنْتُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ جاحدون؟ وهذا استفهام توبيخ وتعيير.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [٥١].

[٥١] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ نبوته ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل موسى وهارون؛ أي: كما هديناهما وآتيناهما النبوة، هدينا إبراهيم واصطفيناه من قبل ذلك، وقيل معنى: ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: هديناه صغيراً. ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ أخبر تعالى أنه آتاه ذلك وهو عالم أنه لذلك أهل.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [٥٢].

[٥٢] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ ﴾ تهاوناً بهم.

﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ الأصنام المصورة.

﴿ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا ﴾ أي: عليها ﴿ عَاكِفُونَ ﴾ والعكوف: الملازمة للشيء، والعامل في (إذ) قوله (آتيناه).

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ [٥٣].

[٥٣] فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ فقلدناهم.

جنة السنة

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] فثم ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ الذين قلدتموهم .

﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ خطأ ظاهر .

﴿ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ أي : أجادت أنت فيما تقول أم

تلعب؟

﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ

الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] فثم أضرب عنهم مخبراً أنه جدُّ، ومثبتاً الربوبية وحدوث الأصنام .

﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ ﴾ عبارة عن الأصنام كأنها

تعقل، وهذا من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما

يوصف به^(١) من يعقل؛ أي : فكيف يُعبد المخلوق ويُجحد الخالق؟!

﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ بصحته .

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ ﴾ لأكسرن ﴿ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا ﴾ عنها

(١) «به» زيادة من «ت» .

جنة السنة

﴿مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدكم، وكان لهم في كل سنة مجمع وعيد، فكانوا إذا رجعوا من عيدهم، دخلوا على الأصنام، فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد، قال أبو إبراهيم له: يا إبراهيم! لو خرجت معنا إلى عيدنا، لأعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان في بعض الطريق، ألقى نفسه وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] يقول: أشك في رجلي، فلما مضوا، نادى في آخرهم، وقد بقي ضعيفو الناس: ﴿وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾ فسمعوا منه.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

[٥٨] ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، وكانوا قد وضعوا طعامهم لدى أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا، أكلوه، فلما لم يبق عندهم أحد، أخذ الفأس ودخل عليهم، والطعام لديهم، وقال استهزاء بهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصفات: ٩١]، فلم يجيبوه، فأكبَّ عليهم به^(١).

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ فتأذًا. قرأ الكسائي: بكسر الجيم، والباقون: بضمها، وهما لغتان معناهما واحد^(٢)، وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ ونحوه معاملة للأصنام بحال من يعقل؛ من حيث كانت تُعبد وتُنزل منزلة من يعقل.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٨/١٧). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/١٦٣)، و«تفسير القرطبي» (١١/٢٩٧)،

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«تفسير البغوي» (٣/١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٠).

جنة السنة

﴿إِلَّا كَبِيرًا هُمْ﴾ أي: كسر جميع الأصنام إلا كبيرها؛ فإنه تركه ولم يكسره، وعلق الفأس في عنقه.

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الأصنام^(١)؛ أي: الصنم الأعظم.

﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيسألونه عن كاسرها، وهذا تبكيت لهم، وإثبات للحجة عليهم.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٩].

[٥٩] فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم، ورأوا ذلك ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: من المجرمين.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [٦٠].

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ يعني: الذين سمعوا قول إبراهيم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ﴾ يعيبيهم.

﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ هو الذي نظن أنه صنع هذا.

﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [٦١].

[٦١] فبلغ ذلك نمرود الجبار وأصحابه ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهراً بمرأى من الناس.

(١) «إلى الأصنام» ساقطة من «ت».

جنة السنة

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أنه قال لآلهتنا ما قال، وأنه كسرهما؛ لئلا نأخذه بلا

بينه.

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهْتَينَا يَا بَرَهَيْمُ﴾ ﴿٦٢﴾.

[٦٢] فلما جيء به ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهْتَينَا يَا بَرَهَيْمُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، ورويس عن يعقوب: (أَنْتَ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش: يبدلها ألفاً خالصة، وروي عنه التسهيل بين بين، وقرأ الباكون وهم الكوفيون، وابن ذكوان، وروح: بتحقيق الهمزتين من غير فصل بينهما كل القرآن، واختلف عن هشام في الفصل بألف مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بين بين وتحقيقها^(١).

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار، وهو أكبر منها، فكسرها، وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله:

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤١-١٤٢).

جنة السنة

﴿ فَسَلُّوهُمْ ﴾ عن حالهم . قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف:
(فَسَلُّوهُمْ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(١).

﴿ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ أي: إن قدروا على النطق، قدروا على الفعل،
فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره: أنا فعلت ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب
إبراهيم إلا ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات الله: قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾،
وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾، وقوله لسارة: هذه أختي»^(٢).

وملخص قصة سارة: أنه لما نجى الله خليله ﷺ من النمرود الجبار،
استجاب له رجال من قومه على خوف من نمرود وملئته، ثم إن إبراهيم
وأصحابه أجمعوا على فراق قومهم، فخرج إبراهيم هو وأهله ومن معه،
فنزل الرها، ثم سار إلى مصر، وصاحبها فرعون، فذكر فرعون جمال
سارة زوج الخليل عليه السلام، وهي ابنة عمه هاران، فسأل إبراهيم عنها،
فقال: هذه أختي؛ يعني: في الإسلام؛ خوفاً أن يقتله، فقال له: زينها
وأرسلها إلي، فأقبلت سارة إلى الجبار، وقام إبراهيم يصلي، فلما دخلت
إليه ورآها، أهوى إليها يتناولها بيده، فأبى الله يده ورجله، فلما تخلى
عنها، أطلقه الله، وتكرر ذلك منه، فأطلقها، ووهبها هاجر^(٣).

(١) المصدران السابقان .

(٢) رواه البخاري (٣١٧٩)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذَرَ اللَّهُ
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ومسلم (٢٣٧١)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم
الخليل - عليه السلام - .

(٣) انظر: و«تفسير ابن كثير» (٣٥٠/٥)، وأصل القصة في «الصحیح» كما سلف . =

جنة السنة

وفي بعض الأخبار: أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها؛ كرامة لهما صلوات الله عليهما، وتطيباً لقلب إبراهيم عليه السلام.

ثم سار إبراهيم من مصر إلى الشام، وأقام بين الرملة وإيليا، فهو أول من هاجر من وطنه في ذات الله، والحديث الوارد أنه لم يكذب إلا ثلاث كذبات ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُذم فاعله، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له في ذلك لقصد الصلاح، وتوبيخهم، والاحتجاج عليهم؛ كما أذن ليوسف عليه السلام حتى أمر مناديه فقال لإخوته: ﴿أَيَّتَهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، ولم يكونوا سرقوا^(١).

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: فتفكروا بقلوبهم، ورجعوا إلى عقولهم.

﴿فَقَالُوا﴾ ما نراه إلا كما قال ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتكم من لا يتكلم.

= وانظر: «صحيح مسلم» (٢٣٧١)، باب: من فضائل إبراهيم الخليل.
(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٦٥/٣).

جنة السنة

﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ رُدُّوا إِلَى الكُفْرِ بعد اعترافهم بالظلم،
ومنه: نكس المريض: عاد إلى المرض بعد العافية، وأصله قلبُ أعلى
الشيء أسفله، وقالوا:

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ أي: لقد علمت عجزهم عن المنطق،
فكيف نسألهم؟! *

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ ﴾ لهم:
﴿ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ﴾ إن عبدتموه.
﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته؟! *

﴿ أَفِ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ أَفِ لَكُمْ ﴾ أي: نتناً وقذراً لكم ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴾ أليس لكم عقل تعرفون هذا الذي يعرفه كل عاقل فتؤمنون؟! قرأ
ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ
نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ
الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩-٤٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» =

جنة السنة

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [٦٨]

[٦٨] فلما لزمتهم الحجة، وعجزوا عن الجواب، أضربوا عن محاجته، و﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾ بالنار؛ لأنها أوجع وأبشع.

﴿ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ ﴾ على الذي أهانها ﴿ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ النصر لها.

﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٦٩]

[٦٩] فلما جمع نمرود قومه لإحراق إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، حبسوه في بيت بكوثا شهراً، وبنوا بنياناً كالحظيرة، قيل: طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه من الحطب، وأوقدوا في نواحيه النيران، فصارت ناراً واحدة شديدة، حتى إن الطير لتحترق إذا مرت بها.

وروي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها، فجاء إبليس وعلمهم عمل المنجنيق، فعملوه، وعمدوا إلى إبراهيم عليه السلام، فغلّوه ووضعوه في كفة المنجنيق، فثم قال إبراهيم: «لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، فاستغاثت الملائكة قائلة: يا رب! هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما أنت أعلم به، فقال تعالى: إن خليلي ليس لي خليل سواه، وأنا إلهه، وليس له إله غيري، فإن استغاث بكم، فانصروه، وإلا، فخلّوا بيني وبينه، فأتاه خازن المياه فقال له: إن أردت أخدمت النار، وأتاه خازن الرياح فقال له: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم:

= لابن الجزري (٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٢/٤).

جنة السنة

لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل، وتعرض له جبريل وهو يقذف به في لجة الهواء إلى النار، وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلى الله، فبلى، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فلم يستنصر بغير الله، ولا جنحت همته لما سوى الله، بل استسلم لحكم الله مكتفياً بتدبير الله - عز وجل - عن تدبير نفسه، وكان يومئذ ابن ست عشرة سنة، ولما وقع في النار، لم يحترق سوى وثاقه»، فذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١) أي: ابردي ليسلم، فذهبت حرارتها وإحراقها، وبقيت إضاءتها وإشراقها. قال ابن عباس: «لو لم يقل: برداً وسلاماً، [لمات إبراهيم من بردها، ولو لم يقل: على إبراهيم، لبقيت برداً وسلاماً]»^(٢) «أبدأ»^(٣).

وروي أنه لم يبق في ذلك الوقت نار بمشارك الأرض ومغاربها إلا خمدت، ظانة أنها المعنية بالخطاب، قال كعب الأحبار: «جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغ؛ فإنه كان ينفخ في النار» فلذلك أمر النبي ﷺ بقتلها، وسماها فويسقاً^(٤).

وعن علي رضي الله عنه: «أن البغال كانت تتناسل، وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم، فدعا عليها، فقطع الله نسلها، ولما

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٦٦-١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١١/٣٠٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/١٧٥)، و«روح المعاني» لآلوسى (١٢/٤٢٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٦٧).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١١/٣٠٤).

جنة السنة

سقط في النار، تلقته الملائكة، فأجلسوه على الأرض، فإذا بعين ماء عذب وروضة وورد ونرجس، فأقام بها سبعة أيام، وجاءه ملك بقميص من حرير الجنة، وطفنسة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة، وجعل يحدثه ويقول له: إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي»^(١).

وروي أنه قال: «ما كنت قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار»^(٢).

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾^(٧٠)

[٧٠] فلما رأوه، وقد أكرمه الله بما كرمه، آمن بالله جمع كبير في سر؛ خوفاً من نمروذ، وخرج إبراهيم من مكانه يمشي، وفارقه جبريل عليه السلام، فأقبل نحو منزله، فأرسل إليه نمروذ وسأله عن كسوته ورفيقه، فقال: «إنه ملك أرسله إلي ربي، وقص عليه القصة»، فقال نمروذ: إن إلهك الذي تعبد لآله عظيم، وإني مقرب قرباناً إليه؛ لما رأيت من عزته وعظمته وقدرته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته^(٣)، فقرب أربعة آلاف بقرة، ثم احترم إبراهيم بعد ذلك، وكف عنه، وقد عذب الله النمروذ بإرسال البعوض عليه وعلى جيشه، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاماً، ودخلت واحدة منها في منخر الملك نمروذ، فلبثت في منخره، عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمرازب حتى أهلكه الله عز وجل،

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/١٨٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/٤٤) عن المنهال بن عمرو.

(٣) «إلا عبادته» زيادة من «ت».

جنة السنة

وسلط الله على مدينة كوثا الزلازل حتى خربت .

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾^(١) إحرأاقاً .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ في نفقاتهم على كيده .

﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٧١) .

[٧١] ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ولد هارون أخى إبراهيم من نمرود وقومه من

أرض العراق .

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ هي أرض الشام، بارك الله فيها

بالخصب وكثرة الأنهار والأشجار، ولأن أكثر الأنبياء يبعثون منها .

روي أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما يوم وليلة .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(٧٢) .

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولده لصلبه بدعائه حيث قال : ﴿هَبْ لِي مِنْ

الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠] ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة من غير سؤال .

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يعنى إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٧٣) .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٦٨/٣) .

جنة السنة

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ يقتدى بهم في الخير^(١) ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾

يدعون الناس إلى ديننا. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (أُمَّةً) بهمزتين محقتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين، وروي عنهم وجه: أنها تجعل ياء خالصة مكسورة تخفيفاً لاستثقالهم تحقيق همزتين في كلمة واحدة، وأبو جعفر يدخل بينهما ألفاً مع تسهيل الثانية، وهشام راوي ابن عامر روى عنه المد مع تحقيق الهمزة الثانية^(٢).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ المحافظة عليها، وحذفت الهاء من (إقامة)؛

لإضافتها إلى الصلاة.

﴿وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ﴾ إعطاءها ﴿وَكَاوُنَا عَابِدِينَ﴾ موحدين.

﴿وَلَوْطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْغَبْثِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْطًا﴾ سمي بذلك؛ لأن حبه ليط بقلب إبراهيم؛ أي: تعلق

ولصق، وكان عمه إبراهيم يحبه حباً شديداً، وهو ممن آمن به وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام.

﴿ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة وفصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا﴾ بما ينبغي علمه

(١) «يقتدى بهم في الخير» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٢-١٤٣).

جنة السنة

للأنبياء عليهم السلام ﴿ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ ﴾ سدوم .

﴿ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ ﴾ أي : يعمل أهلها .

﴿ الْخَبِيثَاتِ ﴾ إتيان الرجال ، وقطع السبل ، والمكس ، وغير ذلك من

المعاصي .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴾ بعملهم الخبائث .

﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ أي : في أهل رحمتنا .

﴿ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى ﴾ دعا على قومه ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : من قبل إبراهيم

ولوط ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ الغرق ،
وتكذيب قومه .

﴿ وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿ وَنَصْرَنَاهُ ﴾ منعناه ﴿ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أن يصلوا إليه

بسوء .

جنة السنة

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لاجتماع الأمرين: تكذيب الحق، والانهماك في الشر؛ لأنهما لم يجتمعا في قوم إلا أهلكتهم الله.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [٧٨].

[٧٨] ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: اذكرهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ كان زرعاً أو كرمًا ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ﴾ دخلت فيه ﴿غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ فأكلته، والنفش: انتشار الغنم ليلاً بلا راع، وأصله الانتشار.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أي: عالمين، لا يخفى علينا علمه، جمع اثنين فقال: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ وهو يريد داود وسليمان؛ لأن الاثنين جمع، وهو مثل قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] وهو يريد: أخوين، وقيل: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين، وأقل الجمع ثلاثة حقيقة بالاتفاق.

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [٧٩].

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وعلمناه القضية.

فيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان؛ لأن الغنم رعت الزرع بلا راع ليلاً، فتحاكما إلى داود، فحكم لصاحب الزرع بالغنم، فقال سليمان: غير هذا أرفق بهما، وكان سنه إحدى عشرة سنة، فعزم عليه داود بالأبوة

جنة السنة

والنبوة ليحكمن بينهما، فدفعت الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بديرها ونسلها وصوفها، وإلى صاحب الغنم الحرث يصلحه، فإذا عاد كحاله حين هلك، ترادا، فقال له: القضاء ما قضيت، هذا كان في شريعتهم.

وأما في شريعتنا، فما أفسدته البهائم من الزرع والشجر وغيرهما نهاراً بلا راع، فلا ضمان على ربها عند مالك والشافعي وأحمد، وما أفسدته ليلاً، ففيه الضمان عندهم إن فرط، وإلا، فلا؛ لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار، وترد بالليل إلى المراح.

وعند أبي حنيفة: لا ضمان في ذلك في ليل ولا نهار، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، إلا أن ترسل عمداً.

واختلفوا فيما أتلقت من الأنفس والأموال سوى الزروع والثمار، فقال مالك: لا ضمان على ربها في ليل ولا نهار، وقال الشافعي: يضمن ما أتلقت من نفس ومال إذا كان معها ليلاً أو نهاراً، فإن بالت أو راثت بطريق، فتلف به نفس أو مال، فلا ضمان عليه، وقال أبو حنيفة وأحمد: إذا كانت في يد راكب أو سائق أو قائد، فيضمن ما جنت يدها أو فمها، أو وطؤها برجلها، وقيد أحمد بما [إذا كان قادراً على التصرف فيها، ولا يضمن عندهما ما نفحت برجلها، وقيد أحمد^(١) بما إذا لم يكبحها؛ أي: يجد بها زيادة على المعتاد، أو يضربها على وجهها، ولا يضمن عندهما ما جنت بذنبها، والله أعلم.

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

جنة السنة

وكان حكم داود وسليمان - عليهما السلام - بوحى عند بعض، ومنع الأنبياء من الاجتهاد؛ لاكتفائهم بالوحى، فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود باجتهاد عند بعض؛ ليدركوا فضيلة المجتهدين، وجوز الخطأ عليهم؛ لأن المجتهد لا يقدر على إصابة الحق في كل حادثة، وأما العلماء، فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة، وإذا أخطأوا، فلا إثم عليهم.

وتقدم ذكر مذاهب الأئمة في جواز اجتهاد النبي ﷺ في أمر الدنيا، وحكم المجتهدين بعده في سورة التوبة عند ذكر قصة حنين، ومما يوضح أن داود وسليمان كانا على الصواب قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: داود وسليمان.

﴿ءَأَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الفهم في القضاء والنبوة.

قال الحسن: لولا هذه الآية، لرأيت الحكام قد هلكوا، ولكن الله تعالى حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده^(١).

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يقصدن الله تعالى معه.

﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على الجبال.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قادرين على المذكور من التسبيح والتفهيم، وكان

داود يفهم تسبيح الحجر والشجر، وكانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.

(١) انظر: «الأم» للإمام الشافعي (٩٣/٧)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١١٨/١٠).

جنة السنة

﴿وَعَلَّمَنَّهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿وَعَلَّمَنَّهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ دروع ﴿لَّكُمْ﴾ واللبوس في اللغة: اسم لكل ما يُلبس في الأسلحة، والمراد: الدروع؛ لأنها كانت من صفائح، فهو أول من سردها وحلقها؛ لتجتمع الخفة والحصانة.

﴿لِنُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ﴾ أي: يحرزكم من الحرب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بالتاء على التانيث، يعني: الصنعة، ورواه أبو بكر، ورويس عن يعقوب: بالنون إلى الله تعالى لقوله: ﴿وَعَلَّمَنَّهُ﴾، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير؛ أي: داود^(١).

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ نعمتنا عليكم؟ خطاب لداود وأهل بيته، وقيل: لأهل مكة، فهل أنتم شاكرون نعمتي بطاعة الرسول؟

﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ (٨١).

[٨١] ﴿وَلَسَلِيمَنَّ﴾ أي: وسخرنا لسليمان ﴿الرِّيحَ﴾ وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحس بحركته، وتذكر وتؤنث. قرأ أبو جعفر: (الرِّيحَ) بألف بعد الياء على

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٦٧٣/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٤/٤).

جنة السنة

الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد^(١) ﴿عَاصِفَةً﴾ قوية.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، فكانت تسير به وبجنده على البساط، وكان عرضه فرسخاً في فرسخ، منسوج بإبريسم، عملته له الجن - حيث شاء، ثم يعود من يومه إلى منزله، وكان يقبل بمكان بينه وبينه شهر، ويمسي بآخر بينه وبينه شهر، وكان يغدو من إيلياء فيقبل بإصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل، وكان مقامه بتدمر، بناها له الشياطين بالصَّفَّاح والعمد وألوان الرخام.

﴿وَكُنَّا يَكُلُّ شَيْءٍ﴾ علمناه.

﴿عَلَمِينَ﴾ بصحة التدبير فيه، فنفعل مقتضى الحكمة.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾
﴿وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: وسخرنا منهم ﴿مَن يَغْوُونَ لَهُ﴾ في البحر لاستخراج الدر ونحوه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: سواء من الأعمال.

﴿وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ﴾ لئلا يعصوه، ولئلا يفسدوا عملهم، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل، أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٥).

جنة السنة

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

[٨٣] ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي: واذكره ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده، وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين، مؤدياً لحق الله، شاكراً لأنعم الله، وتقدم ذكر نسبه في سورة النساء، وكان صاحب أموال عظيمة، وكانت له الثنية جميعها من أعمال دمشق ملكها، فابتلاه الله تعالى بأن أذهب أمواله حتى صار فقيراً، ثم ابتلاه في جسده حتى تجذم ودود، وبقي رميماً على مزبلة لا يطيق أحد أن يشم رائحته^(١)، ورفضه كل الناس غير زوجته رحمة بنت أفرايم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام؛ فإنها استمرت صابرة تخدمه حتى باعت ظفيرتها بشيء أكله، فتزايا لها إبليس، وقال لها: اسجدي لي لأرد مالكم، فاستأذنت أيوب، فغضب وحلف ليضربنها مئة، ثم عافاه الله تعالى بعد ثلاث سنين، أو سبع، ورزقه، ورد على امرأته شبابها وحسنها، وولدت له ستة وعشرين ذكراً،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٠٥/١٨) عن الحسن، وذكره البغوي في «تفسيره» (١٧٦/٣-١٧٩) في خبر طويل، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٨٥/٧). ومعلوم أن الله تبارك وتعالى حمى أنبياءه - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - من كل ما ينفر، وعصمهم من مثل ما روي عن سيدنا أيوب - عليه السلام - . قال العلامة جمال الدين القاسمي في «محاسن التأويل» عند تفسيره لهذه الآية: إن أسانيدنا مختلفة واهية، لا يقام لها وزن. وقال صاحب «أضواء البيان» (٢٣٩/٤): كل ذلك من الإسرائيليات، وغاية ما دلَّ عليه القرآن أن الله سبحانه ابتلى أيوب، وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كلَّ ضرر، ووهبه أهله ومثلهم معهم .

جنة السنة

ولما عوفي، أمره الله أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مئة شمراخ، فيضرب به زوجته رحمة؛ ليبر في يمينه، ففعل، وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب، وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ﴿أَيُّ﴾ أي: بأني ﴿مَسْنَى الضَّرِّ﴾ أي: الضرر والشدة. قرأ حمزة: (مَسْنَى الضَّرِّ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١) ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ وشكواه لم تخرجه عن الصبر، ولذلك وصف بالصبر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]؛ لأنها إلى الخالق بأوجز عبارة، وألطف إشارة إلى أنه تعالى أهل أن يرحم، وأيوب أهل أن يرحم، وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه؛ لیسمع تضرعه»^(٢).

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَعَآتَيْنَهُمْ أَهْلَهُمْ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾^(٨٤).

[٨٤] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَعَآتَيْنَهُمْ أَهْلَهُمْ﴾ أولاده، روي أن الله تعالى أحياهم ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ آتاه الله مثلهم. ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ لأيوب ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ عظة للمطيعين؛ ليصبروا كصبره، فيثابوا كثوابه، وتأتي تنمة قصته في سورة (ص) إن شاء الله تعالى.

سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٦).
 (٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» (١/٢٣٩)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/١٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٩٧٠)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

جنة السنة

فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(١).

﴿وَأَسْمَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٨٥).

[٨٥] ﴿وَأَسْمَعِيلَ﴾ يعني: ابن إبراهيم.

﴿وَإِدْرِيسَ﴾ تقدم ذكره في سورة مريم.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ هو بشر بن أيوب، بعثه الله بعد أبيه، وسماه ذا الكفل، وكان مقامه بالشام، وقبره في قرية كفل حارس من أعمال نابلس، وسمي بذلك؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى، فشكر الله له، ونبأه، فسمي ذا الكفل.

﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على أمر الله.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٨٦).

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ يعني: النبوة.

﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح؛ فإن الأنبياء صلاحهم معصوم عن كدر الفساد.

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٢٣)، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٨١)، والإمام أحمد في المسند (١٧٢/١)، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

جنة السنة

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ أي: اذكر صاحب الحوت، وهو يونس بن متى عليه السلام، سمي به لابتلاع النون إياه، وهو الحوت.

﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ﴾ غضب على قومه لكفرهم، لا مغاضباً لربه؛ إذ مغاضبة الله معادة له، ومعادة الله كفر لا تليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء؟!

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ ﴾ أي: نُضَيِّقُ ﴿ عَلَيْهِ ﴾ قراءة العامة: بالنون مفتوحة وكسر الدال، وقرأ يعقوب: بالياء مضمومة وفتح الدال مخففة على المجهول^(١).

﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ بطن الحوت والبحر والليل ﴿ أَنْ ﴾ أي: بأن ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ بمغاضبتي، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٨٨-١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١/١٧٠)، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - .

جنة السنة

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٨] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾ أجنبناه ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ من تلك الظلمات .

﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من كل كرب إذا استغاثوا بنا. قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُجِّي) بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء، على معنى: (نُنَجِّي)، ثم حذفت إحدى النونين تخفيفاً، كما جاء عن ابن كثير وغيره قراءة (وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا) في الفرقان [الآية: ٢٥]، قال الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوامح»: ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ على حذف النون الذي هو فاء الفعل من (نُزِّلَ). قراءة أهل مكة ووجه النصب في المؤمنين: أن المصدر قام مقام الفاعل، فبقي الـ(المؤمنين) مفعولاً به صريحاً، تقديره: نجى النجاء المؤمنين، ونظيره ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ على قراءة أبي جعفر في الجاثية [الآية: ١٤]؛ أي: ليجزي الجزاء قوماً، وقرأ الباقون: بنونين، الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم مستقبل أنجينا، وقد اعترض الزمخشري وغيره على قراءة ابن عامر وأبي بكر، وزعموا أنها لحن، فرد الكواشي اعتراضهم، وبين وجه الصحة فيها، وأشبع الكلام في ذلك^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٠)، و«الكشف» لمكي (١١٣/٢)، و«تفسير البغوي» (٣/١٨٩-١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٧).

جنة السنة

وتقدم ذكر يونس عليه السلام، ووفاته، ومحل قبره في سورة النساء [الآية: ١٦٣]، وتقدم طرف من ذكر قصته في سورة يونس [الآية: ٩٨]، ولندكر في هذا المحل باقياً باختصار، فنقول وبالله التوفيق: يونس بن متى عليه السلام، قيل: إنه من بني إسرائيل، وإنه من سبط بنيامين، وتزوج بنت رجل من الأولياء اسمه زكريا كان مقيماً بالرملة، فأقام يونس عنده، ثم بعد وفاة زكريا، توجه إلى بيت المقدس يعبد الله تعالى، وكانت بعثته في أيام يوثم بن عزيّا هو أحد ملوك بني إسرائيل، وبعثه الله إلى أهل نينوى قبالة الموصل، بينهما دجلة، وكانوا يعبدون الأصنام، فنهاهم ووعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربه - عز وجل -، وخرج يونس من بين أظهرهم، فلما أظلمهم العذاب، آمنوا، فكشفه الله عنهم كما تقدم في سورة يونس، وجاء يونس لذلك اليوم، فلم ير العذاب حل بهم، ولا علم بإيمانهم، فذهب مغاضباً، ودخل في سفينة من سفن دجلة، فوقفت السفينة ولم تتحرك، فقال رئيسها: فيكم من له ذنب، فتساهموا على من يلقونه في البحر، فوقعت المساهمة على يونس، فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به إلى الأيكة، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به.

وملخص قصته: أن الحوت التقمه، فكان يونس يسجد على قلب الحوت، والحوت يقول: يا يونس! أسمعني تسبيح المغمومين، وهو يقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فتقول الملائكة: «إلهنا! إنا نسمع تسبيح مكروب، كان لك شاكراً، اللهم فارحمه في كربته وغرْبته»، واختلف في مدة لبثه، فمنهم من قال: أربعين يوماً، وقيل: ثلاثة أيام، فلما انقضت مدة قدرها الله تعالى له، أمر الحوت أن يرده إلى الموضع الذي أخذه منه، فشق ذلك على الحوت؛ لاستئناسه بذكر الله

جنة السنة

تعالى، فقيل له: اقدفه، فقدفه في الساحل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّنَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ١٤٥]، وخرج يونس مثل الفرخ المتتوف^(١)، وقد ذهب بصره، وهو لا يقدر على القيام، فأنتب الله شجرة من يقطين لها أربعة آلاف غصن، فكانت فراشه وغطاءه، وأمر الله الظبية فجاءته وأرضعته حتى قوي، وهبط جبريل - عليه السلام -، فسلم عليه، وأمر يده على رأسه وجسده، فأنتب الله لحيته، ورد عليه بصره، وأوحى الله إليه بإيمان قومه حين رأوا العذاب، ثم هبط إليه ملك، ودفع إليه حلتين، وقال: سر إلى قومك؛ فإنهم يتمنونك، فاتزر بواحدة، وارتدى بأخرى، وسار يونس - عليه السلام -، فاجتمع بزوجته وولديه قبل وصوله إلى قومه، ثم وصل الخبر إلى قومه، فوثب الملك عن سريره، وخرجوا كلهم إلى يونس - عليه السلام -، وسلموا عليه، وفرحوا به، وحملوه إلى المدينة، وأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر إلى أن توفاه الله تعالى، وفي قصته خلاف بين المفسرين والمؤرخين، والله أعلم.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩].

[٨٩] ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى﴾ دعا.

﴿رَبِّ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ بلا ولد يرثني.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٥٩/٧)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٨)، و«العقوبات» (١٧١) عن عبد الله بن مسعود، ولم يرفعه، بلفظ: «كهية الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش» ولم أقف على باقيه، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر: (٢١٢/١٠).

جنة السنة

﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ خير من يبقى بعد من يموت . واختلاف القراء في الهمزتين من (زَكَرِيَّا إِذْ) كاختلافهم فيهما في أول سورة مريم .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (٩٠)

[٩٠] ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾ ولداً .

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ ﴾ بتحسين خلقها وخلقها، وجعلها ولوداً بعد العقم ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي : مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

﴿ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ يبادرون في عمل الطاعات .

﴿ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا ۗ ﴾ طمعاً وخوفاً .

﴿ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ متواضعين ذللاً . قرأ الدوري عن الكسائي :

(يُسَارِعُونَ) بالإمالة، وأمال أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف : (مُوسَى) و(عِيسَى) و(يَحْيَى) حيث وقع (١) .

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩١)

[٩١] ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ منعتة مما لا يحل، وهي مريم بنت

عمران .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣١١-٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٨) .

جنة السنة

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها، فأجرينا فيها روح عيسى - عليه السلام - المخلوقة .

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ دلالة على كمال قدرتنا حمل امرأة بلا مساسة ذكر، وكون ولد من غير أب، ووحيد الآية، ولم يقل: آيتين؛ لأن معنى الكلام: وجعلنا شأنهما آية؛ لأن الآية فيهما واحدة .

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الأمة: الملة، و(هذه) إشارة إلى الإسلام، فأبطل ما سواه من الأديان، و(أمتكم) رفع خبر (إن)، و(أمة واحدة) نصب حال .

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ قرأ يعقوب: (فاعبُدوني) بإثبات الياء^(١) .

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَارِجِعُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ .

[٩٣] ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة فقال: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا في الدين، فصاروا فرقا. ﴿كُلُّ إِلَيْنَارِجِعُونَ﴾ فنجازيه .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٩٤) .

جنة السنة

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِءَ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِءَ ﴾ لا يجحد عمله ﴿ وَإِنَّا لَهُ ﴾ للسعي ﴿ كَاتِبُونَ ﴾ في صحيفة عمله، فثيبه عليه.

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٩٥﴾ .

[٩٥] ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: وحرام على أهل قرية حكمنا بإهلاكهم أن تقبل أعمالهم؛ لأنهم لا يرجعون عن كفرهم، وقيل: المعنى: حرام عليهم الرجوع إلى الدنيا بعد الهلاك. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (وَحَرْمٌ) بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون: بفتح الحاء والراء وألف بعدها، ومعناها واحد؛ لأنهما لغتان مثل حِلِّ وحلال^(١).

﴿ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي: فتح سدهما. قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (فُتِّحَتْ) بالتشديد على التكرير،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٠).

جنة السنة

والباقون: بالتخفيف^(١)، وتقدم تفسير يأجوج ومأجوج، واختلاف القراء فيهما في سورة الكهف^(٢).

﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ هو المكان المرتفع ﴿يَنْسَلُونَ﴾ يسرعون.

﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُؤَيَّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٩٧).

[٩٧] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ مرتفعة الأجفان ﴿أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلا تكاد تطرف؛ لهول ما ترى، يقولون:

﴿يُؤَيَّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم.

﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَرِدُونَ﴾^(٩٨).

[٩٨] ونزل خطاباً لعبادي الأصنام وإيليس وأتباعه:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٣/١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥١).

(٢) عند تفسير الآية (٩٤) منها.

جنة السنة

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ما يُرمى به فيها

للقود.

﴿ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ فيها داخلون.

﴿ لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٩٩).

[٩٩] ثم وبخهم، وأخبرهم أن آلهتهم يدخلون النار بقوله: ﴿ لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ ﴾؛ أي: الأصنام ﴿ءِ إِلَهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلهاً.

﴿ وَكُلٌّ ﴾ من العابد والمعبود منهم ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا خلاص لهم منها. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (هتؤلاء إلهة) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل ياء (١).

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٠٠).

[١٠٠] ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ أنين وتنفس شديد.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ شيئاً؛ لشدة غليان النار، ولما بهم من الألم، ومنعوا السمع؛ لأن فيه (٢) أنساً.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٣).

(٢) في «ت»: «فيها».

جنة السنة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ .

[١٠١] ولما سمع عبد الله بن الزبيرى السهمي ذلك، قال للنبي ﷺ: أليس اليهود عبدوا عزيزاً، والنصارى المسيح، وبنو مليح الملائكة؟ فنزل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ﴾ ^(١) المنزلة ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ السعادة؛ يعني: عزيزاً والمسيح والملائكة.

﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ وأنزل في ابن الزبيرى: ﴿ مَا صَرِيحُكَ إِلَّا جَدًّا بَلَّ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ .

[١٠٢] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ صوتها الخفي إذا دخلوا الجنة .
﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ ﴾ من النعيم ﴿ خَالِدُونَ ﴾ مقيمون .

﴿ لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنَتَلَقَاهُمْ أَلْمَلَكَةُ هَذَا يَوْمَ كُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ .

[١٠٣] ﴿ لَا يَخْزَنُهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر: بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي ^(٢) ﴿ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ النفخة الآخرة

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدى (ص: ١٧٤-١٧٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٣).

جنة السنة

﴿وَنَلَقَهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ تستقبلهم عند باب الجنة مهئين يقولون لهم:
﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة والثواب.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدَّاءِ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ وطيها: تكوير نجومها، ومحو رسومها. قرأ أبو جعفر: (تَطْوَى) بالتاء وضمها على التأنيث وفتح الواو ورفع (السَّمَاءُ) على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: بالنون مفتوحة على التعظيم وكسر الواو ونصب (السَّمَاءُ)^(١).

﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (لِلْكَتُبِ) بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون: بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الأفراد^(٢)، و(السِّجِلِّ) الصحيفة (للكتب)؛ أي: لأجل ما كتب، معناه: كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل: اسم مشتق من المساجلة، وهي المكاتبة، والطي: هو الدرج الذي ضد النشر، ثم أوماً إلى تبديل السماء فقال:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ نرده مثل أول خلقه، وأول خلقه إيجاد

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٥).

جنة السنة

عن عدم، والخلق هنا يعم جميع الخلائق، المعنى: كما أوجدناه عن عدم،
فكذلك نعيده عند البعث عن عدم.

﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾ مصدر مؤكد؛ لأن نعيده عدة بالإعادة.

﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ ذلك.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ وفي جميع الكتب المنزلة. قرأ
حمزة، وخلف: (الزَّبُور) بضم الزاي، والباقون: بفتحها^(١).

﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي: اللوح المحفوظ؛ لأنها كلها أخذت منه ﴿أَنَّ
الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، أو الأرض المقدسة.

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هو محمد ﷺ وأمه، يفتحون أرض
الكفار، ويدخلون الجنة. قرأ حمزة: (عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) بإسكان الياء،
والباقون: بفتحها^(٢).

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ لكفاية.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص:

٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٥).

جنة السنة

﴿لَقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ عاملين ، وهم أمة محمد ﷺ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) .

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ جميعاً ، فهو رحمة للمؤمن

في الدارين ، وللكافر في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسح ونحوه .

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٨) .

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ منزه عما

لا يليق بصفات الوجدانية ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: آمنوا بالمذكور .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓٓٓ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ (١٠٩) .

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم .

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ فاستوبنا في العلم بما أعلمتكم به ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓٓٓ﴾ وما أعلم .

﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أعلم متى يحل بكم العذاب ، وهو (١) أهول وأخوف .

(١) في «ت»: «وهذا» .

جنة السنة

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ .

[١١٠] ﴿ إِنَّهُ ﴾ الضمير عائد إلى الله عز وجل ﴿ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ وفي هذه الآية تهديد؛ أي: يعلم جميع الأشياء الواقعة منكم، وهو بالمرصاد في الجزاء عليها.

﴿ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنَعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ﴿١١١﴾ .

[١١١] ﴿ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ ﴾ أي: تأخير العذاب عنكم .
﴿ فِتْنَةً لَّكُمْ ﴾ أي: اختبار؛ ليرى كيف صنيعكم، وهو أعلم .
﴿ وَمَنَعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: تمتعون إلى انقضاء آجالكم .

﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ .

[١١٢] ﴿ قُلْ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (قَالَ) بالألف إخبار عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغير ألف على الأمر^(١)؛ أي: أمره الله تعالى أن يقول على جهة الدعاء: ﴿ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴾ وقرأ أبو جعفر: (رَبُّ) بضم الباء، وقال ابن الجزري: ووجهه أنه لغة معروفة جائزة في نحو يا غلامي تنبيهاً على الضم، وأنت تنوي الإضافة، وليس ضمه على أنه منادى مفرد؛ كما ذكره أبو الفضل الرازي؛ لأن هذا ليس من نداء النكرة المقبل عليها،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/١٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٥٦).

جنة السنة

وقرأ الباقون: بكسر الياء اكتفى بها عن الياء^(١)، ومعنى ﴿أَحْكُمُ﴾: افضل بيني وبين مكذبي بالعذاب، فالحق بمعنى العذاب هنا، فعذبوا يوم بدر، وقرأ زيد عن يعقوب: (رَبِّي) بالياء (أَحْكَمُ) بقطع الألف وفتح الكاف ورفع الميم على وزن أفعل على الابتداء والخبر من الإحكام^(٢).

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الكذب والباطل. قرأ الدوري عن ابن ذكوان: (يَصِفُونَ) بالغيب، وقرأ الباقون: بالخطاب^(٣)، والله أعلم.

* * *

-
- (١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٦/٤).
- (٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٧/٤)، وهذه القراءة ليست متواترة عن يعقوب.
- (٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٧/٤).



قال الجمهور: هي مختلطة، منها مكّي، ومنها مدني، قال ابن عطية: وهذا هو الأصح^(١)، والله أعلم؛ لأن الآيات تقتضي ذلك، وآيها: ثمان وسبعون آية، وحروفها: خمسة آلاف ومئة وخمسة وسبعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

عَظِيمٌ﴾.

[١] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أطيعوه، وهذا تحذير لجميع

العالم.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ حركتها الشديدة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ لا يوصف

لعظمته، والزلزلة: التحريك العنيف، وزلزلة الساعة: هي كالمعهود في الدنيا، إلا أنها في غاية الشدة، واختلف فيها، فقال الجمهور: هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة، وقيل: هي في القيامة على

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٠٥/٤).

جنة السنة

جميع العالم . قرأ أبو عمرو (السَّاعَةَ شَيْءٌ) بإدغام التاء في الشين^(١) .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ﴿٢﴾ .

^١ [٢] ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ يعني : الزلزلة ﴿ تَذْهَلُ ﴾ تشغل ﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ من الولد، فتترك إرضاعه في حال إلقامه ثديها؛ لشدة الأمر .
﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ ﴾ أي : حبلها ﴿ حَمْلَهَا ﴾ ولدها قبل تمامه، والحمل - بالفتح - : ما تحمله الإناث، و- بالكسر - : ما يحمل على الظهر والرأس، والتلاوة بالأول، وهذا دليل لمن قال : إن الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن بعد البعث لا يكون حبل، ومن قال : هي في القيامة، جعل ذلك تهويلاً لشأنها، يعني : لو فرض ثمَّ حامل، لوضعت .

﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ ﴾ تشبيه لهم من الخوف . قرأ أبو عمرو : (النَّاسَ سُكَارَى) بإدغام السين في السين^(٢) ﴿ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ ﴾ الشكر الحقيقي الذي هو من الخمر . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف : (سُكَرَى) بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيها . وقرأ الباقر : بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها، وهما لغتان لجمع السكران؛ مثل : كَسَلَىٰ وكُسَالَى^(٣)، وقرأ

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٦١) .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٣٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٠٠)، =

جنة السنة

أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالإمالة فيهما، واختلف عن ورش وابن ذكوان في الإمالة والفتح^(١).

﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم، وأذهب

تميزهم.

﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ

مَّرِيدٍ ﴿٢﴾ .

[٣] وكان النضر بن الحارث كثير الجدل في الله تعالى بالباطل، يقول:

الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وينكر البعث وإحياء من صار تراباً، فنزل فيه: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ ﴾^(٢) في جداله ﴿ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ عاتٍ مستمر في الشر.

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ

السَّعِيرِ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴾ قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ ﴿ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ﴾ تبعه.

﴿ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ لأن من شأنه الإضلال ﴿ وَيَهْدِيهِ ﴾ يدعوه.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٦٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٦٦)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٨).

جنة السنة

﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ بما يزين له من الباطل، والهاء في (عليه)، وفي (فأنه) للشيطان، وفي (يضله) لمتوليه، وفي معنى قوله تعالى: ﴿كُنِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: من أعان ظالماً، سُلِّطَ عليه.

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوَفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

[٥] ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ الْبَعْثِ﴾ أي: إن ارتبتم في البعث، فاستدلوا على صحته ببدء خلقكم.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ يعني: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني، خلقتم أنتم منها ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم جامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾ لحمة صغيرة قدر ما تمضغ، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً، ثم تصير لحماً.

﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق.

﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ النطفة قبل أن تصور، وهي ما تمجه الأرحام، وما يعني السقط ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ قدرتنا على البعث. ﴿وَنُقِرُّ﴾ نثبت ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ ثبوته.

جنة السنة

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت الولادة. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس: (نَشَأُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصة مكسورة، وهو قول جمهور القراء المتقدمين، وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجه في القياس، وقرأ الباكون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين^(١).

واتفق الأئمة على أن الأمة تكون أمّ ولد بما أسقطته من ولد [تام الخلق، وتكون عند مالك أم ولد]^(٢) بالعلقة والمضغة، سواء كانت مخلقة أو غير مخلقة، وعند أبي حنيفة: إن كان قد تبين له شيء من خلق بني آدم؛ كإصبع أو عين أو غير ذلك، فهي به أم ولد، وعند الشافعي وأحمد: إذا وضعت ما فيه صورة، ولو خفية، صارت أم ولد.

واتفقوا على أن المولود إذا استهل صارخاً، غسل وصلي عليه، فإن لم يستهل صارخاً، لم يصل عليه عند الثلاثة، وعند أحمد: إذا ولد السقط لأكثر من أربعة أشهر، غسل، وصلي عليه.

﴿ثُمَّ نَخَّرُكُمْ﴾ من الرحم ﴿طِفْلاً﴾ اسم جنس؛ أي: أطفالاً.

﴿ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ كمال عقلكم وقوتكم.

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُوَفِّقُ﴾ قبل بلوغ الكبر.

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أخسه، وهو الخرف.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٦٥).

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من «ش».

حنة السنة

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ ﴾ عَلِمَهُ قَبْلَ ﴿ شَيْئًا ﴾ أَي: لِيُنْسِيَ مَعَارِفَهُ وَعِلْمَهُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، فَلَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا.

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ يَابَسَةً ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ﴾ الْمَطْرَ ﴿ أَهْتَزَّتْ ﴾ تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ ﴿ وَرَبَّتْ ﴾ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ (وَرَبَّاتٌ) بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ الْبَاءِ؛ أَي: ارْتَفَعَتْ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ؛ أَي: انْتَفَخَتْ^(١).

﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ نَوْعٍ.

﴿ بِهَيْجٍ ﴾ حَسَنٌ، فَهَذَا دَلِيلٌ آخَرَ عَلَى الْبَعْثِ.

﴿ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أَي: الْمَذْكُورُ، مَبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أَي:

لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾.

[٧] ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ بِمَقْتَضَى

وَعَدِهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْخَلْفَ.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ

مُنِيرٍ ﴾.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٠٢). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٦٧).

جنة السنة

[٨] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعني: النضر بن الحارث،

وكرر الآية ردعاً للجاهل وتوبيخاً؛ لأنه يجادل بظن من غير تحقيق.

﴿ وَلَا هُدًى ﴾ ليس معه من ربه رشاد ولا برهان.

﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ واضح.

﴿ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ مُّبِينٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١)

[٩] ﴿ ثَانِي عَطْفِهِ ﴾ لا وياً جانبه متكبراً ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيُضِلَّ) بفتح الياء على اللزوم، وقرأ الباقون: بالضم (١)؛ أي: ليضل هو الناس.

﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ مُّبِينٌ ﴾ عذاب وهوان، فقتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط ببدر صبراً ﴿ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ وهو النار.

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (١٠)

[١٠] ويقال له: ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: النازل بك.

﴿ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ﴾ من العمل.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ إنما هو مُجَازٍ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٨/٤).

جنة السنة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١١).

[١١] ونزل فيمن دخل في الإسلام من غير اعتقاد صحته: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ (١) أي: شك واضطراب، وأصله من حرف الشيء، وهو طرفه، نحو حرف الجبل، فقليل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف؛ لأنه على طرف وجانب في الدين، لم يدخل فيه على الثبات والتمكن؛ كالقائم على حرف الجبل، مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف؛ لضعف قيامه.

﴿ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ سكن إليه ﴿ وَإِنِ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ ﴾ اختبار بجذب وعسرة ﴿ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ رجع إلى الكفر ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا ﴾ بفوات ما كان يؤمله ﴿ وَالْآخِرَةَ ﴾ بخلوده في النار. قرأ روح، وزيد عن يعقوب: (خَاسِرَ) بإثبات الألف بعد الخاء على وزن فاعل، وخفض (الْآخِرَةَ) (٢).

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ الضرر الظاهر.

(١) روى البخاري (٤٤٦٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٧٥/٢)، و«تفسير البغوي» (٢٠٤/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٨/٤)، وليست هذه القراءة هي المتواترة عن يعقوب.

جنة السنة

﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿ يَدْعُوا ﴾ يعبد ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ ﴾ إن لم يعبد.

﴿ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ﴾ إن عبده.

﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ عن الهداية الذاهب عن الحق.

﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ يَدْعُوا ﴾ تكريماً تأكيداً لكفره ﴿ لِمَنْ ضَرُّهُ ﴾ بكونه معبوداً؛ لأنه يوجب القتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة ﴿ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ الذي يتوقع بعبادته، وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى. و(اللام) في قول الكسائي مقدمة في غير موضعها، و(مَنْ) في موضع نصب، و(ضَرُّهُ) مبتدأ، و(أَقْرَبُ) خبره، والجملة صلة (مَنْ)، وخبر (مَنْ) محذوف، والتقدير: يقول لمن ضره أقرب من نفعه آلهة، والمعنى: أنه يضر ولا ينفع.

﴿ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ ﴾ الناصر ﴿ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾ صاحب المعاشر.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿ من إثابة الموحّد، وعقاب المشرك.

جنة السنة

﴿ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ولما ظن الكفار أن محمداً ﷺ لن يُنصر، نزل: ﴿ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ^(١) المعنى: أن الله ينصر نبيه، فمن ظن خلافه.

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فليشدد حبلاً في سقف بيته ﴿ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ﴾ ليختنق به فيموت. قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش عن نافع، ورويس عن يعقوب: (لِيَقْطَعْ) بكسر اللام؛ لأنها لام أمر أصلها الكسر، كما لو ابتداء بها، ولا اعتداد بحرف العطف، والباقون: بإسكانها تخفيفاً ^(٢)، واعتداداً بحرف العطف مبتدأ به.

﴿ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ تلخيصه: هل يذهب فعله غيظه؟! وهذا مبالغة في الزجر؛ كما يقال للعدو: إن لم ترض، فاختنق، ومث غيظاً، وإلا، فلا نظر بعد الموت.

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك؛ يعني: ما تقدم من آيات القرآن.

﴿ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ ﴾ أي: وأنزلنا أن ﴿ اللَّهُ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴾ هدايته.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٠٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٦)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٤/١٦٩).

جنة السنة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ
 أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 شَهِيدٌ ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على الحقيقة ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ يعني: اليهود،
 سموا به؛ لقولهم: ﴿ إِنَّا هُدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: ملنا إليك، وقيل:
 لأنهم هادوا؛ أي: تابوا عن عبادة العجل، وقال أبو عمرو بن العلاء:
 لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات
 والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة.

﴿ وَالصَّابِئِينَ ﴾ جمع صابئ، أصله الخروج، يقال: صبأ فلان: إذا خرج
 من دين إلى دين آخر، وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية، وعبدوا
 الملائكة، ويستقبلون القبلة، ويوحدون الله تعالى، ويقرؤون الزبور. قرأ
 نافع، وأبو جعفر: (وَالصَّابِئِينَ) (وَالصَّابُونَ) بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).
 ﴿ وَالنَّصْرِيَّةَ ﴾ سموا به لقولهم: ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقيل:
 لأنهم نزلوا قرية يقال لها: ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصره قرية كان
 ينزلها عيسى عليه السلام.

﴿ وَالْمَجُوسَ ﴾ هم عبدة النار والشمس والقمر.

﴿ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ هم عبدة الأوثان، قال قتادة: الأديان ستة: خمسة
 للشيطان، وواحد للرحمن^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٧/١)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٠/٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١٦/٦).

جنة السنة

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يحكم بين الفرق المذكورة،
فيدخل الكافر النار، والمؤمن الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ عالم به .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ
عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ قال مجاهد: سجود هذه
الأشياء بظلالها^(١)، وقيل: المراد بسجود من ليس من أهله: انقياده لما
أريد منه .

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني: المسلمين ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ بترك
السجود، وهم الكفار، وهم مع كفرهم تسجد ظلّاهم لله عز وجل .

﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ﴾ أي: يهينه الله بالشقاوة .

﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ يكرمه بالسعادة، المعنى: من يُذِلُّه الله تعالى، فلا
مُعزَّ له .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإكرام والإهانة بإرادته ومشيتته، وهذا
محل سجود بالاتفاق .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠٦/٣) .

جنة السنة

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رِيحٍ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (١٩).

[١٩] ونزل في حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث حين برزوا ببدر إلى عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ (١) أي: طائفتان. قرأ ابن كثير: (هَذَانُ) بالمد وتشديد النون، والباقون: بالتخفيف (٢)، والخصم: مصدر يعم المفرد والجمع، والذكر والأنثى، فلذلك قال:

﴿ أَخَصَمُوا ﴾ رداً إلى المعنى ﴿ فِي رِيحٍ ﴾ في دينه.

﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ ﴾ هيئت.

﴿ لَهُمْ ثِيَابٌ ﴾ يلبسونها ﴿ مِّنْ نَّارٍ ﴾ وسمي ما يتخذ من النار ثياباً؛ لإحاطته باللباس كالثوب ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ الماء البالغ نهاية الحر. قال ابن عباس: لو سقطت قطرة منه على جبال الدنيا، لأذابتها (٣).

﴿ يُصْهَرُ بِهِءٌ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿ يُصْهَرُ بِهِءٌ ﴾ يذاب بالحميم المسكوب على رؤوسهم.

(١) رواه البخاري (٣٧٤٨)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، ومسلم (٣٠٣٣)، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رِيحٍ ﴾، عن أبي ذر - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧١).

(٣) انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٠١).

جنة السنة

﴿ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ من شحوم وغيرها، فيقطعها، وتخرج من أديبارهم
﴿ وَالْجُلُودِ ﴾ أيضاً تذاب.

﴿ وَهُمْ مَقْلَعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [٢١].

[٢١] ﴿ وَهُمْ مَقْلَعُ ﴾ سباط مختصة بهم، جمع مقمعة.

﴿ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ يُضْرَبُونَ بِهَا.

﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴾ [٢٢].

[٢٢] ﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ من النار.

﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾ يلحقهم، فخرجوا.

﴿ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ وذلك أن النار تضربهم بلهبها، فتلقيهم إلى أعلاها،
فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد، فيهون إلى
قعرها سبعين خريفاً، فالمراد: إعادتهم إلى معظم النار، لا أنهم يتفصلون
عنها بالكلية، ثم يعودون إليها.

﴿ وَذُوقُوا ﴾ أي: ويقال لهم: ذوقوا ﴿ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ البالغ نهاية
الإحراق، هؤلاء أحد الخصمين.

جنة السنة

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [٢٣].

[٢٣] وقال في الآخر، وهم المؤمنون: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾ يلبسون الحلي في الجنة.

﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ جمع سوار.

﴿ وَلُؤْلُؤًا ﴾ اللؤلؤ: اسم جامع للحبّ يخرج من البحر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، ويعقوب: (وَلُؤْلُؤًا) بالنصب على معنى: ويحلون لؤلؤًا، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف، فأبو جعفر يترك الهمزتين، فيسكن الواو الأولى، وينصب الثانية، وأبو بكر عن عاصم: يترك الأولى فقط، وقرأ الباقر: بالخفض عطفاً على (أساور)، وأبو عمرو يترك الهمزة الأولى، واختلفوا في وجه إثبات الألف فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها كما أثبتوا في (قالوا)، و(كانوا)، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة؛ لأن الهمزة حرف من الحروف^(١).

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ حَرِيرٌ ﴾ هو الإبريسم المحرم لبسه على الرجال، ولا خلاف بين الأئمة في تحريم لبس الحرير على الرجل إلا في

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٥)، و«الكشف» لمكي (٢/١١٧-١١٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٢).

جنة السنة

الحرب المباح، أو لضرورة؛ كحكة، أو جرب في جسده، واختلفوا في الجلوس عليه، والاستناد إليه، فأجازه أبو حنيفة، ومنعه الثلاثة كلبسه، وحكم الصبي عند أحمد كالرجل.

﴿وَهُدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٤﴾ .

١ [٢٤] ﴿وَهُدُّوْا﴾ أُرشدوا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو القرآن، وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل غير ذلك ﴿وَهُدُّوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ طريق الجنة، و(الحميد) هو الله المحمود في أفعاله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعُرْكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَادِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِنَّ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن﴾ تقديره، وهم يصدون ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي؛ لأن الصد بمعنى دوام الصفة لهم، وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد النبي ﷺ عن المسجد الحرام.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: ويصدون عن المسجد الحرام.

﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ قبله لصلاتهم، ومنسكاً ومتعبداً، وقال ابن عباس وغيره: المراد منه جميع الحرم^(١).

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٣٢/١٢).

جنة السنة

﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ﴾ المقيم ﴿وَالْبَادِ﴾ أي: الآتي إليه من البادية. قرأ حفص عن عاصم: (سَوَاءٌ) نصب بإيقاع الجعل عليه؛ لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء، وما بعده خبره، وتام الكلام عند قوله: (للناس)^(١)، وأثبت أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: الياء في (البادي) وصلاً، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحاليين، وهي في الإمام بغير ياء^(٢)، المعنى: المقيم فيه، والوارد إليه سواء، لا يخص بعضاً دون بعض.

وأجمع الناس على الاستواء في نفس المسجد الحرام، واختلف في مكة، فذهب عمر بن الخطاب، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة إلى أن الأمر كذلك في دور مكة، وأن القادم له النزول حيث وجد فارغاً، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى، وقال ذلك سفيان الثوري وغيره، وكذلك كان الأمر في الصدر الأول.

وروي أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - قبضوا وما تدعى دور مكة إلا السوائب، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن^(٣)، وكانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة، فاتخذ رجل باباً، فأنكر عليه عمر

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٣١٠٧)، كتاب: المناسك، باب: أجر بيوت مكة، والدارقطني في «سننه» (٣/٥٨)، وغيرهما عن علقمة بن نضلة - رضي الله عنه - .

جنة السنة

وقال: أتغلق باباً في وجه حج^(١) بيت الله، فقال: إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة، فتركه، فاتخذ الناس الأبواب.

قال ابن عطية: وقال جمهور من الأمة، منهم الإمام مالك: ليست الدور كالمسجد، ولأهلها المتاع بها، والاستبداد، وعلى هذا العمل اليوم، وهذا الخلاف متركب على الاختلاف في مكة، هل هي عنوة أو صلح؟ فمن رآها صلحاً، فإن الاستواء عنده في المنازل بعيد، ومن رآها عنوة، أمكنه أن يقول: الاستواء فيها قرره^(٢) الأئمة الذين لم يقطعوها أحداً، وإنما سكنى من سكن من قبل نفسه^(٣).

واختلف الأئمة في فتحها، فذهب مالك وأصحابه: إلى أنها فتحت عنوة بالسيف، وهو الصحيح من مذهب الإمام أحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: فتحت صلحاً.

واختلفوا في جواز بيع دور مكة وإجارتها، فقال أحمد: لا يجوز بيع رِبَاع مكة والحرم، وهي المنازل، ولا إجارتها؛ لأنها فتحت عنوة، وقال مالك: يجوز إجارتها وبيعها؛ لأن النبي ﷺ منَّ بمكة على أهلها، فلم تقسم، ولا سبي أهلها؛ لما عظم الله من حرمتها، ولكن الكراهة عنده في كراء دور مكة قوية؛ طلباً للمواساة بها، وروي عنه أيضاً كراهة كرائها في أيام الموسم خاصة، وقال أبو حنيفة: لا بأس ببيع بناء بيوت مكة، ويكره بيع أرضها، وكذا الإجارة، وقال صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن:

(١) «حج» زيادة من «ت».

(٢) في «ش» «فيما قدره».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/١١٦).

جنة السنة

لا بأس بالبيع في الأرض والبناء، وأما مذهب الشافعي، فلم يختلف في جواز البيع والإجارة؛ لأنها فتحت عنده صلحاً.

﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ أي: يفعل ﴿فِيهِ﴾ أي: في المسجد ﴿بِإِلْحَادٍ يُظْلَمُ﴾ هو الميل عن الحق، والباء زائدة، معناه: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، والمراد بالإلحاد هنا: الشرك وجميع المعاصي ﴿تُدَقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ جواب لـ(مَنْ).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿بَوَّأْنَا﴾ هيأنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ لبينيه؛ لأن البيت كان رفع إلى السماء زمن الطوفان؛ وكان من ياقوتة حمراء، ثم لما أمر الله إبراهيم - عليه السلام - ببنائه، لم يدر أين يبني، فأعلم الله مكانه بريح أرسلها، فكنست ما حوله، فبناه على أسسه القديم ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أي: وقلنا له: لا تشرك بي شيئاً.

﴿وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وحفص عن عاصم: (بَيْتِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ بالبيت ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين به.
﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٦).

جنة السنة

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ ﴾ أي: نادِ فيهم ﴿ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ مشاة.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ بغير مهزول ﴿ يَأْتِينَ ﴾ أي: النوق.

﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ﴾ طريق ﴿ عَمِيقٍ ﴾ بعيد، والضامر: هو كل ما اتصف بذلك
من جمل وناقة وغير ذلك.

روي أن إبراهيم - عليه السلام - لما أمر بالأذان بالحج، قال: «يا رب!
وإذا ناديتُ، فمن يسمعني؟ فقيل له: نادِ يا إبراهيم، فعليك النداء، وعلينا
البلاغ، فصعد على أبي قبيس فقال: أيها الناس! ألا إن ربكم قد بنى بيتاً،
وكتب عليكم الحج، فأجيئوا ربكم، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً، وشرقاً
وغرباً، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام
الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فجرت التلبية على ذلك».

قال ابن عباس: «فأول من أجابه أهل اليمن^(١)، فهم أكثر الناس
حجاً»^(٢).

واتفق الأئمة على أن الحج فرض على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مرة
في العمر مع الاستطاعة، فعند الشافعي ومالك: يجب على التراخي، وقيد
مالك بما إذا لم يخش الفوت، وعند أبي حنيفة وأحمد: على الفور.

واختلفوا في العمرة، فقال أبو حنيفة ومالك: هي سنة، وقال الشافعي

(١) في «ت»: «اليمين».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٢١٣).

جنة السنة

وأحمد: هي فرض كالحج، وتقدم الكلام على ذلك، وعلى أوجه الحج الثلاثة، وهي: الأفراد، والتمتع، والقران في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾^(١) [الآية: ١٩٦].

(١) جاء في هامش الأصل: روي عن بعض قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ أقبلت طائفة من اليمن، فقالوا: فذاك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج، قال: بلى، أي رجل خرج من منزله حاجاً أو معتمراً، فكلما رفع قدماً، ووضع قدماً تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل، طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين، جدد الله له الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك، أجابه الله - عز وجل - بليبيك وسعديك، أسمع كلامك، وأنظر إليك، فإذا دخل مكة، وطاف وسعى بين الصفا والمروة، وصل الله له الخيرات، فإذا وافى عرفات، وضجت الأصوات بالحاجات، باهى الله بهم ملائكته بسبع سموات، ويقول: ملائكتي وسكان سمواتي! أما ترون إلى عبادي، أتوني من كل فج عميق شعثاً غيراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، فوعزتي وجلالي وكرمي [لأجزين] منهم المحسن، [ولأطهرنهم] من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الحجارة وحلقوا الرؤوس، وزاروا البيت، نادى مناد من بطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم، واستأنفوا العمل»^(١). قال ﷺ: «من مات ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»^(٢) انتهى.

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الترمذي (٧٤٠)، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، من حديث علي رضي الله عنه وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث. اهـ. وذكر الحافظ ابن حجر ما ملخصه: أن هذا الحديث له طرق صحيحة إلا أنها موقوفة، وأن له أصلاً. وقد خطأ رحمه الله من ادعى أنه موضوع، ومحمّل الحديث على من استحلّ الترك. انظر: «التلخيص الحبير» (١٢٢/٣).

جنة السنة

﴿ لِشَهْدَاؤِ مَنْفَعِ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ لِشَهْدَاؤِ ﴾ ليحضروا ﴿ مَنْفَعِ لَهُمْ ﴾ دينية ودنيوية .

﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾ عند التذكية ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ عندهم؛ لأنهم كانوا يحرصون على علمها وعدها لأجل الحج، وهي عشر ذي الحجة عند الأئمة الثلاثة، وأكثر أهل العلم، وعند مالك: هي أيام النحر الثلاثة .

﴿ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، فلا تجوز الأضحية من غيرها .

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ أمر بإباحة ليس بواجب، وإنما قال ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، وأما الأضحية، فإنها مشروعة بأصل الشرع بالاتفاق .

واختلفوا في حكمها، فقال أبو حنيفة: هي واجبة على كل مسلم حر مقيم ملك نصاباً من أي الأموال كان، وقال الثلاثة: هي سنة غير مفروضة، واستثنى مالك الحاج الذي بمنى، فإن سنته عنده الهدى، ويجوز الأكل منها باتفاقهم، فقال أبو حنيفة: له أن يأكل منها، ويطعم الأغنياء والفقراء، ويدخر، ويستحب ألا ينقص الصدقة من الثلث، وقال مالك: يأكل ويطعم، وليس لما يأكله ولا لما يطعمه حد، وقال الشافعي وأحمد: يأكل الثلث، ويهدي الثلث، ويتصدق بالثلث، ولو أكل أكثر، جاز .

واختلفوا في الأفضل مما يضحى به، فقال مالك: الأفضل الغنم، ثم

حنة السنة

البقر، ثم الإبل، قال الثلاثة: أفضلها الإبل، ثم البقر، ثم الغنم، والضأن أفضل من المعز بالاتفاق، ويجوز الذكر والأنثى والخصي، وشرطها سلامة من عيب ينقص اللحم، فلا تجزىء العجفاء، وهي الهزيلة، ولا ذات عرج وعود ومرض، وتجزىء الجماء، وهي التي خلقت بغير قرون، ولا يضر شق أذن وخرقها، بغير خلاف في ذلك، وتجزىء الشاة عن واحد باتفاقهم، وتجزىء البدنة والبقرة عن سبعة عند الثلاثة، وقال مالك: هما كالشاة لا تجزىء إلا عن واحد.

واختلفوا فيما يجزىء في الأضحية والهدي، فقال أبو حنيفة وأحمد: يجزىء الجذع من الضأن، وهو ما له ستة أشهر، والثني مما سواه، فمن المعز ما له سنة، ومن البقر ما له سنتان، ومن الإبل ما له خمس سنين، وقال مالك: الجذع من الضأن ما له سنة، والثني مما سواه، فمن المعز ما له ثلاث سنين، ومن البقر ما دخل في الثالثة، ومن الإبل ما له ست سنين، وقال الشافعي: من الإبل ما طعن في السادسة، ومن البقر والمعز ما طعن في الثالثة، ومن الضأن ما طعن في الثانية، والسنة أن يذبحها بنفسه إن كان يحسن، وإلا يحضرها.

واختلفوا فيما إذا ذبحها كتابي، فقال مالك: لا يجوز، وقال الثلاثة: يجوز مع الكراهة.

وله أن ينتفع بجلدها، ولا يعطى الجازر بأجرته شيئاً منها، ولا يبيعها ولا شيئاً منها بالاتفاق، وأما الهدى الواجب بأصل الشرع؛ كدم التمتع والقران، والواجب بإفساد الحج وفواته، وجزاء الصيد، وما أوجبه على نفسه بالنذر، فلا يجوز الأكل منها عند الشافعي، وقال مالك: يأكل من

جنة السنة

هدي التمتع، ومن كل هدي وجب عليه، إلا من أربعة أشياء: فدية الأذى، وجزاء الصيد، ونذر المساكين، وهدي التطوع إذا عطب قبل محله، وقال أبو حنيفة وأحمد: يأكل من هدي التطوع، ودم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما، وسيأتي ذكر وقت الذبح والكلام عليه في سورة الكوثر إن شاء الله تعالى.

﴿ وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ ﴾ هو ذو البؤس؛ أي: الشدة.

﴿ الْفَقِيرَ ﴾ الذي لا شيء له.

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ يزيلوا أوساخهم، والمراد: الخروج عن الإحرام بالحلق، وقص الشارب، وقلم الأظافر، ولبس الثياب، وقال ابن عباس وابن عمر: قضاء التفث: مناسك الحج كلها^(١).

﴿ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ ﴾ ما يندرون من البر في حجهم ﴿ وَلِيَطَّوَفُوا ﴾ ليدوروا طواف الإفاضة ﴿ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ الكعبة؛ لأنه أول بيت وضع للناس. قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش، ورويس، وقنبل: (ثُمَّ لِيَقْضُوا) بكسر اللام، والباقون: بإسكانها^(٢)، وتقدم توجيه قراءتهم عند

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/١٤٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٧).

جنة السنة

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ﴾، وهذا الحرف نظيره، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلَيُؤْفُوا) (وَلَيَطَوَّفُوا) بكسر اللام فيهما، والباقون: بإسكانها منهما^(١)، وقرأ أبو بكر عن عاصم: (وَلَيُؤْفُوا) بفتح الواو وتشديد الفاء^(٢).

وطواف الإفاضة ركن، وبه تمام الحج بالاتفاق، وأول وقته عند أبي حنيفة طلوع الفجر من يوم النحر، وآخره آخر اليوم الثاني من أيام التشريق، فإن آخره إلى اليوم الثالث، لزمه شاة، وعند الشافعي وأحمد: أول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر، والأفضل فعله يوم النحر، فإن آخره عن أيام منى، جاز، وعند مالك: يجوز تأخيره إلى آخر ذي الحجة؛ لأنه بكماله عنده من أشهر الحج، لكنه قال: لا بأس بتأخير الإفاضة إلى أيام التشريق، وتعجيلها أفضل، فإن آخرها إلى المحرم، فعليه دم.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنْعَامُ إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من أعمال الحج ﴿وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦-١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٧٨).

جنة السنة

﴿الله﴾ هي ما لا يحل انتهاكه، وتعظيمها: ترك ملاستها.

﴿فهو﴾ أي: التعظيم ﴿خيرٌ له عند ربه﴾ في الدار الآخرة.

﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾

تحريمه؛ أي: في سورة المائدة، وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ

وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَبِقَةُ وَالْمُفَوَّذَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا

أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ [الآية: ٣]

استثناء منقطع؛ لأن المحرم ليس من جنس الأنعام.

﴿فاجتنبوا الرجس﴾ القدر ﴿من الأوثان﴾ بيان للرجس؛ لأن

الرجس: الأوثان وغيرها؛ أي: اجتنبوا الرجس من هذا القبيل.

﴿واجتنبوا قول الزور﴾ الكذب والبهتان.

روي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس! عدلت شهادة الزور

بالشرك بالله، ثم قرأ هذه الآية»^(١).

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور، فقال أبو حنيفة: لا يعزر، بل

يوقف في قومه، ويقال لهم: إنه شاهد زور، وقال الثلاثة: يعزر، ويوقف

في قومه، ويعرفون أنه شاهد زور، وقال مالك: يشهر في الجوامع

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، كتاب: الأفضية، باب ما جاء في شهادة الزور،

والترمذي (٣٠٠)، كتاب: الشهادات، باب: ما جاء في شهادة الزور، وابن

ماجه (٢٣٧٢)، كتاب: الأحكام، باب: شهادة الزور، والإمام أحمد في

«المسند» (٣٢١/٤)، وغيرهم عن خريم بن فاتك - رضي الله عنه - . وفي إسناده

مجهول، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١٩٠/٤).

جنة السنة

والأسواق والمجامع، وقال أحمد: يطاق به في المواضع التي يشتهر فيها،
فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاجتنبوه.

﴿ حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ
فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ حُنْفَاءٌ لِلَّهِ ﴾ اجتنبوا معصية الله تعالى مخلصين ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾
يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً.

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ﴾ سقط ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ إلى الأرض.

﴿ فَتَخَطَّفَهُ ﴾ تستلبه ﴿ الطَّيْرُ ﴾ والخطف والاختطاف: تناول الشيء
بسرعة. قرأ أبو جعفر، ونافع: (فَتَخَطَّفَهُ) بفتح الخاء وتشديد الطاء؛ أي:
تتخطفه، فحذفت إحدى التاءين، وقرأ الباكون: بإسكان الخاء وتخفيف
الطاء؛ من خطف يخطف^(١).

﴿ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ ﴾ أي: تميل وتذهب به ﴿ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي: بعيد
مهلك لا يرجى خلاصه منه، المعنى: ومن يشرك بالله، فقد هلكت نفسه
هلاكاً يشبه أحد الهلاكين. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَّاحُ) بألف بعد الياء على
الجمع، والباكون: بغير ألف على التوحيد^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢١٨)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤/١٧٨-١٧٩).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٤)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٤/١٧٩).

جنة السنة

﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أي: المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور.

﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ ﴾ وهي الهدى والبدن، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدى، وتعظيمها: استسمانها واستحسانها.

﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي: الفعلة، وهي اجتناب الرجس، وتعظيم الشعائر.

﴿ مِنْ ﴾ أفعال ذوي ﴿ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ وذكر القلوب؛ لأنها منشأ التقوى والفجور، والأمره بهما.

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في البدن ﴿ مَنْفَعٌ ﴾ قبل تسميتها للهدى؛ من درّها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهو أن يسميها ويوجبها هدياً، فإذا فعل ذلك، لم يكن له شيء من منافعها.

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا ﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ والمراد: الحرم كله، فتنحر فيه، واتفق الأئمة على جواز ركوب الهدى للحاجة ما لم يضر به.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَوَحْدَهُ اسْلِمُوا وَيُشِرُّ الْمُخْتَبِينَ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم.

جنة السنة

﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مَنَسْكَ) بكسر السين بمعنى: موضع القربان، وقرأ الباقون: بفتح السين، مصدر بمعنى النسك، وهو إهراقه الدماء^(١).

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عند النحر ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ وقيد بهيمة الأنعام؛ لأن من البهائم ما لا يجوز في القرابين؛ كالخيل والحمير.

﴿فَالنَّهْكَمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَلَهِ اسْلِمُوا﴾ أخلصوا وأطيعوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المطيعين المتواضعين، والخبت: المكان المطمئن من الأرض، روي أن قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ نزل في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم^(٢).

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ﴾ خافت واضطربت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من المحن ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يتصدقون.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٢١٩)،

و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٤٩٤٨).

جنة السنة

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٣٦].

[٣٦] ﴿ وَالْبُدْنَ ﴾ جمع بدنة، سميت بذلك؛ لعظم أبدانها، وهي الإبل خاصة.

﴿ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ أعلام دينه، سميت شعائر؛ لأنها تُشعر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها، فيعلم أنها هدي، وتقدم الكلام على ذلك واختلاف الأئمة فيه في أول سورة المائدة.

﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ النفع في الدنيا، والأجر في العقبى.

﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند نحرها ﴿ صَوَافٍ ﴾ أي: قياماً على ثلاث قوائم، قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة عند الذبح، وهي جمع صافّة.

واختلف الأئمة في التسمية عند الذبح، فمذهب الشافعي: أن التسمية سنة، وتحل الذبيحة إذا تركها عامداً أو ناسياً، ومذهب الثلاثة: إن تركها عمداً، لم تحل، وإن تركها ناسياً، حلت.

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ ﴾ سقطت ﴿ جُنُوبَهَا ﴾ إلى الأرض ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ إن شئتم ﴿ وَأَطِعُوا الْقَانِعَ ﴾ هو ذو القناعة الذي لا يتعرض ولا يسأل.

﴿ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ المتعرض بغير سؤال.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك التسخير.

﴿ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ ﴾ مع عظمها وقوتها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ إنعامنا عليكم.

جنة السنة

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَيَشِرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ ﴾ لن ترفع إليه ﴿ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾ وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن، لطحوا الكعبة بدماؤها قربة إلى الله تعالى، فنزلت الآية: ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) يعني: النية والإخلاص، وما أريد به وجه الله. قرأ يعقوب: (لَنْ تَنَالَ) (وَلَكِنْ تَنَالُهُ) بالتاء على التأنيث فيهما؛ لتأنيث الجماعة، وتأنيث التقوى، وقرأهما الباقون: بالياء على التذكير ^(٢).

﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا ﴾ يعني: البدن ﴿ لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ﴾ لأعلام دينه، ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، وقيل: التسمية والتكبير على الهدى والأضحية أن يقول الذابح: بسم الله والله أكبر ﴿ وَيَشِرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الموحدين، روي أن قوله: ﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ نزل في الخلفاء الأربعة كما تقدم في المحبتين، فأما ظاهر اللفظ، فمقتض للعموم في كل محسن.

﴿ إِنَّا اللَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٢١/٣)، و«تفسير البيضاوي» (١٢٨/٤)، و«عمدة القاري» للعينى (٢٧/١٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢٢١/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٣/٤).

جنة السنة

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾ يذهب غوائل المشركين وأذاهم.

﴿عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ خائن في أمانته.

﴿كَفُورٍ﴾ بالله تعالى؛ حيث أشرك.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنِّهِمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢).

[٣٩] ولما كان المشركون من أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج، ويشكون إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾^(٢). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وخلف باختلاف عنه: (أُذِنَ) بضم الهمزة مجهولاً،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٢١-٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٤).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٦). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/٣٨٧-٣٨٨) غريب جداً.

جنة السنة

[والباقون: بفتحها؛ أي: أذن الله للذين يقاتلون^(١)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (يُقَاتِلُونَ) بفتح التاء مجهولاً^(٢)؛ أي: يقاتلهم عدوهم، وقرأ الباقون: بكسرهما معلوماً^(٣)؛ أي: يقاتلون هم عدوهم.

﴿يَأْنَهُمْ ظُلْمُوا﴾ بسبب كونهم مظلومين باعتداء الكفار عليهم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ونسخت هذه الآية سبعين آية؛ لأنها أول آية نزلت في الإذن بالقتال، ونزلت بالمدينة^(٤).

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَدَمَتْ صَوْمِعُ وَيَعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

[٤٠] ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني: مكة، بدل من ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير ذنب ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ المعنى: لم يخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٤-١٨٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) المصادر السابقة.

(٤) في «ش»: «في المدينة».

جنة السنة

﴿ رَبَّنَا اللَّهُ ﴾ وحده ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ بالجهاد وإقامة الحدود. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (دِفَاعٌ) بكسر الدال وألف بعد الفاء، وقرأ الباقون: (دَفَعٌ) بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف^(١).

﴿ هُدِّمَتْ ﴾ لخربت. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: بتخفيف^(٢) الدال، والباقون: بتشديدها، فالتخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد يختص بالكثير^(٣)، وقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، والأصبهاني عن ورش، وهشام عن ابن عامر: بإظهار التاء عند الصاد من (صَوَامِعُ)، والباقون: بإدغامها^(٤).

﴿ صَوَامِعُ ﴾ منابر الرهبان ﴿ وَيَبِعُ ﴾ جمع بيعة، وهي كنيسة النصارى.

﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ أي: مواضع صلوات، وهي كنائس اليهود.

﴿ وَمَسْجِدٌ ﴾ هي للمسلمين.

﴿ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ المعنى: لولا دفع الله عن المتعبدين بالمجاهدين، لانقطعت العبادات، وخربت المتعبدات، وقدم مصليات الكافرين على مساجد المؤمنين؛ لأنها أقدم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٥).

(٢) في «ش»: «بفتح» وهو خطأ.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٥-١٨٦).

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٦).

جنة السنة

واتفق الأئمة على منع أهل الذمة من إحداث الكنائس والبيع في بلاد الإسلام فيما اختطه المسلمون من الأمصار، وما فتح عنوة، واتفقوا على جواز ذلك فيما شرطوه فيما فتح صلحاً على أنه لنا، واختلفوا في إعادة المنهدم منها، فقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز إعادته، وقال مالك وأحمد: لا يجوز، قال أحمد: ولو هدم ظلماً، وأما رم المتشعث منها، فيجوز عند الثلاثة، وعند مالك: إن اشترطوه جاز، وإلا فلا.

﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه، وقد نجز وعده بتسليط المهاجرين والأنصار على العرب والعجم، وأورثهم أرضهم وديارهم.
﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ ممتنع في سلطانه.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد، قال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي (١): آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ (٤٢).

[٤٢] ثم سلى نبيه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾.

(١) «أي» ساقطة من «ت».

جنة السنة

﴿ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٍ ﴾ .

﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ أمهلتهم .

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ عاقبتهم .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ إنكاري عليهم بإهلاكهم، يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه، وقوله: ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ مجهولاً؛ لأن موسى لم يكذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه القبط. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (أَخَذْتُهُمْ) (أَخَذْتُهَا)^(١) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام^(٢)، وقرأ ورش عن نافع: (نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلماً، ويعقوب: بإثباتها وصلماً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين^(٣).

(١) «أخذتها» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٨/٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٨/٤).

﴿ فَكَايِّنَ مِّن قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِئْهَى خَاوِيَةٍ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيْدٍ ﴾ (٤٥).

[٤٥] ﴿ فَكَايِّنَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وأبو جعفر يسهل الهمزة، والباقون: بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة، ووقف أبو عمرو ويعقوب (فَكَأَيِّن) بغير نون حيث وقع، ووقف الباقون: (فَكَأَيِّنْ)، وهي كاف التشبيه ضمت إلى الاستفهام، فصار المعنى: وكم (١).

﴿ مِّن قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ يعني: أهلها. قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (أَهْلَكْنَاهَا) بالتاء مضمومة من غير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون: بالنون مفتوحة وألف بعدها جمعاً على التعظيم (٢).

﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ أي: شرك أهلها ﴿ فِئْهَى خَاوِيَةٍ ﴾ ساقطة.

﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ سقوفها؛ بأن سقطت السقوف، ثم سقطت عليها الحيطان.

﴿ وَيَبْرِئُ مَعْطَلَةٍ ﴾ أي: وكم من بئر متروكة مع وجود الماء وآلاتها فيها؛ لهلاك أربابها. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (وَيَبْرِئ) بغير همز، والباقون: بالهمز (٣).

- (١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٨-١٨٩).
- (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٩).
- (٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

جنة السنة

﴿وَقَصِّرِ مَشِيدٍ﴾ مجصص من الشيد مرتفع محكم أخليته بإهلاك أربابه^(١)، أفلم يعتبر كفار مكة بذلك؟

روي أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها: حاصوراء، وذلك أن أربعة آلاف ممن آمن بصالح - عليه السلام - نجوا من العذاب، فأتوا حضرموت، ومعهم صالح، فلما حضروه، مات صالح، فسمي: حضرموت؛ لأن صالحاً لما حضره^(٢) مات، فبنوا حاصوراء، وقعدوا على^(٣) هذه البئر، وأمروا عليهم رجلاً، فأقاموا دهرأ، وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا، فأرسل الله عز وجل إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، وكان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله، وعطلت بئرهم، وخربت قصورهم^(٤).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤٦).

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: كفار مكة، فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ أي: يعلمون بها، فيه دليل على أن العقل محله القلب، وهو قول المالكية والشافعية

= الجزري (١/٣٩٠-٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٨٩).

(١) في «ت»: «أربابها».

(٢) في «ت»: «حضره».

(٣) في «ش»: «في».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٢٤).

جنة السنة

وأصحاب أحمد، والأطباء قالوا: وله اتصال بالدماع، والمشهور عن أحمد أنه في الدماغ، وفاقاً للحنفية، والعقل ما يحصل به الميز، وهو نور في القلب كالعلم، وهو غريزة، ويختلف، فعقل بعض الناس أكثر، وهو مأخوذ من عقل البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل.

﴿ أَوْءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية، فيعتبروا بها.

﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي: القصة.

﴿ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ المعنى: أعينهم صحيحة، وقلوبهم عمى، والعمى الضار هو عمى القلب، فأما البصر، فليس بضار في أمر الدين.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ﴿٤٧﴾.

[٤٧] ولما قال: النضر بن الحارث ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، نزل: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدَّهُ ﴾ (١) بإهلاك الكفار وعذابهم، فأنجز الله ذلك يوم بدر.

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا ﴾ من أيام العذاب الذي استعجلوه.

(١) تقدم تخريجه.

جنة السنة

﴿عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا؛ في الشدة، فكيف تستعجلونه؟! قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (يَعُدُّونَ) بالغيب؛ لقوله: (يَسْتَعْجِلُونَكَ)، وقرأ الباقون: بالخطاب؛ لأنه أعم؛ لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين^(١).

﴿وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية، عطف الأولى بالفاء؛ لأنها بدل عن قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وهذه بالواو؛ لأنها في حكم ما تقدمها من الجملتين؛ لبيان أن المتوعد به يحق بهم لا محالة، وأن تأخيره لعادته تعالى.

﴿أَهْلَيْتُ لَهَا﴾ أهلتها كما أهلتكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم.
﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ وإلي حكم الجميع.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أوضَحْ لكم ما أنذركم به، ليس إلي أن أعجل عذاباً، ولا أن أؤخره.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٠).

جنة السنة

﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ثم قسم حالة المؤمنين والكافرين بقوله: ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الجنة، ورزقهم فيها.

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا ﴾ بالظعن فيها ﴿ مُعْجِزِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بتشديد الجيم من غير ألف؛ أي: مثبطين الناس عن الإيمان، وقرأ الباقون: بالتخفيف والألف^(١)؛ أي: مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ولما ألقى الشيطان بقراءة نفسه في قراءة النبي ﷺ محاكياً نعمته - عليه السلام - لما قرأ في الصلاة: ﴿ أَفْرَأَيْتُمْ ءَالَكَّتِ وَالْعُرَىٰ ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿ [النجم: ١٩-٢٠]: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ بحيث يسمعها من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قوله عليه السلام، وأشاعوها، حزن لذلك ﷺ، فنزل تسلياً له:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٩١).

جنة السنة

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ ﴾^(١) هو الذي جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ﴿ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ هو الذي لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

﴿ إِلَّا إِذَا تَمَّيَّتْ ﴾ أي: تلا وقرأ كتاب الله.

﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ ﴾ بقراءة نفسه ﴿ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ في قراءته، المعنى: ما من رسول^(٢) ولا نبي قبلك إلا مكنا الشيطان أن يلقي في قراءتهم مثل ما ألقى في قراءتك، فلا تهتم لذلك. قرأ أبو جعفر: (أُمْنِيَّتِهِ) بتخفيف الياء، والباقون: بتشديدها^(٣).

﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ أي: يبطله.

﴿ ثُمَّ يُخَيِّكُمُ اللَّهُ إِلَىٰ آيَاتِهِ ﴾ أي: يثبتها.

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال الناس ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يفعله بهم، وما نقل من أن الشيطان ألقاها على لسان النبي ﷺ، أو أنه أصابته - عليه السلام - سِنَّةٌ، فقالها، أو حَدَّثَ نفسه فسها، فهذا كله ضعيف واه لم يُرو بسند صحيح؛ لعصمته ﷺ، ونزاهته عن مثل ذلك، وعن جريان الكفر على قلبه أو لسانه عمداً أو سهواً، أو يكون للشيطان عليه سبيل.

(١) تقدم ذكر قصة الغرائق والتعليق عليها، فيما ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/٣٩١-٣٩٣). وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/٤٣٩).

(٢) «ما من رسول» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٩١).

جنة السنة

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ اختباراً .

﴿ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ هو الشك .

﴿ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ ﴾ عن قبول الحق، وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نسخ ورفع، فازدادوا عتواً، وظنوا أن رسول الله ﷺ يقوله من عند نفسه، ثم يندم فيبطل .

﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ المشركين ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: خلاف شديد .

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون

﴿ أَنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وتعطف عليه (وليعلم) .

﴿ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ ﴾ أي: تلين ﴿ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ وتطمئن ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ دين الإسلام . وقف يعقوب (لهادي):

بإثبات الياء^(١) .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨-١٣٩)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٤/١٩٢) .

جنة السنة

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [٥٥]

[٥٥] ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ ﴾ شك ﴿ مِّنْهُ ﴾ من القرآن .
﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة .

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ أي : عقم فلا خير فيه للكفار ، وهو يوم بدر في قول الأكثر ؛ لأنه ذكر الساعة من قبل ، والعقم في اللغة : المنع ، يقال : رجل عقيم : إذا منع من الولد .

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [٥٦]

[٥٦] ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ تقديره : الملك لله يوم يزول شك الكافرين ، وهو يوم القيامة ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين المؤمنين والكافرين .
﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴾ [٥٧]

[٥٧] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴾
يُهانون فيه .

جنة السنة

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ونزل في الذين قالوا للنبي ﷺ: مالنا إذا هاجرنا فقتلنا أو متنا؟
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) فارقوا أو طانهم في طاعة الله تعالى .
﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ قرأ ابن عامر: (قُتِلُوا) بتشديد التاء، والباقون:
بتخفيفها^(٢) .

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، وقيل
حسناً؛ أي: حلالاً .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فإنه يرزق بغير حساب .

﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الجنة؛ لأن فيها ما تشتهي
الأنفس وتلذ الأعين. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مُدْخَلًا) بفتح الميم،
والباقون: بضمها^(٣) .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ فلا يعجل على المسيء بالعقوبة .

(١) انظر: «تفسير أبي السعود» (١١٦/٦) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«تفسير البغوي» (٢٢٩/٣)، و«معجم
القراءات القرآنية» (١٩٢/٤) .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢٤٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٢/٤) .

جنة السنة

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴾ (٦٠).

[٦٠] ونزل في المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم في الأشهر الحرم، فامتنعوا عليهم، ثم قاتلوهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ (١) أي: الأمر ذلك.

﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ أي: جازى الظالم بمثل ظلمه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (عَاقَبَ بِمِثْلِ) بإدغام الباء في الباء (٢) ﴿ ثُمَّ بُغِيَ ﴾ تُعَدِّي (٣) ﴿ عَلَيْهِ ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة.

﴿ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ على ظالمه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ ﴾ عن المؤمنين.

﴿ غَفُورٌ ﴾ لهم قتالهم في الأشهر الحرم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٦١).

[٦١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ النصر ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بمغيب الشمس، وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/١٩٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/٧١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (١/٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٩٣).

(٣) «تعدي» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾
الذي لا يجوز أن يعبد إلا هو ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة
﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف،
وحفص عن عاصم: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب^(١) .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل شيء .

﴿الْكَبِيرُ﴾ عن أن يكون له شريك .

﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ استفهام معنى الخبر .

﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ بالنبات .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ محكم للأمر برفق ﴿خَبِيرٌ﴾ بما ظهر وبطن .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٣٠)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤/١٩٣) .

جنة السنة

﴿لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملاكاً .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ في ذاته عن كل شيء .

﴿الْحَمِيدُ﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ
رَحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ جعلها مذلة لكم .

﴿وَالْفُلْكَ﴾ أي : وسخر الفلك ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ
تَقَعَ﴾ أي : لكيلا تسقط .

﴿عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إلا بمشيئته، وذلك يوم القيامة . قرأ أبو عمرو،
وقالون، والبيزي : (السَّمَا أَنْ) بإسقاط الهمزة الأولى بلا عوض منها،
ويهمزون الثانية، وقرأ ورش، وقنبل، وأبو جعفر، ورويس : بتسهيل
الثانية، فيجعلونها بين الهمزة والألف، ويفتحونها شبه مدّة، وقرأ الباقون،
[وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح : بتحقيق الهمزتين^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر،

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي
(ص: ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٩٤) .

جنة السنة

وابن عامر، وحفص: (لَرءُوفٌ) بالإشباع حيث وقع على وزن فعول، وقرأ الباقون^(١): بالاختلاس على وزن فَعْل^(٢)، والرافة: أشد الرحمة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾^(٦٦).

[٦٦] ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ﴾ في الأرحام.

﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاء الأجل.

﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ بالبعث.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ هو بديل بن ورقاء ﴿ لَكَفُورٌ ﴾ بالله تعالى وبأنعمه.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأُدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾^(٦٧).

[٦٧] ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ يعني: شريعة هم

عاملون بها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مَنْسَكًا) بكسر السين،

والباقون: بفتحها، وتقدم توجيه القراءتين في الحرف المتقدم [الآية: ٣٤].

﴿ فَلَا يُنْزِعُكَ ﴾ أي: لا تنازعهم في الأمر.

(١) ما بين معكوفتين ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٩٥).

جنة السنة

﴿ فِي الْأَمْرِ ﴾ أي: في الذبائح، وذلك أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله - يعني: الميتة -، فنزلت الآية: ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾^(١) إلى دينه.

﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ طريق إلى الحق سويٌّ.

﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٦٨).

[٦٨] ﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ ﴾ وقد ظهر الحق.

﴿ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من المجادلة الباطلة.

﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾^(٦٩).

[٦٩] ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون والكافرون.

﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين، فتعرفون حينئذ

الحق من الباطل.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٧٠).

[٧٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ فلا يخفى عليه

شيء.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٣١).

جنة السنة

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الموجود فيهما .

﴿فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح المحفوظ .

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي : الإحاطة به ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١) .

[٧١] ثم أوماً إلى جهالة الكفار بعبادتهم غير المستحق لها، فقال :
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً على جواز عبادته
﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ يعني : فعلوه عن جهل لا عن علم .
﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب .

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفٌ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ
أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ
الْمَصِيرُ﴾ (٧٢) .

[٧٢] ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ أي : القرآن .

﴿بَيَّنَّتْ تَعْرِفٌ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي : أثر الإنكار ﴿الْمُنْكَرُ
يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يصلون ويبطشون .

﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ هم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله
عنهم ، وأصل السطو : القهر .

جنة السنة

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهم: ﴿ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ ﴾ أي: بأشد من سماع القرآن.

﴿ النَّارِ ﴾ أي: هي النار ﴿ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ النار.

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ولما كانت دعواهم بأن لله شريكاً جارية في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال التي يسار بها، قال: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرْبَ ﴾ أي: جعل ﴿ مَثَلٍ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ استماع تدبر وتفكر، ثم جهلهم لذلك فقال:

﴿ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ آلهة. قرأ يعقوب: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب^(١) ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ لن يقدروا على خلقه مع صغره، والمراد: الذباب المعروف؛ لأنه مثل في الضعف والحقارة ﴿ وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ متعاونين عليه، فكيف إذا كانوا منفردين؟

﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ ﴾ أي: يسلب ﴿ الذُّبَابُ شَيْئًا ﴾ من حلي الأصنام، مع ضعفه ﴿ لَا يَسْتَنْقِذُوهُ ﴾ يخلصوه ﴿ مِنْهُ ﴾ لعجزهم، وهذه صفة العاجز، فكيف تعبدونه؟! قال ابن عباس: «كانوا يُطْلُونَ أصنامهم بالزعران، فإذا

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٣٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٦/٤).

جنة السنة

جف، سلبه الذباب، فتعجز الأصنام وعابدها عن أخذه منهم^(١) ﴿ ضُعْفَ الطَّالِبِ ﴾ العابد ﴿ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ المعبود.

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ما عظموه حق عظمته، ولا وصفوه
لحق وصفه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ لا يغلبه شيء، وآلهتهم مقهورة عاجزة.

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ولما قال المشركون: ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [ص: ٨]، نزل:
﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي ﴾^(٢) يختار ﴿ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ وهم: جبريل
وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وغيرهم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ رسلاً، يدعون إلى الحق، ويبلغون ما نزل
عليهم؛ مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء
صلوات الله عليهم أجمعين، فأخبر أن الاختيار إليه، يختار من شاء من
خلقه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقولهم ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بمن يختاره لرسالته.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٣٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٣٣)، و«تفسير القرطبي» (١٢/٩٨).

جنة السنة

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما قَدَّموا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما خَلَّفوا.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجَعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١).

﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في صلاتكم ﴿وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه، والعبادة عبارة عن الخضوع والتذلل، وهو تعظيم الله [بأمره] ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ من صلة الرحم ومكارم الأخلاق.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)؛ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة، وهذا محل سجود عند الشافعي وأحمد؛ خلافاً لأبي حنيفة ومالك، وتقدم اختلاف الأئمة في سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم.

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٢٨٩/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٩٢٠٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٧/٤).

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

جنة السنة

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [٧٨].

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لله، ومن أجل إعلاء دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ بنية صادقة خالصة لله عز وجل، وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(١)، وأراد بالجهاد الأصغر: جهاد الكفار، وبالأكبر: جهاد النفس.

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق في شرعة الملة، والحرَج: ما يتعذر عليه الخروج عما يقع فيه، وذلك أنها - أي: الملة - حنيفة سمحة، ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم، بل فيها التوبة والكفارات والرخص، ونحو هذا مما كثر عده.

﴿مِلَّةَ﴾ أي: كَمَلَّة ﴿أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ ونصب بنزع حرف الصفة، وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ خطاب للعرب؛ لأنهم كانوا من نسل إبراهيم.

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ المعنى: الله سماكم المسلمين.
﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إنزال القرآن في الكتب المتقدمة.

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/٣٩٥): غريب جداً، وذكره الثعلبي هكذا من غير سند. ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/٥٢٣)، عن جابر - رضي الله عنه - بإسناده فيه ضعف. وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٩٦)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/٨٥١)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١/٥١١).

جنة السنة

﴿ وَفِي هَذَا ﴾ الكتاب، وهو القرآن ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم
القيامة أن قد بلغكم ﴿ وَتَكُونُوا ﴾ أنتم ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أن رسلهم قد
بلغتهم، واللام في (١) (لِيَكُونَ) متعلقة بقوله: (اجْتَبَاكُمْ).

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ المفروضة بالمداومة عليها.

﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أدوها كما أنعم عليكم.

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ﴾ ثقوا به، وارضضوا التوكل على سواه.

﴿ هُوَ مَوْلَانَكُمْ ﴾ الذي يليكم نصره وحفظه.

﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ لا إله إلا هو إليه المصير، والله أعلم.

* * *

(١) «في»: ساقطة من «ت».



مكية وآيها: مئة وثمانية عشرة آية، وحروفها: أربعة آلاف وثمانية مئة
وحرفان، وكلمها: ألف وثمانية مئة وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١]

[١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة،
والفلاح: هو النجاح والبقاء، و﴿قَدْ﴾ تُثَبِّتُ الْمَتَوَقَّعَ، كما أن (لما) تنفيه،
ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك، صدرت بها بشارتهم.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد أنزل علي عشر آيات، من قام
بهن، دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات»^(١). قرأ
ورش عن نافع: (قَدْ أَفْلَحَ) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو
الذال، وحذفها، وحمزة له النقل إذا وقف بخلاف عنه، والوجهان من

(١) رواه الترمذي (٣١٧٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون، والنسائي
في «السنن الكبرى» (١٤٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٣٤/١)، والحاكم
في «المستدرک» (١٩٦١)، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - . وإسناده
ضعيف، انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/٤٦٠).

جنة السنة

النقل والتحقيق عن حمزة صحيحان معمول بهما^(١). وقرأ أبو عمرو، وورش، وأبو جعفر^(٢): (المؤمنون) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والباقون: يهمزونه^(٣).

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾^(٢).

[٢] ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ مُخْبِتُونَ أَذْلَاءً، ملزمون أبصارهم مساجدهم، وهو المسنون عند الأئمة الثلاثة، وقال مالك: ينظر أمام قبلته، وليس عليه أن ينظر إلى حيث يسجد، ولا إلى موضع معين، والخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والبصر والصوت، قال الله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [طه: ١٠٨]، وأضيفت الصلاة إلى المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

روي أن سبب نزولها: أن المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم^(٤) يمناً ويسرة، فنزلت الآية^(٥)، وأمروا أن يكون بصر المصلي حذاء قبلته، أو بين يديه، وفي الحرم إلى الكعبة.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠١).

(٢) «أبو جعفر» زيادة من «ت».

(٣) سلفت في عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

(٤) في «ش»: «صلواتهم».

(٥) انظر: «الدر المثور» للسيوطي (٦/٨٣).

جنة السنة

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ ﴾ وهو كل ما لا يجمل في الشرع من قول وفعل
﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ ﴾ المفروضة^(١) ﴿ فَاعِلُونَ ﴾ أي: مؤدّون .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ بالتعفف عن الحرام، والفرج:
اسم يجمع سوءة الرجل والمرأة .

﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ أي: زوجاتهم، والآية في الرجال خاصة؛
بدليل قوله:

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من السراري .

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ على إتيانهم في المآتي .

(١) «المفروضة» زيادة من «ت» .

جنة السنة

﴿فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي: طلب سوى الزوجات والسراري .

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المعتدون، استدل بذلك بعض العلماء على أن الاستمناء باليد حرام، وهو مذهب الثلاثة، ومذهب أحمد: يُباح إذا لم يجد طولاً لحره، ولا ثمن أمة، وخاف الزنا، فإن فعله لغير حاجة، عُزر لفعله محرماً، وحكم المرأة عنده كالرجل، فتستعمل شيئاً مثل الذكر عند الخوف من الزنا .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ﴾ جمع أمانة، وهي كل ما يؤتمن عليه؛ كأموال وحرم وأسرار . قرأ ابن كثير: (لَأَمَانَتِهِمْ) بغير ألف بعد النون على التوحيد؛ لقوله: (وَعَهْدِهِمْ)، وقرأ الباقر: بالألف على الجمع؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١) [النساء: ٥٩] .

﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ لمن عاهدهم أو عاهدوه ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠٢) .

جنة السنة

(صَلَاتِهِمْ) على التوحيد، والباقون: (صَلَوَاتِهِمْ) على الجمع^(١) والتوحيد، اسم جنس، فهو في معنى الجمع.

﴿يَحَافِظُونَ﴾ يداومون، وكررت الصلاة؛ لأنها أعظم العبادات.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(١٠).

[١٠] ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ يوم القيامة منازل الكفار من الجنة؛ لأن لكل واحد منزلين: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فالمؤمن يرث منزل الكافر من الجنة، والكافر يرث منزل المؤمن من النار.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١١).

[١١] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو أعلى الجنة.

﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يموتون ولا يخرجون، وقد ورد «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي! لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث»^(٢).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(١٢).

[١٢] ﴿وَلَقَدْ﴾ ابتداء كلام، والواو في أوله عاطفة جملة الكلام على

(١) المصادر السابقة.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١٥٥٥/٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٢٣٥)، عن عبد الله بن الحارث - رضي الله عنه - .

جنة السنة

جملة وإن تباينت في المعاني ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هو آدم عليه السلام .

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ أي : من طينة مستلة ، والسلالة : خلاصة الشيء ،
والعرب تسمي النطفة : سلالة ، والولد : سليلاً ؛ لأنهما مسلولان من
الرجل .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١٣)

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي : ابن آدم ﴿نُطْفَةً﴾ من مني .

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ الرحم .

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ
عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) .

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وتقدم تفسيرها في

سورة الحج ، والنطفة تقع في اللغة على قليل الماء وعلى كثيره ، وهي هاهنا
مني ابن آدم .

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ و(خلقنا) في الثلاثة المواضع بمعنى :

صيرنا .

﴿فَكَسَوْنَا﴾ أي : ألبسنا ﴿الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ قرأ ابن عامر ، وأبو بكر عن

عاصم : (عظماً) (فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف

جنة السنة

على التوحيد فيهما، وقراءهما الباقون: بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع^(١).

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ بنفخ الروح فيه، وقيل: هو تغير أحواله من ولادة إلى رضاع إلى قعود إلى قيام إلى مشي إلى أكل وشرب إلى تقلب في البلاد.

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ أي: تعالى وتقدس، وتبدل منه.

﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المقدرين، والخلق في اللغة: التقدير.

روي أن ابن أبي السرح كان يكتبها لدى النبي ﷺ، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال ﷺ: «اكتبها، فهكذا أنزلت»، فارتد وقال: إن كان محمد يوحى إليه، فأنا يوحى إلي، ثم أسلم يوم الفتح^(٢).

قال^(٣) الكواشي: وليس لأحد بهذه الحكاية طعن في القرآن، ولا في إعجازه؛ لأن الكلمة والكلمتين قد تتفق لمن لم يتقدم له قدم في قرآن ولا كلام ولا شعر، ولا يحصل بالكلمة والكلمتين إعجاز، وأقل ما يحصل الإعجاز بالسورة الواحدة، قال ابن جريج: إنما جمع الخالقين؛ لأن عيسى كان يخلق.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٣/٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٧)، عن السدي. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/٤٤٤).

(٣) في «ت»: «فقال».

جنة السنة

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ بعد تمام خلقكم .

﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ عند انقضاء آجالكم، والميت: من مات، والمئات: من سيموت .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ للمحاسبة والمجازاة .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ أي: سموات، جمع طريقة، سميت بذلك؛ لتطارق بعضها فوق بعض ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ فنسقط السماء عليهم .

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ بمقدار ما علمنا من كفايتهم .

﴿ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ فجعلناه ثابتاً مستقراً، ثم أخرجنا منه ينابيع، وكل ماء في الأرض من السماء، ثم امتن عليهم بإبقاء الماء فقال:

﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ ﴾ أي: على إزالته .

جنة السنة

﴿لَقَدَرُونَ﴾ فتموتون عطشاً، وتهلك مواشيكم، وتخرب أراضيكم.

وفي الخبر: «أن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات»^(١).

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: «خمسة أنهار» فزاد بعد الأربعة: «والنيل»^(٢).

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١٩).

[١٩] ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين^(٣).

﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تغذياً، وخص النخل والأعنب بالذكر؛ لأنها أكثر فواكه العرب بالحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما؛ ولأنهما أشرف الثمار، وذكرها مثلاً؛ تشریفاً لها، وتنبهاً عليها.

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن ابن عطف، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٩٥/٦).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣١٥/٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٣٤/٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٧/١). وقد روى مسلم (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كلٌّ من أنهار الجنة».

(٣) «بساتين» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِأَلَاكِلِينَ ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ وَشَجَرَةٌ ﴾ عطف على ﴿ تَخْرُجُ ﴾ أي: وأنشأنا لكم شجرة هي

الزيتون.

﴿ مِنْ طُورٍ ﴾ أي: جبل ﴿ سَيْنَاءَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بكسر السين، والباقون: بفتحها^(١)، ومعناهما: البركة؛ أي: من جبل مبارك.

﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (تَنْبُتُ) بضم التاء وكسر الباء؛ من أنبت، فالباء زائدة، وفائدة زيادتها دلالتها على ملازمة الإنبات للدهن؛ أي: تخرج الدهن، وقرأ الباقون: بفتح التاء وضم الباء؛ من نبت^(٢)؛ أي: تنبت بثمره الدهن، وهو الزيتون، وقيل: تنبت ومعها الدهن؛ كما تقول: خرج زيد بسلاحه، فملخص الاختلاف بين القراء: أن قراءة ابن كثير، وأبي عمرو (سَيْنَاءَ) بكسر السين (تَنْبُتُ) بضم التاء وكسر الباء، وقراءة نافع، وأبي جعفر: بكسر السين، و(تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء، وقراءة الكوفيين، وابن عامر، وروح: بفتح السين، و(تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء، وقراءة رويس: بفتح السين وضم التاء وكسر الباء.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٤/٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٥/٤).

جنة السنة

﴿ وَصَبَّغُوا لِلَّيْلِ ﴾ والصبغ: هو الإدام، معطوف على الدهن؛ أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز؛ أي: يُغمس فيه للائتدام.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ آية تعتبرون بها.

﴿ تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ من الألبان. قرأ أبو جعفر (تَسْقِيكُمْ) بالتاء مفتوحة؛ أي: تسقيكم الأنعام، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: نحن، وفتح النون: نافع، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، وضمها الباقون^(١).

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها.

﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فتنفعون بأعيانها.

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي: الإبل في البر.

﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ في البحر ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٦/٤).

جنة السنة

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ۗ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ معبود سواه . قرأ أبو جعفر، والكسائي: (غَيْرِهِ) بكسر الراء على نعت الإله حيث وقع، والباقون: بالرفع على التقديم^(١)؛ أي: ما لكم غيره من إله .

﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أفلا تخافون أن يهلككم إذا عبدتم غيره؟!

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ الملاء: الأشراف .

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يعلوكم؛ بأن يصير متبوعاً، وأنتم له تبع .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ألا يعبد سواه ﴿ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ بإبلاغ الوحي .

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ﴾ الذي يدعوننا إليه نوح .

﴿ فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ وفي قول هؤلاء استبعاد بعثة البشر، وهم مقرون

بالملائكة .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠٧) .

جنة السنة

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَتَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ (٢٥)

[٢٥] ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ ﴾ أي: جنون.

﴿ فَرَتَّصُوا بِهِ ﴾ فاحتملوه وانتظروا.

﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ أي: إلى أن يموت.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ (٢٦)

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ بعدما أيس من إيمانهم: ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي ﴾ بإهلاكهم ﴿ بِمَا

كَذَّبُونَ ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي. قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات

الياء، والباقون: بحذفها^(١).

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٢٧)

[٢٧] ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بحفظنا؛ أي: محفوظة؛

لأنه كان يعمل السفينة، ولا يخطئ في عملها ﴿ وَّوَحَيْنَا ﴾ أمرنا.

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ بالركوب. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ

أَمْرُنَا) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيَمْسُكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ

يَالْتَأِسُ لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ روي أنه قيل لنوح: إذا فار الماء من التنور، اركب

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٤/٢١١).

جنة السنة

أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه، أخبرته امرأته، فركب، وهو تنور الخبز في قول الأكثر، ومحل الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة، وقيل: عين وردة من الشام، وقيل غير ذلك.

﴿ فَاسْأَلْكَ ﴾ فأدخل ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين من الحيوان.

﴿ اثْنَيْنِ ﴾ ذكراً وأنثى، وقيل لهما زوجان؛ لأن كل واحد منهما يقال له زوج؛ لأنه لا بد لأحدهما من الآخر. قرأ حفص: (مِنْ كُلِّ) بالتونين؛ أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً، والباقون: بغير التونين على الإضافة^(١)، على معنى: احمل اثنين من كل زوجين، والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد، وتقدم ذكر القصة مستوفى في سورة هود.

﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ أي: واحمل أهلك من النسب ﴿ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ أي: سبق عليه الحكم بالهلاك، وهو كنعان، وامرأتك واعلة مستثنى من الأهل. ﴿ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا؛ بالدعاء لهم بالإنجاء ﴿ إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ لا محالة.

﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ ﴾ استقرت.

﴿ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ ﴾ راكباً فيها عالياً فوقها.

﴿ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الكافرين.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠٨).

حنة السنة

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَنْزِلًا) بفتح الميم وكسر الزاي؛ أي: مكاناً، والمراد: بطن السفينة، وقرأ الباقون: بضم الميم وفتح الزاي، مصدر بمعنى: الإنزال^(١)، وبركة السفينة: النجاة فيها ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ثناء مطابق لدعائه.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [٣٠].

[٣٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ دلالات على قدرتنا. ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ لمصيبين ببلاء، ومختبرين اختباراً يؤدي إلى ذلك، و(إِنْ) عند سيويه مخففة من الثقيلة، واللام لام تأكيد.

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد إهلاك قوم نوح. ﴿ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ يعني: قوم عاد.

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [٣٢].

[٣٢] ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ يعني: هوداً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠٨).

جنة السنة

﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله.
﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِيَهُمْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ فتؤمنون.

وقيل: إن القرن هم ثمود، ورسولهم صالح، قال البغوي: الأول أظهر^(١).

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴾^(٣٣).

[٣٣] ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ أي: بالمصير
إليها ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ نعمناهم، ووسعنا عليهم.
﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ منه.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾^(٣٤).

[٣٤] ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ لمغبونون؛ حيث
أذللتم أنفسكم.

﴿ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف عن
عاصم: (مِثْمٌ) بكسر الميم، والباقون: بضمها^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٤٦).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٤/٢٠٩).

جنة السنة

﴿ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ من قبوركم، استفهام بمعنى التوقيف على جهة الاستبعاد، وبمعنى الهزاء بهذا الوعد، و(أَنْتُمْ) الثانية بدل من الأولى، وفيها معنى تأكيد الأول، وكررت لطول الكلام.

﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوَعَّدُونَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ ﴾ كناية عن البعد، التقدير: بَعْدَ الوجود.

﴿ لِمَا تُوَعَّدُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: بكسر التاء منهما بغير تنوين، والباقون بفتحها فيهما، ووقف بالهاء: البزي، والكسائي، وروح، والباقون: يقفون عليهما بالتاء، وهو المختار^(١).

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ أرادوا: أنه لا وجود غير هذا الوجود ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: يموت بعض، ويولد بعض ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ بعد الموت كما تزعم.

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ يعنون: الرسول.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«الكشف» لمكي (١/١٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٠٩-٢١١).

جنة السنة

﴿إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين بالبعث .

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ بسبب تكذيبهم إياي . قرأ يعقوب :
(كذَّبُونِي) بإثبات الياء ، والباقون : بحذفها^(١) .

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِحُّنَّ نَادِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ عن زمان قليل و(ما) صلة لتوكيد معنى القلة
﴿لِيُصِحُّنَّ نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم إذا عاينوا العذاب .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ بما استحقوا من أفعالهم ، وبما حق منا
في عقوبتهم ، صاح عليهم جبريل عليه السلام ، فدمرهم .
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ هلكى كغشاء السيل لا ينتفع به ، وهو ما يحمله الماء
على وجهه من الزبد والبالى من النبات .

﴿فَبَعْدًا لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل الإخبار والدعاء .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٠) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٤/٢١١) .

جنة السنة

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ﴾ أقواماً.

﴿ آخَرِينَ ﴾ كقوم صالح ولوط وشعيب.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ المكتوب لها ﴿ وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴾ عنه.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَتْرَأُ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَتْرَأُ ﴾ مترادفين واحداً بعد واحد. قرأ أبو عمرو:

(رُسَلْنَا) بإسكان السين حيث وقع، والباقون: بضمها، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (تَتْرَى) بالتنوين، ويقفون بالألف، وهي ألف إلحاق، وقرأ الباقون: بغير تنوين، ونصبها على القراءتين حال، وأمال فتحه الراء: ورش، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو عمرو في الوقف بخلاف عنه^(١) ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ ﴾ أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل، ومع المجيء إلى المرسل إليهم؛ لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه، والمجيء الذي هو منتهاه إليهم. قرأ نافع، وأبو عمرو،

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٤/٢١٢).

جنة السنة

وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس: (جَاءَ أُمَّةً) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية^(١)، وهي أن تجعل بين بين، وقرأ الباقون، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين، ولم يقع في القرآن همزة مضمومة بعد همزة مفتوحة من كلمتين سوى هذا الحرف فقط^(٢).

﴿فَاتَّبَعَنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ أهلكنا بعضهم في إثر بعض.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يُتمثل بهم في الشر ﴿فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة؛

كاليد والعصا وغيرهما.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾^(٤٦).

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين بالظلم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢١٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢١٣).

جنة السنة

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿فَقَالُوا﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ يعنون: موسى وهارون ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿لَنَا عِدُونَ﴾ خاضعون متذللون كالعباد .

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق في بحر قلزم، وتقدم ذكره في سورة البقرة .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة .

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: قوم موسى .

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى عليه السلام ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ ولم يقل: آيتين؛ لأن المراد جعلنا قصتهما آية، وهي آيات مع التفصيل ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ أي: مكان مرتفع، وهو بيت المقدس، وهي أقرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلاً، وقيل: دمشق، وقيل: رملة فلسطين .

قال ابن عطية: ويترجح أن الربوة هي بيت لحم من بيت المقدس؛ لأن

جنة السنة

ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإيواء، وقيل: الربوة بأرض مصر^(١). قرأ ابن كثير، وعاصم: (رَبْوَةٌ) بفتح الراء، والباقون: بضمها^(٢) ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر؛ من المعن: الإسراع والإبعاد.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ هو خطاب لمحمد ﷺ، والمراد به: أن الله تعالى أخبر أنه قد قال لجميع الرسل قبله: ﴿كُلُّوًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات. ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ والصلاح: هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً﴾ شريعة ﴿وَاحِدَةً﴾ وهي الإسلام. قرأ الكوفيون: (وَلِإِنَّ) بكسر الهمزة على الابتداء، والباقون: بفتحها، وانفرد ابن عامر بتخفيف النون، وجعل (أن) صلة، مجازة: وهذه أمتكم، والباقون: بتشديد [النون]^(٣)؛ على معنى: وبأن هذه.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/١٤٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢١٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«النشر في القراءات =

جنة السنة

﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ فاحذرون. قرأ يعقوب: (فاتقوني) بإثبات^(١)

الياء.

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [٥٣]

[٥٣] ﴿ فَتَقَطَّعُوا ﴾ أي: الأتباع ﴿ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ تفرقوا دينهم.

﴿ زُبُرًا ﴾ جمع زبور، وهو الفرقة والطائفة، فصاروا فرقا يهوداً ونصارى ومجوساً، وتحزبوا في دينهم أحزاباً.

﴿ كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ بما عندهم من الباطل.

﴿ فَرِحُونَ ﴾ بما ابتدعوه، معتقدون أن دينهم حق.

﴿ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [٥٤]

[٥٤] ثم قال تهديداً لهم وتسلية له ﷺ: ﴿ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ ﴾ جهالتهم.

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى حين إتيان العذاب، ونُسخت بآية السيف.

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴾ [٥٥]

[٥٥] ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ ﴾ أي: ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم.

﴿ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴾ في الدنيا.

= العشر» لابن الجزري (٣٢٨/٢)، و«معجم القراءات القرانية» (٤/٢١٤-٢١٥).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ش».

جنة السنة

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٦).

[٥٦] ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: لا يتوهمون أن تعجلينا^(١) لرضانا عنهم. قرأ الدوري عن الكسائي: (نُسَارِعُ) و(يُسَارِعُونَ) بالإمالة^(٢).
﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أن ذلك استدراج لهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧).

[٥٧] ثم أخبر عن المسارعين إلى الخيرات فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون من عقابه.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ شركاً جلياً ولا خفياً.

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠).

[٦٠] ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا ﴾ يؤدون ما أدوا من زكاة وغيرها.

(١) «أن تعجلينا» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢١٦-٢١٧).

جنة السنة

﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة ألا تقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: لأنهم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ رَجِعُونَ ﴿ فحذفت اللام؛ أي: لأنهم يوقنون أن مرجعهم إلى الله، فيكون قوله ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ علة لقوله: ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ .

﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٦١) .

[٦١] ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ يبادرون إلى الأعمال الصالحة .

﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾ أي: من أجلها ﴿ سَابِقُونَ ﴾ إلى رضوان الله تعالى .

﴿ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦٢) .

[٦٢] ﴿ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ طاقتها، فمن لم يستطع القيام، فليصل قاعداً، أو من لم يستطع الصوم، فليفطر .

﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ بما سُطِر فيه .

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لا يُنْقَص من حسناتهم، ولا يزداد على سيئاتهم .

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ (٦٣) .

[٦٣] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ في غفلة .

﴿ مِّنْ هَذَا ﴾ القرآن .

جنة السنة

﴿ وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ أي: دون الشرك، وهي سعايات فساد.
﴿ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ فيعذبون بها.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْشَرُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ حَتَّىٰ ﴾ هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام الجملة الشرطية، وهي:

﴿ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ أي: أغنياءهم ﴿ بِالْعَذَابِ ﴾ وهو قتلهم يوم بدر.
﴿ إِذَا هُمْ يَجْشَرُونَ ﴾ يرفعون أصواتهم بالدعاء.

﴿ لَا يَجْعُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ لَا يَجْعُرُوا الْيَوْمَ ﴾ لا تَضْجُوا.
﴿ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴾ لا تمنعون، المعنى: استغاثتكم لا تمنعكم من عذابنا.

﴿ فَذَٰكَرْتُمْ آيَاتِي نُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ فَذَٰكَرْتُمْ آيَاتِي نُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴾ ترجعون القهقري عن الإيمان.

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلَمًا نَّهَجْرُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾ متعظمين بالبيت الحرام، كانوا يقولون:

جنة السنة

لا يظهر علينا أحد؛ لأننا أهل الحرم.

﴿سَمِرًا﴾ أي: سمّاراً؛ أي: متحدثين، ونصبه على الحال.

﴿تَهَجُّرُونَ﴾ قرأ نافع: بضم التاء وكسر الجيم؛ من الإهجار، وهو الإفحاش؛ أي: تفحشون، وقرأ الباقون: بفتح التاء وضم (١) الجيم؛ من هجر، وهو الهذيان؛ من قولهم: هجر الرجل في منامه: إذا هذى (٢).

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨)

[٦٨] ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ ألم يعتبر المشركون القرآن، فاعلموا حال من تقدمهم، فيؤمنوا ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ جاءتهم براءة من العذاب لم تأت آباءهم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ﴾ (٦٩)

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ محمداً ﷺ.

﴿فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ﴾ جاحدون، وهو استفهام توبيخ وإنكار عليهم؛ لإعراضهم عنه بعد معرفتهم إياه بالصدق والأمانة.

(١) في «ت»: «وكسر» وهو خطأ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢١٨).

جنة السنة

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ جنون، وليس كذلك .

﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن وما فيه من شرائع الإسلام .

﴿ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴾ ؛ لأنه يخالف شهواتهم .

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ في جعل شريك له ، والحق هو الله .

﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ ﴿ لما سبق تقريره في سورة الأنبياء في قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الآية: ٢٢] .

﴿ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾ بما يذكرهم ، وهو القرآن .

﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يلتفتون إليه .

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ ﴾ على ما جئتهم به .

﴿ خَرْجًا ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (خَرَاجًا) بفتح الراء وألف

بعدها ، والباقون : بإسكان الراء من غير ألف ، وتقدم تفسيره في سورة

الكهف عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ [الآية: ٩٤] .

جنة السنة

﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزقه وثوابه. قرأ ابن عامر: (فَخَرَجُ رَيْكَ) بإسكان الراء من غير ألف، والباقون: بفتح الراء وألف بعدها^(١).

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ أفضل المعطين.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٧٣]

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾ [٧٤]

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾ لعادلون عن

الطريق.

﴿وَلَوْ رَمَيْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَلَجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ﴾ [٧٥].

[٧٥] ولما أراد النبي ﷺ الدعاء برفع القحط عن قريش، نزل: ﴿وَلَوْ

رَمَيْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ﴾ قحط وجوع.

﴿لَلَجُؤُا﴾ لتماذوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ وكفرهم بمحمد ﷺ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ عن الهدى.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥

و١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٠).

جنة السنة

روي أن أهل مكة قحطوا حتى أكلوا العُلْهَز، وهو وَبَر الجمال، وذلك حين دعا رسول الله ﷺ بقوله: «اللهمَّ سَبِّعاً كَسَنِي يَوْسُفَ» الحديث، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشدك الله والرحمَ أَلست تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين؟! فقال: «بلى»، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فادع الله يكشف عنا هذا القحط، فنزلت الآية^(١). قرأ الدوري عن الكسائي: (طُغْيَانِهِمْ) بالإمالة حيث وقع^(٢).

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾^(٧٦).

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ يعني: القتل والجوع.

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ فما خضعوا.

﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ أي: لم يتضرعوا، بل مضوا على تمردهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٧٧).

[٧٧] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو القتل يوم بدر.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤٥/١٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٢٥٣/٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١١١/٦)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤٠٥/٢)، و«لباب النقول» للسيوطي أيضاً (ص: ١٥٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٠/٤).

جنة السنة

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ .
 ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿ القلوب .
 ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي : لم تشكروا قليلاً ولا كثيراً .

﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ .
 ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴿ خلقكم ﴾ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ تبعثون .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿ أي : القدرة التي
 عنها ذلك ، والاختلاف هنا : التعاقب .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتستدلون بالصنعة على صانعها فتؤمنون؟!

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

﴿٨١﴾ ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ وقوله : (بَلْ) إضراب ، والجحد
 قبله مقدر؛ كأنه قال : ليس لهم نظر في هذه الآيات ، أو نحو هذا ،
 و(الأوّلون) يشير به إلى الأمم الكافرة؛ كعاد وشمود .

﴿ قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

﴿٨٢﴾ ﴿ قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون ،

جنة السنة

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب . واختلف القراء في (أَيْدَا) (أَيْنَا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني، وعكسه، والاستفهام فيهما، وفي ضم الميم وكسرها من (مِتْنَا)، فقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: (إِذَا) بالإخبار، (مُتْنَا): بضم الميم، (أَيْنَا): بالاستفهام، فابن عامر يحقق الهمزتين، وأبو جعفر يسهل الثانية، ويفصل بينهما بألف، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين، وقرأ نافع: (أَيْدَا): بالاستفهام وتسهيل الهمزة الثانية، (مِتْنَا): بكسر الميم و(إِنَّا): بالإخبار، ووافقه رويس عن يعقوب في حكم الهمزتين، وخالفه في الميم، فقرأها: بالضم، وقرأ الكسائي: (أَيْدَا): بالاستفهام، ويحقق الهمزتين، (مِتْنَا): بكسر الميم، و(إِنَّا): بالإخبار، ووافقه روح عن يعقوب في حكم الهمزتين، وقرأ: (مُتْنَا) بضم الميم؛ كرويس، وقرأ الباقون: (أَيْدَا) (أَيْنَا): بالاستفهام فيهما، فابن كثير، وأبو عمرو يسهلان الهمزة الثانية منهما، وأبو عمرو يفصل بينهما بألف، واتفقا على ضم الميم من (مُتْنَا)، وعاصم، وحمزة، وخلف: يحققون الهمزتين منهما، ويكسر حمزة وخلف الميم، واختلف عن عاصم، فقرأ أبو بكر عنه: بالضم، وحفص: بالكسر، فمن قرأ بالاستفهامين، فذلك للتأكيد، ومن استفهم في الأول فقط، فإنما يقصد بالاستفهام الموضع الثاني^(١)، تقديره: أنبعث ونحشر إذا، ومن استفهم في الثاني فقط، فمعناه: إذا كنا تراباً، أنبعث؟

(١) سلفت عند تفسير الآية (٥) من سورة رعد.

جنة السنة

﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ ﴾ هذا الوعد ﴿ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي :
وعدة آباءنا قومٌ ذكروا أنهم رسل الله ، فلم نر له حقيقة .
﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم التي كتبوها ، جمع أسطورة .

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾ .

[٨٤] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد مجيباً لأهل مكة :
﴿ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾ من الخلق .
﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ خالقها؟

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] فإنهم ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ فثم .
﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة الدالة على الصانع ، فتؤمنون؟

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

جنة السنة

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوتُ ﴾ (٨٧).

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوتُ ﴾ الله تعالى .

﴿ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٨).

[٨٨] ﴿ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الملكوت: الملك، والتاء فيه للمبالغة .

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ يمنع من^(١) السوء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ ولا يمنع^(٢) منه من أراده بسوء ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قيل: معناه: أجيوا إن كنتم تعلمون .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ (٨٩).

[٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ فكيف تخدعون عن طاعته؟ المعنى: كيف يخيل لكم الحق باطلاً؟ اختلف القراء في (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) في الحرفين الأخيرين، فقرأ أبو عمرو، ويعقوب: بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيهما، ورفع الهاء من الجاليتين جواباً على اللفظ؛ لأنك تقول: من رب هذا؟ فالجواب: فلان؛ لأنه جواب (من) لفظاً، وكذلك رسماً في المصاحف البصرية، وقرأ الباقر: (لِلَّهِ) بغير ألف فيهما، وخفض الهاء،

(١) في «ش»: «عن» .

(٢) «ولا يمنع» ساقطة من «ش» .

جنة السنة

وكذلك رسماً في مصاحف الحجاز والشام والعراق^(١)، فجعلوا الجواب على المعنى؛ كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان؛ أي: أنا لفلان، وهو مولاي، واتفقوا على الحرف الأول أنه (لله)؛ لأن قبله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾، فجاء الجواب على لفظ السؤال، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذَكُّرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بالتشديد^(٢)، وقرأ رويس عن يعقوب: (بِيَدِهِ) باختلاس كسرة الهاء، والباقون: بالإشباع^(٣).

﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٩٠).

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ادعائهم الشريك، وتكذيب الرسل.

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٩١).

[٩١] ثم أكد تكذيبهم بقوله: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٥٤-٢٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٢).

جنة السنة

إِلَهٍ ﴿ أَي : شريك ، فالتقدير : ولو كان معه آلهة .

﴿ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ لانفرد به ، ولم يرض بإضافة خلقه .

إلى غيره ﴿ وَلَعَلَّا ﴾ ارتفع ﴿ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ مغالبة وتكبراً ؛ لأن كل إله يطلب انفراداً بألوهيته وخلقها ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ أي : تعظم ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ له من الشريك والولد .

﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ ٩٢ ﴾ .

[٩٢] ﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وأبو بكر عن عاصم : (عَالِمٌ) يرفع الميم على الابتداء ، واختلف عن رويس حالة الابتداء ، وقرأ الباقون : بجرها على نعت الله في (سُبْحَانَ اللَّهِ) (١) .

﴿ فَتَعَلَّىٰ ﴾ الله (٢) ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به من الأصنام وغيرها .

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَاتُرَيْبِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ﴿ ٩٣ ﴾ .

[٩٣] ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَاتُرَيْبِي ﴾ أي : إن أريتني .
﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من القتل والعذاب .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٤٧) ، و«تفسير البغوي» (٣/٢٥٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٢) .

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت» .

جنة السنة

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي : فاجعلني خارجاً منهم إذا نزل بهم العذاب .

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

[٩٥] ثم أوماً إلى حلول العذاب بهم فقال : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب ﴿ لَقَدِيرُونَ ﴾ وقد أراه عذاب المشركين ببدر وغيرها .

﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ثم أمره بالعضو عنهم فقال : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي ﴾ أي : بالخلة التي . ﴿ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وهي الصفح ومكارم الأخلاق ﴿ السَّيِّئَةِ ﴾ الصادرة منهم إليك^(١) ، ونسخت بآية السيف ، ثم تهددهم بقوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

[٩٧] ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾ أمتنع وأعتصم بك ﴿ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ وسأوسهم ونزغاتهم ، وأصل الهمزة : شدة الدفع .

(١) «إليك» ساقطة من «ش» .

جنة السنة

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ ﴿٩٨﴾ .

[٩٨] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ عند الموت، ويحوموا حولي في

شيء من الأحوال؛ لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه .

﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ﴿٩٩﴾ .

[٩٩] ثم أخبره أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة

إلى الدنيا عند معاينة الموت، فقال: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

ارْجِعُونِ ﴾ جمع الضمير تعظيماً لله تعالى؛ أي: ردوني إلى الدنيا. قرأ

يعقوب: (يَحْضُرُونِي) (ارْجِعُونِي) بإثبات الياء فيهما، وحذفها الباكون^(١)،

واختلافهم في الهمزتين من (جَاءَ أَحَدَهُمْ) كاختلافهم فيهما من: ﴿ وَيَمْسِكُ

السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ

بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

[١٠٠] ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾ بأن أقول: لا إله إلا الله . قرأ الكوفيون،

ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباكون: بفتحها^(٢) .

﴿ فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ضَيَّعَتْ من عمري .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٤/٢٢٣) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٣) .

جنة السنة

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن طلب الرجعة، واستبعاد لذلك ﴿ إِنَّهَا ﴾ يعني: سؤاله الرجعة ﴿ كَلِمَةٌ هَوَّاقِلُهَا ﴾ ولا ينالها.

﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ ﴾ أي: أمامهم ﴿ بَرَزِحْ ﴾ أي: حاجز، وهو القبر.
﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فلا يرجعون أبداً؛ لأنه لا رجوع بعد البعث.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ .

[١٠١] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ وهو القرن، وهذا عند النفخة الأولى، وقيل: عند النفخة الثانية إذا بعث الناس ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ يفتخرون بها ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ في الآخرة؛ كما يفتخرون في الدنيا ﴿ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ كما يتساءلون في الدنيا؛ لاشتغال كلِّ بنفسه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) بإدغام الباء الأولى في الثانية^(١).

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ .

[١٠٢] ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بالحسنات.
﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات.

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ .

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٤).

جنة السنة

[١٠٣] ﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بالسيئات .

﴿ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ غبنوها ، فهم .

﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ وجمع الموازين من حيث الموزون جمع ، وهي أعمال ، ومعنى الوزن : إقامة الحججة على الناس بالمحسوس على عاداتهم وعرفهم .

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾

[١٠٤] ﴿ تَلْفَحُ ﴾ تحرق ﴿ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ عابسون ، بادية أسنانهم ؛ لتشمير شفاههم منها ؛ لشدة ما يلقون .

وفي الحديث : «إن النار لتشويهه ، وتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»^(١) .

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴾ ﴿١٠٥﴾

[١٠٥] ﴿ أَلَمْ ﴾ أي : يقال لهم : ألم .

﴿ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني : القرآن .

﴿ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴾ تذكيراً لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله .

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٧) ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة أهل النار ، وقال : حسن صحيح غريب ، والإمام أحمد في «المسند» (٨٨/٣) ، والحاكم في «المستدرک» (٣٤٩٠) ، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

جنة السنة

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ .

[١٠٦] ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ أي : غلبنا الشقاء الذي كتب علينا فلم نهتد . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (شَقَاوَتُنَا) بفتح الشين والقاف وألف بعدها ، وقرأ الباقر : بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف ، وهما لغتان^(١) .

﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ عن الهداية .

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

[١٠٧] فعند دخولهم النار يقولون :
﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا ﴾ خالفناك .
﴿ فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ لأنفسنا .

﴿ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

[١٠٨] ﴿ قَالَ ﴾ الله لهم مجيباً بعد ألف سنة ﴿ أَخْسُوا فِيهَا ﴾ ابعثوا في جهنم أذلاء ؛ من خسأت الكلب : إذا زجرته .

﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ في رفع العذاب عنكم ، فلا سبيل إليه . قرأ يعقوب : (تُكَلِّمُونِي) بإثبات الياء ، والباقر : بحذفها^(٢) ، فعند ذلك أيس الكفار من

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٤٨) ، و«تفسير البغوي» (٣/٢٥٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٤) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٠) ، و«معجم القراءات =

جنة السنة

الفرج، وهو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعده إلا بالشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب، لا يفهمون ولا يفهمون.

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [١٠٩]

[١٠٩] ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي ﴾ وهم المؤمنون.

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [١١٠]

[١١٠] ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام^(١)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (سُخْرِيًّا) بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقون: بالكسر؛ من الهزاء والسخرية^(٢).

= القرآنية» (٤/٢٢٥).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقي (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/١٥-١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، و«تفسير البيهقي» (٣/٢٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٦).

جنة السنة

﴿ حَتَّىٰ أَسْؤُكُمْ ذِكْرِي ﴾ من فرط انشغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم .
﴿ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ نزلت في بلال وصهيب وعمار وسلمان ،
كان المشركون يسخرون بهم وبالإسلام ، ويؤذونهم^(١) .

﴿ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴾^(١١١)

[١١١] ﴿ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ ﴾ النعيم المقيم .

﴿ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴾ بمطلوبهم . قرأ حمزة ، والكسائي :
(إِنَّهُمْ) بكسر الألف على الاستثناف ، وقرأ الباقون : بفتحها^(٢) ؛ أي :
لأنهم .

﴿ قُلْ كَمْ لِيَشْرَبُوا فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾^(١١٢)

[١١٢] ﴿ قُلْ كَمْ لِيَشْرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : في الدنيا أحياء .

﴿ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي : (قُلْ كَمْ) بضم القاف
بلا ألف بعدها ، أمر لمالك أن يسألهم ، وقرأ الباقون : بفتح القاف وألف
بعدها^(٣) ، إخبار عن الله تعالى أنه هو الذي^(٤) يسألهم ، وقرأ نافع ، وابن

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٢٥٩/٣) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٤٩) ، و«تفسير البغوي» (٢٥٩/٣) ،
و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٦/٤) .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٤٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٠) ،
و«تفسير البغوي» (٢٦٠/٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٦-٢٢٧/٤) .

(٤) «الذي» ساقطة من «ش» .

جنة السنة

كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) بإظهار التاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام^(١)، وقرأ أبو عمرو: (عَدَدَ سَنِينَ) بإدغام الدال في السين في هذا الحرف لا غير^(٢).

﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ ﴾^(١١٣).

^١ [١١٣] ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ استقصروا مدة لبثهم، وشكوا فيها؛ لعلم ما هم بصده من العذاب.

﴿ فَسَأَلَ الْعَادِينَ ﴾ الحاسبين، وهم الملائكة الذين يحصون أعمال الخلق وأعمارهم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلَّ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(٣).

﴿ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١١٤).

[١١٤] ﴿ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ ﴾ في الدنيا.

﴿ إِلَّا ﴾ ﴿ لَبِثًا ﴾ ﴿ قَلِيلًا ﴾ لأن أيام السرور قليلة.

﴿ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ مدة لبثكم، لما أجبتم بهذا الجواب. قرأ

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١٣٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٧/٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٧/٤).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٧/٤).

جنة السنة

حمزة، والكسائي: (قُلْ إِنَّ عَلَى الْأَمْرِ، والباقون: (قال) (١) على الخبر، كما تقدم في ﴿قُلْ كَمْ﴾ [الآية: ١١٢].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥).

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لغرض صحيح، ونصبه على الحال، وهو توبيخ على تغافلهم.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة، فنجازيكم. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم (٢).

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ (١١٦).

[١١٦] ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك مطلقاً؛ أي: تنزه عن مقالتهم في جهته من صاحبة والولد، ومن حسابهم أنهم لا يرجعون إليه، وغير ذلك.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ الحسن العظيم.

(١) «قال» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨-٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٢٨).

جنة السنة

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [١١٧].

[١١٧] ثم توعّد تعالى عبدة الأصنام بقوله: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ يعبدّه .

﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ أي: فلا برهان له به، أي: لا حجة له عليه، ولا فيما يفعل من عبادة غير الله .

﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ أي: مكافأته عند الله، فهو يجازيه بما يستحقّه .

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ لا يبلغون أمنيّاتهم، ولا ينجح سعيهم، وجعل فاتحة هذه السورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وخاتمتها ﴿ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ فستان ما بين الفاتحة والخاتمة .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعْرِضْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [١١٨].

[١١٨] ثم أمر رسوله ﷺ أن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم الرحمة، فقال: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعْرِضْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ لأن كل راحم يتصرف على إرادة الله تعالى وتوفيقه، وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة له فيها، والله أعلم .

* * *



مدنية، وآيها: أربع وستون آية، وحروفها: خمسة آلاف وست مئة
وثمانون حرفاً، وكلمها: ألف وثلاث مئة وست عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١﴾

[١] ﴿سُورَةٌ﴾ خبر ابتداء مضمّر، تقديره: هذه السورة.

﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفتها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (وَفَرَضْنَاهَا) بتشديد الراء؛ أي:
فصلنا وبيّنا ما فيها من الأحكام، والتشديد للتكثير، لكثرة ما فيها من
الفرائض، وقرأ الباقون: بالتخفيف^(١)؛ أي: أوجبنا ما فيها من الحدود
والأحكام، وألزمناكم العمل بها.

﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ بالامر والنهي ﴿بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. قرأ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٣)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٤/٢٣٣).

جنة السنة

حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذَكُّرُونَ) بتخفيف الذال حيث وقع، والباقون: بالتشديد^(١).

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

[٢] ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فَاجْلِدُوا ﴾ فاضربوا.

﴿ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ يعني: إذا كانا حرَّين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين، وأما إذا كانا ثيبين، فعليهما الرجم بغير جلد بالاتفاق، والرجم بالحجارة حتى يموت، وشرائط الإحصان الموجب للرجم إذا زنى بعد وجودها فيه أربعة: العقل، والحرية، والبلوغ، والوطء في نكاح صحيح عند الشافعي وأحمد، ولم يشترط^(٢) الإسلام؛ خلافاً لأبي حنيفة ومالك؛ فإن الإسلام عندهما شرط، فتكون الشرائط عندهما خمسة، ولا يُحفر لرجم الرجل بالاتفاق، ولا للمرأة عند مالك وأحمد، ويحفر لها عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: إن ثبت عليها بالبينة، استحَب أن يحفر لها، وإن ثبت بإقرارها، لم يحفر لها^(٣)، وتقدم في سورة النساء الكلام على حكم الزنا والجلد والتغريب في حق الحر والرقيق، وثبوته بالإقرار والبينة،

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٤).

(٢) في «ش»: «يشترط».

(٣) «وإن ثبت بإقرارها لم يحفر لها» زيادة من «ت».

جنة السنة

واختلاف الأئمة في ذلك مستوفى عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: ١٥]، وعند قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: ٢٥]، وقدم الزانية؛ لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل، وعرض نفسها عليه.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قرأ قنبل عن ابن كثير: (رَأْفَةٌ) بفتح الهمزة، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون: بإسكانها^(١)، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وورش: يبدلون الهمز بالألف على أصلهم، وأبو عمرو يدغم التاء في الجيم من قوله: (مِئَةٌ جَلْدَةٌ)^(٢)، والرأفة: أرق الرحمة؛ أي: لا تخففوا جلدهما رأفة بهما، ولكن تصلبوا ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ في حكمه، وأوجعهما ضرباً، وأقيموا حدوده كما أمركم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ اقتداء برسول الله ﷺ، لأنه قال: «والله لو سرقت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها»^(٣)، فتجب إقامة الحد على من لزمه بالاتفاق، ويضرب الرجل قائماً عند الثلاثة، وعند مالك: جالساً، وأما المرأة، فتضرب جالسة باتفاقهم، وسوط الحد عند الشافعي ما بين قضيب وعصا رطب ويابس، وعند الثلاثة: يضرب بسوط لا جديد

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٤).

(٣) رواه البخاري (٣٢٨٨)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (١٦٨٨)، كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، عن عائشة - رضي الله عنها -.

حنة السنة

ولا خَلَقَ، ويجرد الرجل من ثيابه عند أبي حنيفة ومالك، وأما المرأة عندهما: ينزع عنها من الثياب ما يقيها ألم الضرب؛ مثل الفراء ونحوها، وعند الشافعي: لا يجرد، وعند أحمد: يكون على الرجل القميص والقميصان، والمرأة تشد عليها ثيابها، وأما الضرب، فلا يبألغ فيه بحيث يشق الجلد، ويُفرك على أعضائه، إلا الوجه والفرج وموضع المقتل بالاتفاق.

واختلفوا في أشد الجلد، فقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، ثم الزنا، ثم الشرب، ثم القذف، وقال مالك والشافعي: الجلد في الحدود كلها سواء، وقال أحمد: أشده الزنا، ثم القذف، ثم الشرب، ثم التعزير.

واختلفوا في الذمي إذا زنى وهو حر بالغ عاقل^(١) قد كان تزوج ووطيء في التزويج الصحيح، فقال أبو حنيفة ومالك: لا يرجم؛ لأن عندهما لا يتصور الإحصان في حقه؛ لأن الإسلام من شروط الإحصان عندهما كما تقدم، ويجلد مئة عند أبي حنيفة، وعند مالك يعاقبه الإمام اجتهاداً، وعند الشافعي وأحمد هو محصن، وليس الإسلام من شروط الإحصان، وعليه الرجم عندهما، وأما إذا كان غير محصن، فإنه يحد للزنا عند الثلاثة، وقال مالك: لا يحد.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾ وليحضر حدهما إذا أقيم عليهما.

﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ زيادة في التنكيل بالتفويض، قال مالك: ينبغي للإمام أن يحضر في حد الزنا طائفة من المؤمنين الأحرار العدول، والطائفة أربعة فصاعداً، وقال أحمد: يجب حضور إمام أو نائبه

(١) في «ت»: «بالغ عاقل حر».

جنة السنة

وطائفة، ولو واحداً، ويسن حضور شهوده، وبدأتهم بالرجم إن كان الحد رجماً، وقال الشافعي: يستحب حضور الإمام وشهوده، وقال أبو حنيفة: للإمام أن يحضره، ويجوز أن يبعث بأمين، ويأمره بإقامة الحد، ويبدأ الشهود بـرجم المحصن، ثم الإمام، ثم الناس إن ثبت بالبينة، وإن ثبت بالإقرار، ابتداءه^(١) الإمام، ثم الناس.

وفي الحديث: «اتقوا الزنا؛ فإن فيه ستّ خصال: ثلاث في الدنيا: يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وثلاث في الآخرة: السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار»^(٢).

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في قوم فقراء من المهاجرين هموا أن يتزوجوا بغايا كُنَّ بالمدينة، فأنزل الله عز وجل تحريمه^(٣)؛ لأنهن كن زانيات ومشركات، وبين أنه لا يتزوج بهن إلا زان أو مشرك، وأن ذلك حرام على

(١) في «ت»: «ابتداءً».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٨٣/٤)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣١٧/٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٩٨/١)، عن حذيفة - رضي الله عنه -.

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢٥٢٢/٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٨-١٨٠).

جنة السنة

المؤمنين، وإن كان ظاهر الآية خبر، فهو بمعنى النهي، وقيل غير ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤].

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ قرأ الكسائي: (المُحْصِنَاتِ) بكسر الصاد حيث وقع، والباقون: بالفتح^(١)، المعنى: الذين يقذفون بالزنا المسلمات الحرائر العفائف.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يشهدون على زناهن.

﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ اضربوهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ قرأ أبو عمرو: (بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) بادغام التاء في الشين في هذا الحرف والذي بعده^(٢)، والقذف: هو الرمي بالزنا، أو لواط، أو شهادة عليه، ولم تكمل البيعة، فكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال: زني، أو يا زاني، فإن أقر المقذوف بالزنا، أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه، سقط الحد عن القاذف، وترتب الحكم على المقذوف، كما تقدم الكلام عليه مستوفى في سورة النساء، وإن أنكر المقذوف، ولم يقر القاذف البيعة، وجب عليه الحد، وهو ثمانون جلدة إن كان القاذف حراً، وأربعون إن كان عبداً بالاتفاق، إن كان المقذوف محصناً، فإن كان غير محصن، فعلى القاذف التعزير.

والإحصان: أن يكون حراً مسلماً عاقلاً عفيفاً عن الزنا بالاتفاق، وهل

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٦).

جنة السنة

يشترط بلوغه؟ قال أحمد: لا يشترط إذا كان مثله يجمع، وقال الثلاثة: يشترط، ومالك يحد قاذف الصبية التي يوطأ مثلها، ولا يحد قاذف الصبي الذي يوطأ مثله.

وهل هو حق لله أو للآدمي؟ قال أبو حنيفة: هو حق لله، فلا يصح العفو عنه، لكن لو عفا المقذوف لا يحد القاذف، لا لصحة عفو، بل لترك طلبه، حتى لو عاد فطلب، يحد، وقال مالك: لا بأس بعفو المقذوف عن قاذفه قبل بلوغ الإمام، ولا يجوز عفو بعد ذلك، إلا أن يريد ستر نفسه، وقال الشافعي وأحمد: هو حق للآدمي يسقط بعفوه.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ إذا شهدوا.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لأنهم فسقوا برمي المحصنة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥] ثم استثنى منه ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ القذف.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ حالهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

واختلفوا في قبول شهادة القاذف بعد إقامة الحد عليه إذا تاب، فقال أبو حنيفة: لا تقبل شهادة المحدود فيه، وإن تاب عن جريمة القذف، لكن لا يرد شهادته بنفس القذف، وإنما يردها بإقامة الحد، ومالك والشافعي وأحمد يردون شهادته بنفس القذف، وقالوا: تقبل شهادته بعد التوبة، سواء كانت قبل الحد أو بعده، وصفتها عند الشافعي: أن يقول: قذفي باطل، وأنا نادم، ولا أعود إليه، وعند مالك وأحمد: توبته أن يكذب نفسه، إلا أن مالكا اشترط مع التوبة بعد الحد ألا تقبل شهادته في مثل الحد الذي أقيم

جنة السنة

عليه، ودليل أبي حنيفة على عدم قبول شهادته على التأييد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، وذكره بالتأييد يدل على أنها لا تقبل في كل حال، والاستثناء منصرف إلى ما يليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ ^(٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا، ومن قال بقبول شهادته إذا تاب، قال: لأن الله تعالى استثنى التائبين عقب النهي بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ^(٦).

[٦] ولما نزلت هذه الآية في الذين يرمون المحصنات، تناول ظاهرها الأزواج وغيرهن، فقال سعد بن عباد: يا رسول الله! إن وجدتُ مع امرأتي رجلاً، أمهله حتى آتي بأربعة شهداء! والله لأضربنه بالسيف غير مصفح، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأننا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني»^(١)، ثم جاء بعد ذلك هلال بن أمية إلى النبي ﷺ، فرمى زوجته خولة بشريك بن سمحاء، فعزم النبي ﷺ على ضربه حد القذف، فنزل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ ^(٢) أَي: يقذفون نساءهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ أَي: غير أنفسهم. واختلاف

(١) رواه البخاري (٦٤٥٤)، كتاب: المحارِبين، باب: من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، مسلم (١٤٩٩)، كتاب: اللعان.

(٢) رواه البخاري (٤٤٧١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَذُرُوا عَنَّا الْعَذَابَ﴾، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

جنة السنة

القراء في الهمزتين من (شُهَدَاءُ إِلَّا) كاختلافهم فيهما من ﴿نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في سورة الحج .

﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ ليدرأ عنه الحد ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾
قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) برفع العين على خبر الابتداء (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) التي تدرأ الحد (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ)، وقرأ الباقر: بالنصب؛ أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله^(١).

﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٧﴾

[٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: يلعن الزوج نفسه .

﴿إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما قذف زوجته به من الزنا . قرأ نافع، ويعقوب: (أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ) بإسكان النون مخففة، ورفع (لَعْنَتُ)، وقرأ الباقر: بنصبها مشددة، ونصب (لَعْنَتَ)، و(لعنت)^(٢) رسمت بالتاء، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(٣).

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٦).
- (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«المحتسب» لابن جني (٢/١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٧).
- (٣) سلفت عند تفسير الآية (٦١) من سورة آل عمران.

جنة السنة

﴿ وَيَذُرُّهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ وَيَذُرُّهَا ﴾ أي: يدفع ﴿ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ أي: حد الزنا .
﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴾ فيما قذفها به .

﴿ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ فيما رماني به . قرأ حفص عن عاصم (وَالْخَمِيسَةَ) بالنصب؛ أي: وتشهد الشهادة الخامسة، والباقون: بالرفع على الابتداء، وخبره في (أَنْ) كالأولى^(١)، وقرأ نافع، ويعقوب: بإسكان النون مخففة كالأولى، والباقون: بنصبها مشددة، واختص نافع بكسر الضاد وفتح الباء من (غَضِبَ) على الفعل الماضي، ورفع الجلالة بعده، واختص يعقوب برفع الباء من (غَضِبَ)، وقرأ الباقر: بنصب الضاد والباء على الاسم^(٢) .

﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ وجوابه

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٧) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٨) .

جنة السنة

محذوف للتعظيم؛ أي: لعذبكم، ولكشف الزناة بأيسر من هذا.

فلما نزلت الآية، جمعهما رسول الله في المسجد، وتلاعنا، فتلكأت المرأة عند الخامسة لما وعظت، وقيل لها: إنها موجبة، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، وفرق رسول الله ﷺ بينهما، وولدت غلاماً أشبه خلق الله بشريك، ثم كان الغلام بعد ذلك أميراً بمصر، وهو لا يعرف لنفسه أباً.

وأما حكم الآية، فإنه إذا قذف الرجل المكلف امرأته المحصنة؛ أي: البالغة العاقلة الحرة المسلمة العفيفة بالزنا، وجب عليه الحد إن طلبت، وله إسقاط الحد باللعان، وهو شرعاً: شهادات مؤكدة بأيمان من الجانبيين، مقرونة باللعن والغضب، قائمة مقام حد قذف في جانبه، وحد زنا في جانبها، وصفته: أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إنني لمن الصادقين فيما رميت به امرأتي هذه من الزنا، ويشير إليها، وإن لم تكن حاضرة، سماها، ونسبها حتى يكمل أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رميتها به من الزنا، فيلزمها حينئذ الحد، ويدراً عنها بأن تقول هي: أشهد بالله أنه من الكاذبين فيما رماني به من الزنا، أربع مرات، ثم تقول في الخامسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رماني به من الزنا، فإن لعنت المرأة قبل الزوج، اعتد به عند أبي حنيفة؛ لأن المقصود تلاعنهما، وقد وجد، وقال الثلاثة: لا يعتد به؛ لأنه على غير الترتيب المشروع.

ويكون اللعان وهما قائمان بحضور الحاكم وجماعة في الأوقات والأماكن المعظمة، وإذا بلغ كل منهما الخامسة، وعظه الحاكم،

جنة السنة

فيقول: اتق الله؛ فإنها الموجبة للعذاب، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

ويصح اللعان بين الزوجين، ولو كانا ذميين أو رقيقين أو فاسقين عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: يشترط أن يكونا من أهل الشهادة؛ بأن يكونا حرين مسلمين^(١) عاقلين بالغين غير محدودين في قذف، فإن لم يكن الزوج كذلك، فعليه الحد؛ لأن اللعان امتنع لمعنى في جهته، فرجع إلى الموجب الأصلي.

وإن نفى الولد في التعانه، انتفى بالاتفاق، ما لم يكن أقر به، ومالك يشترط استبراءها بحيضة وعدم وطئها بعد الاستبراء، فإن لاعن، ونكلت، حبست حتى تقرأ أربعاً، أو تلاعن عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك والشافعي إذا امتنعت من اللعان، حدث للزنا، فجلدت إن كانت بكراً، وكانت على نكاحه، إلا أن يطلقها، وإن كانت ثيباً، رجمت، واستحق الميراث منها، فإذا تم اللعان بينهما، سقط عنه الحد، ووقعت الفرقة والتحرير بينهما أبداً عند مالك وأحمد، ولا يفتقر إلى تفريق الحاكم عندهما، وعند الشافعي تقع الفرقة المؤبدة بمجرد لعانه، وعند أبي حنيفة يشترط تفريق الحاكم بينهما بعد التعانهما، والفرقة طلاقة بائنة عند أبي حنيفة، فلو أكذب نفسه، حُدَّ، وله أن ينكحها، وعند الثلاثة وأبي يوسف هي فسخ، ولا تحل له، ولو أكذب نفسه، والله أعلم.

(١) «مسلمين» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١)

[١١] ولما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع في سنة ست من الهجرة الشريفة، ومعه عائشة رضي الله عنها، وقعت قصة الإفك في تلك الغزوة، وهي قذف عائشة بصفوان بن المعطل، وكان صفوان حصوراً لا يأتي النساء.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده! ما كشفت من كنفِ أُنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله»، والقصة مشهورة في الحديث الشريف، فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ (١) هو سوء الكذب ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿مِّنْكُمْ﴾ يعني: عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، ومسطح، وحسان بن ثابت، وحمئة بنت جحش، وغيرهم.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أي: الإفك، والخطاب لعائشة وأهلها وصفوان.

﴿شَرًّا لَّكُمْ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (تَحْسَبُوهُ)

(١) رواه البخاري (٣٩١٠)، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم (٢٧٧٠)، كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، عن عائشة - رضي الله عنها -.

جنة السنة

و(تَحْسَبُونَهُ) (يَحْسَبُهُ) (يَحْسَبُ) كيف أتى مستقبلاً بفتح السين، والباقون:
بالكسر^(١).

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بأن تثابوا، وتظهر براءتكم ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني:
من العُصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ جزاء ما اجترح من الذنب.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ قرأ يعقوب: بضم الكاف، والباقون:
بكسرهما، وهما لغتان^(٢)، المعنى: والذي تحمل معظم الإفك من الأفاكين
هو عبد الله بن أبي.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أما ابن أبي، فمات منافقاً، وأما حسان، فعمي بعد
ذلك.

وعن مسروق قال: «دخلنا على عائشة، وعندها حسان بن ثابت ينشدها
شعراً يشيب بأبيات له، وقال:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تَزُنُّ بِرِيَّةٍ وَتَصْبِحُ غَرْثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة: لكنك ليس كذلك، قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين
له أن يدخل عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾ فقالت: أي عذاب أشد من العمى؟! وقالت: إنه كان ينافح ويهاجي
عن رسول الله ﷺ^(٣).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢٣٨/٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٣٣١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٣٩).

(٣) رواه البخاري (٣٩١٥)، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم =

جنة السنة

وروي عنها أنها قالت: «ما سمعت شعره إلا رجوت له الجنة»^(١).

وروي: أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة، فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين^(٢).

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١٢).

[١٢] ثم وبخ الخائضين فقال: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاً.

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني: الإفك.

﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بأمهاتهم ﴿خَيْرًا﴾ المعنى: هلا ظننتم أيها المؤمنون بالذين هم كأنفسكم خيراً، والمؤمنون كلهم كالنفس الواحدة، نظيره ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب ظاهر، وسمي الإفك إفكاً؛ لكونه

= (٢٤٨٨)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت - رضي الله عنه -. قال ابن كثير في «تفسيره» (٢٧٣/٣): «الأكثر على أن المراد بذلك، يعني: الذي تولى كبر الإفك، إنما هو عبد الله بن أبي سلول قبحه الله ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. وقيل: المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره».

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨٨/١٨).

(٢) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (١١٦/٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢٧٩/٣).

جنة السنة

مصروفاً عن الحق؛ من قولهم: أفك الشيء: إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف، فمن رماها بالسوء، قلب الأمر عن وجهه.

وروي أن هذا النظر الشديد وقع من أبي أيوب الأنصاري وامرأته، وذلك أنه دخل عليها فقالت: «يا أبا أيوب! أسمعت ما قيل؟! فقال: نعم، وذلك كذب، أكننت أنتِ يا أم أيوب تفعلين ذلك؟! قالت: لا والله، قال: فعائشة والله أفضل منك، قالت أم أيوب: نعم»^(١)، فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله المؤمنين؛ إذ لم يفعله جميعهم. قرأ أبو عمرو، وهشام، والكسائي، وخلف^(٢): (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) بإدغام الذال في السين، والباقون: بالإظهار^(٣).

﴿ تَوَلَّآ جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاذْلَمُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾^(١٣)

[١٣] ثم بين الحكم في القذف فقال: ﴿ تَوَلَّآ جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ﴾ أي: على ما زعموا ﴿ فَاذْلَمُوا بِالشُّهَدَاءِ ﴾ على القذف.

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٩٨)، والطبراني في «تفسيره» (٩٦/١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥٤٦/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/١٦).

(٢) في «ت»: «خلاد».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٩/٤).

جنة السنة

﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ وهذا في حق عائشة رضي الله عنها، ومعناه: فأولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أيها الخائضون بالحلم والإمهال لتتوبوا ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ ﴾ جريتم ﴿ فِيهِ ﴾ من القذف عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ دَائِمٌ فِي الْآخِرَةِ. ﴾

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّلَامِ قَالُوا يَا مَرْغُوبُ قُلْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ أي: تأخذون حديث الإفك من الأفاكين. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بإظهارها، ومنهم البيهقي يشدد التاء على أصله، والتلاوة المتواترة (تَلَقَّوْنَهُ): بفتح اللام والقاف مع تشديدها؛ أي: تقبلونه، وقرئ بكسر اللام وضم القاف مخففة؛ من الولق، وهو الإسراع بالكذب^(١) ﴿ بِالسَّلَامِ ﴾ بأن يرويه بعض عن بعض.

﴿ وَقَوْلُونَ يَا مَرْغُوبُ ﴾ كلاماً بلا مساعدة من القلوب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

جنة السنة

﴿ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم .
﴿ وَتَحْسَبُونَهُ ﴾ أي : خوضكم في عائشة ﴿ هَيْئًا ﴾ صغيرة .
﴿ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ كثير الوزر .

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَلَوْلَا ﴾ أي : وهلاً ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ يعني : الإفك . وتقدم اختلاف القراء في الإدغام والإظهار في ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ﴿ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ ﴾ أي : ما يجوز ﴿ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ﴾ هذا اللفظ هنا بمعنى التعجب .
﴿ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ زور يبهت من يسمعه .

﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٧] ﴿ يَعِظُكُمُ ﴾ الله ؛ أي : ينهاكم كراهة ﴿ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ ﴾ أي : الخوض ﴿ أَبَدًا ﴾ ما دتم أحياء .
﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان يمنع عنه .

﴿ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ﴾ في الأمر والنهي .
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأمر عائشة وصفوان ﴿ حَكِيمٌ ﴾ حكم ببراءتهما .

جنة السنة

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩).

[١٩] ونزل في عبد الله بن أبيِّ وأصحابه المنافقين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ (١) أي: يفسؤ القذف بها.

﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالجلد ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ عذاب النار.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ براءة عائشة، وشرَّ ما خضتم فيه، وكذب الخائضين.
﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠).

[٢٠] ونزل في مسطح وحسان وحنمة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وجواب (لولا) محذوف؛ أي: لعاجلكم بالعقوبة، وتكرير ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ زيادة مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (رءُوفٌ) بالإشباع على وزن فَعُول، والباقون: بالاختلاس على وزن فَعُل (٢)، والرأفة: أشد الرحمة.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٨١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٢).

جنة السنة

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ تزيينه في قذف عائشة. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب، والكسائي، وقنبل، وحفص عن عاصم^(١): (خُطُوَاتٍ) بضم الطاء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ بالقبيح ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ هو ما أنكره الشرع.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ لكم في الدارين ﴿ مَا زَكَا ﴾ أي: لم يكن زاكياً ﴿ مِنْكُمْ ﴾ أي: ما طهر من دنسها ﴿ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ آخر الدهر. قرأ روح عن يعقوب بخلاف عنه: (زَكَّى) بتشديد الكاف، والباقون: بالتخفيف^(٣).

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي ﴾ يطهر ﴿ مِنْ يَشَاءُ ﴾ من الذنب بالرحمة.

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لمقالهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم.

(١) «عن عاصم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٢).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٣).

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢).

[٢٢] ولما حلف أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ألا ينفق على مسطح، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين بدرياً؛ لخوضه في عائشة - رضي الله عنها -، نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ (١) قرأ أبو جعفر: (يَتَأَلَّ) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة، وقرأ الباقون: بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام خفيفة، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: يبدلون الهمزة بألف ساكنة على أصولهم (٢)، ومعنى القراءتين: لا يحلف ﴿ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ في الدين ﴿ وَالسَّعَةِ ﴾ في المال.

﴿ أَنْ يُؤْتُوا ﴾ على ألا يؤتوا ﴿ أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ صفات لموصوف واحد؛ أي: ناساً جامعين لها.

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ عنهم خوضهم في عائشة.

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ إذا عفوتم.

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر، قال: «بلى أحب أن يغفر الله لي» ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: «والله لا أنزعها منه أبداً».

(١) تقدم تخريجه في حديث الإفك.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٣).

جنة السنة

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣).

[٢٣] ونزل في شأن قذف (١) عبد الله بن أبي عائشة رضي الله عنها:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ (٢) العفيفات ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفاحشة
﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله.

﴿لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ عُدُّوا في الدنيا بالحد (٣)، وفي الآخرة بالنار.
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وجمع المؤمنات، وإن أريدت عائشة وحدها؛
لأن من قذف واحدة من نسائه ﷺ، فكأنه قد قذفهن.

قيل لابن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة؟ قال:
«ذلك لمن قذف عائشة خاصة» (٤).

وقال ابن عباس: «هذا فيمن قذف زوجات النبي ﷺ، ليس له توبة،
ومن قذف مؤمنة، فقد جعل الله له توبة» (٥).

(١) «قذف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢٨٢/٣).

(٣) في «ت»: «بالجلد».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥١/٢٣). وقد روى ابن أبي حاتم في
«تفسيره» (٢٥٥٧/٨)، والحاكم في «المستدرک» (٦٧٣١) عن ابن عباس،
مثله.

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١٦٤/٦).

جنة السنة

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ العامل في قوله: (يَوْمَ) فعلٌ مضمر يقتضيه العذاب؛ أي: يعذبونه يومَ، ونحو هذا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَشْهَدُ) بالياء على التذكير؛ لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث^(١)، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، روي أنه يختم الأفواه، فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا.

﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ بِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ بِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ حسابهم العدل .

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الذي لا شك فيه .

﴿الْحَيْثُتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُوتُ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿الْحَيْثُتُ﴾ من الكلمات والقول .

﴿لِلْحَيْثِينَ﴾ من الناس ﴿وَالْحَيْثُوتُ﴾ من الناس ﴿لِلْحَيْثَاتِ﴾ من

القول .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٤).

جنة السنة

﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ من القول ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس .

﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الناس ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ من القول، المعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس، والطيب لا يليق إلا بالطيب، فعائشة لا يليق بها الخبائث من القول؛ لأنها طيبة، فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها، وقيل: معناه: الخبيثات: الزواني للخبيثين: الزناة، وبالعكس، والطيبات: العفاف للطيبين: العفيفين، وبالعكس، والتكرير للتأكيد إيداناً أن كل واحد منهما لا يصلح إلا لصاحبه .

﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: عائشة وصفوان، ذكرهما الله بلفظ الجمع؛ كقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: أخوان، وقيل: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني الطيبين والطيبات .

﴿مُبرَّؤُونَ﴾ منزهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الخبيثون والخبيثات فيهم من القذف .
﴿هُم مَّعْفَرَةٌ﴾ هي العفو عن ذنوبهم ﴿وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾ الجنة .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع، وحفص عن عاصم: (بُيُوتًا) (بُيُوتِكُمْ) بضم الباء، والباقون: بكسرهما^(١) ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ تستأذنوا .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

جنة السنة

﴿ وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ بأن تقولوا: السلام عليكم أَدْخَل؟
 ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من تركه .
 ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وتعملون بما هو أصلح لكم . وتقدم اختلاف القراء
 في (تذَكَّرُونَ) أول السورة .

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ
 ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [٢٨].
 [٢٨] ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ﴾ له الإذن ﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن
 قِيلَ لَكُمْ ﴾ عند الاستئذان للدخول: ﴿ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾ ولا تُلِحُّوا في
 الدخول ﴿ هُوَ ﴾ أي: الرجوع .

﴿ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ أظهر لقلوبكم من الريبة والدخول بغير إذن .
 ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ فيجازيكم (١) عليه .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [٢٩] .

[٢٩] فلما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة
 والمدينة والشام، وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى:

= (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٥-٢٤٦).

(١) في «ت»: «فمجازيكم» .

جنة السنة

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾^(١)؛ كالرباط والخان ﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ أي: منفعة.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد، أو تطلع على عورات.

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^(٣٠).

[٣٠] ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ ﴾ ينقصوا من نظرهم، و(من) تبعيض؛ لأنهم إنما نهوا عن النظرة إلى ما لا يحل لهم، فلا يجوز للرجل النظر إلى الأجنبية قصداً لغير ضرورة عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: يجوز له النظر إلى الوجه والكفين مع أمن الشهوة، فإن لم يأمن، لم يجز إلا لضرورة، فإن كانت عجوزاً^(٢) لا تُشتهي، جاز النظر إلى وجهها وكفيها عند أبي حنيفة ومالك، وعند أحمد: إلى وجهها فقط، واختلف في مذهب الشافعي، فألحقها الغزالي بالشابة، وجوز الروياني النظر إلى وجهها وكفيها.

﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ عن الزنا، ولم يدخل (من) في حفظ الفروج؛ لأن الزنا لا رخصة فيه ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: غض البصر وحفظ الفرج ﴿ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ أنفع لهم وأطهر.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدى (ص: ١٨٦).

(٢) في «ش»: «عجوزة».

جنة السنة

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ لا يخفى عليه شيء، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّالِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦١).

[٣١] ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ عما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال، وهي العورة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك: ما عدا الوجه والأطراف، والأصح من مذهب الشافعي: أنها لا تنظر إليه كما لا ينظر هو إليها.

﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ.

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ المستترة؛ كالسوار والخلخال والقلائد لمن لا يحل له النظر إليها ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ كالثياب والخاتم؛ فإن في سترها حرجاً، وقيل غير ذلك.

جنة السنة

﴿وَلْيَصْرَيْنَ﴾ ليسدلن ﴿بِحُمْرِهِنَّ﴾ جمع خمار، وهو غطاء الرأس.
 ﴿عَلَى جِيُوبِهِنَّ﴾ صدورهن. قرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي، وابن
 ذكوان عن ابن عامر: (جِيُوبِهِنَّ) بكسر الجيم، والباقون: بضمها^(١).
 ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ التي أمرن بسترها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي:
 أزواجهن.

١ ﴿أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِمْ أَوْ
 إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ﴾ فيجوز لجميع المذكورين عند
 الشافعي النظر إلى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة، إلا^(٢) الزوج،
 فيباح له ما بينهما، وعند مالك: ينظرون إلى الوجه والأطراف، وعند
 أبي حنيفة: ينظرون إلى الوجه والرأس والصدر والساقين والعضدين،
 ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها، وعند أحمد: ينظرون إلى ما يظهر
 غالباً؛ كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق، وأبيح النظر لهؤلاء؛ لكثرة
 مداخلتهم عليهن، واحتياجهن إلى مداخلتهم.

﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي: نساء أهل دينهن، وهو قول الشافعي، فيحرم عنده
 نظر الذمية إلى المسلمة؛ لأنها لا تتخرج عن وصفها للرجال، وعند
 الثلاثة: يجوز نظرها إلى ما عدا ما بين السرة والركبة؛ لأنها من جملة
 النساء، ولأن النساء الكوافر من اليهوديات وغيرهن قد كن يدخلن على
 نساء النبي، فلم يكنَّ يحجبين، ولا أمرن بالحجاب، وأما المسلمة، فلا

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٨).

(٢) في «ت»: «إلى».

حنة السنة

خلاف في جواز نظرها إلى المسلمة سوى ما بين السرة والركبة، فأبو حنيفة يوجب ستر الركبة، والثلاثة لا يوجبونه.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ اختلف العلماء في حكم الآية، فقال قوم: هو عام، فيكون عبد المرأة محرماً لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً، وأن ينظر إلى مولاته كالمحارم، وهو مذهب مالك والشافعي، وكل منهما على أصله في النظر كما تقدم، وقال آخرون: المراد: الإماء دون العبيد، فيكون العبد حكمه حكم الأجنبي معها، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، مع اتفاقهما على جواز رؤيته إليها، فأبو حنيفة يجوز رؤيته إلى وجهها وكفيها، وأحمد يجوز رؤيته إلى ما يجوز للمحرم النظر إليه منها كما تقدم، قال أحمد: ولا يلزم من النظر المحرمة، فلا يباح لها الحج ولا السفر معه.

﴿أَوْ التَّابِعِينَ﴾ الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم، لا همة لهم سوى ذلك.

﴿غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ المعنى: غير ذوي الحاجة إلى النساء، وهو من لا ينتشر عليه، ولا يطبق غشيانهن، ولا يشتهيهن ولا تشتهينه، فعند أبي حنيفة ومالك: ينظر الوجه والكفين، وعند الشافعي وأحمد: ينظر كالمحارم. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (غَيْرَ) بالنصب على الحال من الذكر الذي في (التَّابِعِينَ)، وقرأ الباقر: بالخفض على نعت (التَّابِعِينَ)^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٤٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٨/٤).

جنة السنة

﴿ أَوْ اَطْفَالٍ ﴾ أي: الأطفال ﴿ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ أي: لم يعرفوها؛ لعدم التمييز، فلا حجاب منهم بالاتفاق.

والعورة: من العوار: العيب، وتقدم ذكر عورة الرجل والمرأة والأمة، واختلاف الأئمة في ذلك مستوفى في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ كانت المرأة إذا مشت، ضربت برجلها؛ لئلا يسمع صوت خلخالها، فنزلت الآية نهياً عن ذلك^(١) ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ من التقصير الواقع في أمره ونهيه.

﴿ آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ قرأ ابن عامر: (أَيْة) بضم الهاء إتباعاً للضممة قبلها بعد حذف الألف للساكنين، ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الباقر: بفتحها؛ للدلالة على الألف المحذوفة وصلاً^(٢)، ويقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (أَيْهَا) بالألف على الأصل، والباقر: يقفون بلا ألف متابعة للمصحف^(٣).

﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ بسعادة الدارين.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٩٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١-١٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٩).

جنة السنة

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣٢].

[٣٢] ﴿ وَأَنْكِحُوا ﴾ أي: زوّجوا ﴿ الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ ﴾ جمع أيم، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء، بكرأ كان أو ثيباً.

﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ أي: الخيرين ﴿ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ اتفق الأئمة على أن النكاح سنة؛ لقوله ﷺ: «من أحبّ فطرني، فليستنّ بسنتي»^(١)، ومن ستنّي النكاح»^(٢)، فإن كان تائقاً يخاف العنت، وهو الزنا، وجب عليه عند أبي حنيفة وأحمد، وقال مالك والشافعي: وهو مستحب لمحتاج إليه يجد أهبتة، ومن لم تتق نفسه إليه، فقال أبو حنيفة وأحمد: النكاح أفضل له من نفل العبادة، وقال مالك والشافعي: بعكسه، وعند الشافعي: إن لم يتعبد، فالنكاح أفضل.

واختلفوا في تزويج المرأة نفسها، فأجازه أبو حنيفة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أزْوَاجَهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الرجال عن منع النساء عن النكاح، فدل على أنهن يملكن النكاح، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، أضاف النكاح إلى المرأة أيضاً، ولقوله ﷺ: «الأيّمُ أحقُّ بنفسها من وليها، والبكرُ تُستأمرُ بنفسها، وإذنها صماتها»^(٣)،

(١) «بسنّتي» ساقطة من «ش».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٧٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧٧/٧)، عن عبيد بن سعد مرسلأ.

(٣) رواه مسلم (١٤٢١)، كتاب: النكاح، باب: استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

جنة السنة

والاستثمار طلب الأمر من قبلها، ومنعه الثلاثة وقالوا: إنما يزوجها وليها؛ بدليل هذه الآية؛ لأن الله خاطب الأولياء به؛ كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات، ولقوله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا، فَنَكَاحُهَا بَاطِلٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(١).

واختلفوا هل يجبر السيد على تزويج رقيقه إذا طلبوا ذلك؟ فقال أحمد: يلزمه ذلك إلا أمة يستمتع بها، فإن امتنع السيد من الواجب عليه، فطلب العبد البيع، لزمه بيعه، وخالفه الثلاثة.

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لا يمنع فقر^(٢) الخاطب أو المخطوبة من المناكحة؛ فإن في فضل الله غنية عن المال.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنفذ نعمته ﴿عَلِيمٌ﴾ ييسر الرزق ويقدر بحكمته. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (يُعْزِهِمُ اللَّهُ) بضم الهاء والميم، والباقون: بكسرهما^(٣).

واختلف الأئمة في الزوج إذا أعسر بالصدّاق والنفقة والكسوة والمسكن، هل تملك المرأة فسخ نكاحها؟ فقال أبو حنيفة: لا تملك الفسخ بشيء من ذلك، وتؤمر بالاستدانة للنفقة لتحيل عليه، فإذا فرضها

(١) رواه أبو داود (٢٠٨٣)، كتاب: النكاح، باب: في الولي، والترمذي (١١٠٢)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء: لا نكاح إلا بولي، وقال: حسن، وابن ماجه (١٨٧٩)، كتاب: النكاح، باب: لا نكاح إلا بولي، عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٢) «فقر» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٠/٤).

حنة السنة

القاضي، وأمرها بالاستدانة، صارت ديناً عليه، فتمكن من الإحالة عليه، والرجوع إلى تركته لو مات، وقال مالك: لها الفسخ بإعساره بالصداق قبل الدخول، فيؤمر بطلاقها، فإن امتنع، فرق الحاكم بينهما، ويتشطر صداقها عليه، ويبقى ديناً في ذمته تتبعه به إذا أيسر، ولم يفرق بإعساره به بعد الدخول، وإن أعسر بنفقتها، أمر بفراقها، فإن امتنع، فرق الحاكم بينهما بطلقة رجعية، وله الرجعة إن أيسر في العدة، وقال الشافعي: إذا أعسر بالنفقة، فلها فسخ النكاح، وكذا بالكسوة والمسكن، ويمهل ثلاثة أيام، وتفسخ صبيحة الرابع، ولها الفسخ بالإعسار بالمهر قبل وطء لا بعده ويسقط به المهر، وقال أحمد: إن أعسر بنفقة أو ببعضها، أو بكسوة أو ببعضها، أو بسكنى، فلها الفسخ، وكذا إن أعسر بمهر حال قبل الدخول أو بعده، ما لم تكن عالمة بعسرته، فإن فسخت قبل الدخول، سقط المهر، وبعده، يستقر في ذمته، واتفق الشافعي وأحمد على أن الفسخ لا يصح إلا بحكم حاكم، فيفسخ بطلبها^(١)، أو تفسخ بأمره.

﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَبَيَّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣٣﴾

[٣٣] ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ﴾ يطلب العفة عن الزنا ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي:

(١) «بطلبها» زيادة من «ت».

جنة السنة

قدرة على النكاح ﴿حَقَّ يَغْنِيهِمُ اللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ .

قال ﷺ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة، فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»^(١).

﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنْبَ﴾ أي: يطلبون عقد الكتابة.

﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة ﴿فَكَاتَبُوهُمْ﴾ أمر ندب.

وسبب نزول الآية: ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن ي كاتبه، فأبى عليه، فأنزل الله الآية، ف كاتبه حويطب على مئة دينار، ووهب له منها عشرين، فأداها، وقتل يوم حنين في الحرب^(٢)، والكتابة بيع سيد رقيقه بمال في ذمته مباح معلوم، وهي مستحبة بالاتفاق، فيقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من المال، والعبد يقبل ذلك، فإذا أدى المال، عتق، ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة، وسميت كتابة؛ لأن العبد كتب عليه الوفاء بالمال، والسيد كتب عليه العتق عند أدائه، وتصح عند أبي حنيفة ومالك بمال حال ومؤجل ومنجم، وعند الشافعي وأحمد تصح في نجمين فأكثر، ولا تجوز عندهما حالاً، ولا في نجم واحد.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ كسباً وأمانة، وهو قول الشافعي وأحمد، وقال

(١) رواه البخاري (١٨٠٦)، كتاب: الصوم، باب: الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ومسلم (١٤٠٠)، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنه، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٦). و«تفسير القرطبي» (١٢/١٨٤).

جنة السنة

مالك: الخير هو القوة على الأداء، وقال بعض الحنفية: المراد بالخير: إقامة الصلاة وأداء الفرائض، وقال بعضهم: المراد: ألا يضر بالمسلمين بعد العتق، فإن كان يضرُّ بهم، فالأفضل ألا يكاتبه، فلو فعل، صح.

﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، فعند أبي حنيفة ومالك: هو مستحب، وعند الشافعي وأحمد: هو واجب، فمذهب الشافعي ليس له حد، بل عليه أن يحط عنه ما شاء من المال، أو يدفعه إليه، والحط أولى، وفي النجم الأخير أليق، ومذهب أحمد: يجب على السيد أن يؤتیه ربع مال الكتابة إن شاء، ويضعه عنه، وإن شاء قبضه ثم دفعه إليه^(١).

قال عليه السلام: «ثلاثة حقُّ على الله عونُهم: المكاتب الذي^(٢) يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»^(٣).

واختلفوا فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم، فقال أبو حنيفة ومالك: إن ترك وفاء بما بقي عليه من المكتابة، كان حراً، وإن كان فيه فضل، فالزيادة لأولاده الأحرار، وقال الشافعي وأحمد: يموت رقيقاً، وترتفع الكتابة، سواء ترك مالا، أو لم يترك؛ كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع.

(١) ثم دفعه إليه» زيادة من «ت».

(٢) «الذي» زيادة من «ت».

(٣) رواه النسائي (٣١٢٠)، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب، وعون الله إياهم، وقال حسن، وابن ماجه (٢٥١٨)، كتاب: العتق، باب: المكاتب، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

جنة السنة

﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَنَيْتَكُمْ ﴾ إمامكم ﴿ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ الزنا .

﴿ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصَّنًا ﴾ إن طلبن تعففاً وامتناعاً عن الزنا، [و(إِنْ) هنا بمعنى (إِذْ)؛ لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا] (١) إن لم يردن التحصن، نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، كانت له ست جوار يكرههن على الزنا، وضرب عليهن الضرائب - جمع الضريبة، وهي الغلة المضروبة على العبد والحزبية -، فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ، فنزلت (٢). قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (الْبِغَاءُ إِنْ) بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى، وقرأ قالون، والبزي: بتسهيل الأولى بين بين، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفر، ورويس: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قبل وورش، فروي عن الأول جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني إبدال الهمزة الثانية ياء مكسورة، وروي عنه تسهيلها بين بين (٣).

﴿ لِبَنَاتِكُمْ ﴾ أي: أموال ﴿ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ بكسبهن وبيع أولادهن .

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٩)، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَنَيْتَكُمْ ﴾ عَلَى الْبِغَاءِ، عن جابر - رضي الله عنه - قال: كان عبد الله بن أبي سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله - عز وجل - . وفي لفظ: أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها مسيلة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٧-١٨٨).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥٠-٢٥١).

جنة السنة

﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ﴾ على الزنا .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهن، والوزرُ على المكره . قرأ ابن ذكوان بخلاف عنه : (إِكْرَاهِهِنَّ) بالإمالة .

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٤]

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ مَفَصَّلَاتٍ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ . قرأ، ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم : (مُبَيِّنَاتٍ) بكسر الياء، والباقون : بفتحها^(١) .

﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا .

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني : ما ذكر من قصص القرون الماضية .

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك والكبائر، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ .

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣٥]

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : صاحب نورهما،

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥١) .

جنة السنة

ونورُهما: الشمس والقمر، المعنى: هو هادٍ مَنْ فيهما بنوره.

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صفة نور الله في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ [هي الكوة في الجدار غير نافذة، روي أن المراد بالنور الثاني هنا: محمد ﷺ، وقوله: (مَثَلُ نُورِهِ)؛ أي: نور محمد إذ كان مستودعاً في الأصلاب، وقيل: إن المشكاة هندية معربة. قرأ الدوري عن الكسائي: (كَمِشْكَاةٍ)]^(١) بالإمالة^(٢) ﴿فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم، والمعنى: مثل مصباح في مشكاة ﴿الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل، مثل بها؛ لأن النور فيها أشد، ثم شبه القنديل بالكوكب فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي: (دِرِّيٌّ) بكسر الدال مع المد والهمز؛ من الدرء، وهو الدفع؛ لأن الكوكب يدفع الشيطان من السماء، وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بضم الدال والمد والهمز، بمعنى: أن الكوكب يدفع الظلام بضياءه، وقرأ الباقون: بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز^(٣)؛ أي: شديد الإنارة، نُسب إلى الدر في صفائه وحسنه، وإن كان^(٤) الكوكب أكثر ضوءاً من الدر، لكنه يفضل الكواكب بصفائه؛ كما يفضل الدرُّ سائرَ الحب.

﴿يُوقَدُ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي؛ أي: توقد المصباح، وقرأ

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥٣-٢٥٤).

(٤) «كان» ساقط من «ش».

جنة السنة

نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير مجهول مستقبل؛ [أي: يوقد المصباح، وقرأ الباقون، وهم: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بضم التاء والدال مع التخفيف على التأنيث مجهول مستقبل] ^(١) ^(٢)؛ أي: توقد الزجاجة؛ أي: نارها؛ لأن الزجاجة لا توقد.

﴿ مِنْ شَجَرَةٍ ﴾ أي: زيت شجرة ﴿ مُبْرَكَةٍ ﴾ كثيرة النفع؛ لأن دهنها الزيت، فهو إدام وفاكهة ومصحة من الباسور ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ .
قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادّهنوا بالزيت؛ فإنه من شجرة مباركة» ^(٣).

﴿ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ﴾ بل بينهما؛ كالشام وأجود الزيتون زيتونه.

وقال ابن عباس وغيره: معناه أنها في منكشف من الأرض؛ لتصبيها عين ^(٤) الشمس طول النهار، وتستدير عليها، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي شرقية وغربية، تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضواً ^(٥).

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥٥-٢٥٦).

(٣) رواه الترمذي (١٨٥١) كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في أكل الزيت، وابن ماجه (٣٣١٩)، كتاب: الأطعمة، باب: الزيت، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

(٤) «عين» ساقطة من «ت».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٠١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/١٩٦).

جنة السنة

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ لصفائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فكأنه لفرط ضيائه .

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني: نور المصباح على نور الزجاجة . قرأ أبو عمرو (يَكَادُ زَيْتُهَا) بإدغام الدال في الزاي^(١)، وفائدة جعل المصباح في زجاجة، والزجاجة في كوة غير نافذة، شدة الإضاءة؛ لأن المكان كلما تضيق، كان أجمع للضوء، بخلاف الواسع، فالضوء ينتشر فيه، وخص الزجاج؛ لأنه أحكى الجواهر لما فيه، وهذا تمثيل للنبي ﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح النبوة فيه، ومن شجرة مباركة شجرة النبوة، يكاد زيتها يضيء: يكاد أمر محمد يتبين للناس أنه نبي، ولو لم يتكلم؛ كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار .

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ لدين الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فإن الأسباب كلها بمشيئته .

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم .

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ظاهراً كان أو خفياً .

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بما قبله؛ أي: (كَمِشْكَاةٍ) في بيوت .

﴿أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ أي: تُعْظَمَ .

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٧/٤) .

جنة السنة

قال ابن عباس: «المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»^(١).

وقيل: هي أربعة بناها الأنبياء: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، والأقصى بناه داود وسليمان، [بل بناه يعقوب - عليه السلام - كما ورد في الحديث، فلا تغفل عنه]^(٢)، ومسجد المدينة، ومسجد قباء بناهما رسول الله ﷺ.

﴿وَيَذَكَّرُ فِيهَا أَسْمَهُ﴾ يتلى فيها كتابه ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾
قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (يُسَبِّحُ) بفتح الباء مجهولاً القائم مقام الفاعل له، فيحسن الوقف على (وَالْآصَالِ)؛ لأنك تضمير فعلاً؛ كأنه لما قيل (يُسَبِّحُ لَهُ)، قيل: من يسبحه؟ قيل: يسبحه رجال، ولا يجوز الوقف عليه، وقرأ الباقون بكسر الباء، جعلوا التسييح فعلاً للرجال (يُسَبِّحُ)^(٣)؛ أي: يصلي له فيها بالغداة والعشي، والمراد: الصلوات المفروضات، فالتى تؤدي بالغداة: صلاة الفجر، والتي تؤدي بالآصال: صلاة الظهر والعصر والعشاءين؛ لأن اسم الأصيل يجمعها.

- (١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٤٨).
- (٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».
- (٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥٧).

جنة السنة

﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾ قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد؛ لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المساجد.

﴿لَا لُئْلِيهِمْ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجْرَةٌ﴾ هي صنعة التاجر عن بيع وشراء.

﴿وَلَا يَبِيعُ﴾ قال الفراء: التجارة لأهل الجلب، والبيع ما باعه الرجل على يديه.

﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ عن الصلاة المفروضة ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ لوقتها.

﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ لمستحقيها عند وجوبها؛ لأن مؤخر الصلاة عن وقتها لا يكون مقيماً لها.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة ﴿نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ وتقلُّبها تنقلُّها^(١) عن أماكنها؛ لهول ذلك اليوم، فتتقلب القلوب في الجوف، وترتفع إلى الحنجرة، ولا تنزل ولا تخرج، وتقلُّب البصر: شخوصه.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ اللام في ﴿لِيَجْزِيَهِمْ﴾ متعلقة بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ المعنى:

كان تسبيحهم وخوفهم ليشيئهم، وقوله:

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ فيه حذف مضاف تقديره: ثواب أحسن ما عملوا.

(١) «تنقلها» زيادة من «ت».

جنة السنة

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم .
﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

قال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة، تركوا كل شغل، وبادروا إليها، فرأى سالم بن عبد الله بن عمر أهل الأسواق وهم مقبلون إلى الصلاة، فقال: «هؤلاء الذين أراد الله بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾»^(١).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣٩).

[٣٩] ثم ضرب لأعمال الكافرين مثلاً فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ﴾ هو ما يرى من ضوء الشمس نصف النهار كالماء على وجه الأرض.

﴿بِقِيَعَةٍ﴾ جمع قاع، وهو المستوي من الأرض، وفيه يكون السراب .
﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ﴾ يتوهمه العطشان .
﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ جاء ما غلب على ظنه أنه ماء .

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما ظنه، فيزداد عطشاً، فكذلك الكافر، يحسب أن عمله ينفعه، فعند الموت والبعث، لم يغن عنه شيئاً، فيزداد انقطاعاً .

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦١/٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٠٧/٨).

جنة السنة

﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ﴾ أي: بالمجازاة، والضمير في .

﴿ عِنْدَهُ ﴾ عائد على العمل .

﴿ فَوَفَّنَهُ حِسَابَهُ ﴾ جزاء كفره، فألقي في النار .

﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ لا يشغله حساب عن حساب .

﴿ أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا
لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ أَوْ كَظُلْمَتٍ ﴾ عطف على قوله: ﴿ كَسْرَابٍ ﴾، وهذا مثل آخر
ضربه الله لأعمال الكفار؛ أي: أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها
كالظلمات .

﴿ فِي بَحْرِ لُجِّي ﴾ عميق، منسوب إلى اللج؛ أي: ذو لُجٍّ، وهو معظم
الماء .

﴿ يَغْشَاهُ ﴾ يعلو البحر .

﴿ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ﴾ فوق الموج ﴿ مَوْجٌ ﴾ آخر؛ لأن الموج يركب بعضه
بعضاً؛ لكثرتة .

﴿ مِّنْ فَوْقِهِ ﴾ فوق الموج ﴿ سَحَابٌ ﴾ قرأ البزي عن ابن كثير: (سَحَابٌ)
بغير تنوين (ظُلُمَاتٍ) بالخفض على الإضافة، وقرأ قبله عنه: (سَحَابٌ)
بالتنوين (ظُلُمَاتٍ) بالخفض على البدل من قوله: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ)، وقرأ

جنة السنة

الباقون: (سَحَابٌ) (ظُلُمَاتٍ) كلاهما بالرفع والتنوين^(١)، فيكون تمام الكلام عند قوله: (سَحَابٌ)، ثم ابتداءً.

﴿ظُلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ فشبهت أعمال الكفار واغترارهم بها بسراب يغتر به من طلبه، ثم شبهت لسوادها لكفرهم بظلمات بعضها فوق بعض، والمراد: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج على الموج، وظلمة السحاب على الموج، فشبه عمل الكافر بالظلمات، وقلبه بالبحر، وما يغشى قلبه من الشرك بالموج، والختم على قلبه بالسحاب، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، وقلبه وجميع أحواله ظلمة، ومصيره إلى جهنم.

﴿إِذَا أُخْرَجَ﴾ يعني الناظر^(٢) ﴿يَكْدُو لَمْ يَكْدَ﴾ لم يقرب من أن ﴿يرنها﴾ فضلاً أن يراها؛ لشدة الظلمة.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ هداية وإيماناً في الدنيا.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ هداية في الآخرة إلى الجنة.

نزلت هذه الآية عامة في جميع الكفار، وقيل: إنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية، تعبد في الجاهلية، ولبس المسوح، والتمس الدين، فلما جاء الإسلام، كفر^(٣).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (٢/١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٥-٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٥٩-٢٦٠).

(٢) «يعني الناظر» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٠٦).

جنة السنة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عِلْمَ صَلَاتِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنبيه، والرؤية رؤية الفكر.

﴿ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ ﴾ باسقاط أجنحتها في الهواء يُصَفَّقْنَ بهن، قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان؛ لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض.

﴿ كُلُّ ﴾ من المصلين والمسبحين ﴿ قَدْ عِلِمَ ﴾ الله ﴿ صَلَاتِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ ﴾ وقيل: المعنى: كل مكلف علم عبادته ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

﴿ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: تقديرها وتدبير أمورها وتصريف أحوالها كما يشاء.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ مرجع الجميع.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي ﴾ أي: يسوق ﴿ سَحَابًا ﴾ أي: غيماً؛ لانسحابه

في الهواء.

جنة السنة

﴿ ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين أجزاء الغيم ، فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً .
قرأ أبو جعفر ، وورش عن نافع : (يُؤَلَّفُ) بفتح الواو من غير همز^(١) .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴾ متراكماً بعضه فوق بعض .

﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ فتوقه ، جمع خَلَل .

﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ معناه : ينزل من جبال في السماء ،
تلك الجبال من برد .

قال ابن عباس : «أخبر الله تعالى أن في السماء جبلاً من برد»^(٢) ،
ومفعول الإنزال محذوف تقديره : وينزل من السماء من جبال فيها برداً ،
فاستغنى عن ذكر المفعول ؛ للدلالة عليه .

قال أهل النحو : ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في هذه الآية ، فقوله :
(مِنَ السَّمَاءِ) لابتداء الغاية ؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء ، وقوله : (مِنَ
جِبَالٍ) للتبويض ؛ لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال ، وقوله : (مِنَ بَرَدٍ)
للتجنيس ؛ لأن تلك الجبال جنس البرد^(٣) .

﴿ فَيُصِيبُ بِهِ ﴾ أي : بالبرد ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فيهلك زرعه وأمواله .

﴿ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فلا يضره .

-
- (١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٥٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي
(ص : ٣٢٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦١) .
- (٢) ذكره عنه البغوي في «تفسيره» (٣/٣٠٧) ، وذكره القرطبي في «تفسيره»
(٢٨٩/١٢) دون نسبة .
- (٣) انظر : «تفسير الطبري» (١٨/١٥٤) ، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٧) .

حنة السنة

﴿يَكَادُ سَنَا﴾ أي: ضوء ﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ يختطفها من شدة ضوئه. قرأ أبو جعفر: (يُذْهَبُ) بضم الياء وكسر الهاء، فقيل: إن باء (بِالْأَبْصَارِ) تكون زائدة؛ كما هي في: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال ابن الجزري: والظاهر أن تكون بمعنى (من)؛ كما جاءت في قول الشاعر:

شُرِبَ التزيفِ ببردِ ماءِ الحَشْرِجِ^(١)

أي: من برد، ويكون المفعول محذوفاً؛ أي: يذهب النور من الأبصار، وقرأ الباقر: بفتح الياء والهاء^(٢)، وأبو عمرو يدغم الدال من (يَكَادُ) في السين من (سَنَا بَرْقِهِ)^(٣).

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

[٤٤] ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يذهب بأحدهما، ويجيء بالآخر، وينقص من أحدهما، ويزيد في الآخر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب الاعتبار.

(١) عجز بيت منسوب إلى الراعي النميري، وعروة بن أذينة، وعمر بن أبي ربيعة، وجميل بن معمر، وصدده:

فلثمتُ فإها آخذاً بقرونها

وانظر: «الكامل» للمبرد (١/٣٨١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦١).

جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ أي: من نطفة، والمراد: كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة والجن؛ لأننا لا نشاهدهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَالِقٌ) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض (كُلِّ) بالإضافة، وقرأ الباقون: (خَلَقَ) بفتح اللام والقاف من غير ألف على الفعل، ونصب (كُلِّ) مفعولاً به^(١).

﴿ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ كالحيات، وسمي الزحف على البطن مشياً؛ اتساعاً؛ لقيامه مقام المشي.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ﴾ كالأناسي والطيور.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ كالبهائم، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض؛ لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع، وتذكير الضمير؛ لتغليب العقلاء، والتعبير بـ(من) عن الأصناف؛ ليوافق التفصيل الجملة، والترتيب؛ لتقديم ما هو أعرق في القدرة.

﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ مما ذكر، ومما لم يذكر.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يفعل ما يشاء. واختلاف القراء في

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٣).

جنة السنة

الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿دَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في سورة الحج [الآية: ٥].

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤٦).

١ [٤٦] و ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تقدم تفسير (آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ)، واختلاف القراء فيها، واختلافهم في (يَشَاءُ إِلَى) كاختلافهم في (يَشَاءُ إِنَّ).

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْيَقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤٧).

[٤٧] ولما خاصم بشر المنافق يهودياً كان بينهما خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف؛ فإن محمداً يحيف علينا، نزل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ﴾^(١) يعني: المنافقين ﴿ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ لهما.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ بالامتناع عن قبول حكمه.

﴿فِرْيَقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد قولهم هذا.

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليسوا بالمخلصين في الإيمان.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ١٨٨).

جنة السنة

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ إلى كتابه .

﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد ﷺ .

﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر : (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف^(١) ، وكذلك في الحرف الآتي مجهولاً ، وقرأ الباقر : بفتح الياء وضم الكاف ؛ أي : ليحكم الرسول بينهم بحكم الله .

﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ عن الإتيان إليه ؛ خوفاً أن يحكم عليهم .

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ منقادين بسرعة ؛ لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق ، يحكم لهم أيضاً بالحق .

﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْضٌ أَمْ آتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمْ آتَابُوا ﴾ شكوا في نبوته؟! هذا استفهام ذم وتوبيخ ، أي : هم كذلك .

﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ أي : يميل في الحكم .

﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لإعراضهم عن الحق ، وطلبهم ما ليس لهم .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٤) .

جنة السنة

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١).

[٥١] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلٌ ﴾ نصب خبر (كان) المعنى : إنما كان الواجب .

﴿ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي : إلى كتاب الله ﴿ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ أمرك، والطاعة : موافقة الأمر طوعاً، وهي تجوز لله ولغيره ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ أي : القائلون هذا القول ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ البالغون آمالهم في دنياهم وآخرتهم .

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥٢).

[٥٢] ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيما يأمرانه ﴿ وَيَخْشَ اللَّهَ ﴾ على ما صدر عنه من الذنوب ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ فيما بقي من عمره ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ الناجون . قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم : (ويَتَّقِهِ) بكسر القاف وإسكان الهاء على نية الوقف، وحفص : بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء تخفيفاً، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، وهشام : بكسر القاف واختلاس كسرة الهاء، وأصله (يتقهي)، حذفت الياء التي بعد الهاء؛ لسكونها وسكون الياء قبل الهاء، ولم يعتد بالهاء حاجزاً لسكونها، وبقيت الكسرة تدل عليها، ثم حذفت الهاء الأولى للجزم، وقرأ الباؤون : بكسر القاف وإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء حالة الوصل^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٥).

جنة السنة

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ وَأَقْسَمُوا ﴾ يعني: المنافقين ﴿ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ والقسم جهد اليمين أبلغ ما يمكن من الأقسام، فمن قال: أقسم بالله، فقد جهد يمينه .
﴿ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت، نكن معك، لئن خرجت، خرجنا، وإن أقمت، أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد، جاهدنا، فقال الله تعالى:

﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ لَا تُقْسِمُوا ﴾ لا تحلفوا، تم الكلام، ثم قال:
﴿ طَاعَةً مَّعْرُوفَةً ﴾ أي: أمثل من أقسامكم طاعة لا يُشك فيها؛ لأنكم لا تصدقون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به؛ مبالغة في تبيكيتهم .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: تتولوا . قرأ البزري: (فإن تولَّوا) بتشديد التاء^(١) .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٦) .

جنة السنة

﴿فَاتِمَّا عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَا حَمَلَ﴾ من التبليغ .

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ﴾ من الطاعة .

﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق .

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: التبليغ البين، ونُسخت بآية

السيف .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

[٥٥] ولما اشتد خوف الصحابة، واستبطؤوا النصر، نزل تسليّة لهم

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ وهو جواب قسم

مضمّر تقديره: وعدهم، وأقسم ليستخلفنهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾^(١) بأن يجعلهم

خلفاءها وساكنيها بعد الكفار متصرفين فيها .

﴿كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (كَمَا

اسْتُخْلِفَ) بضم التاء وكسر اللام مجهول الفاعل (الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)،

ويبتدىء ألفه بالضم، وقرأ الباقون: بفتح التاء واللام معلوماً، ويبتدئون

(١) روى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٢١٧/٧) عن

أبي العالية، نحوه منه . وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢٦٢٧/٨) عند تفسيره

لهذه الآية .

جنة السنة

ألفه بالكسر^(١)، ضميره يرجع إلى (الله)، المعنى: يستخلفكم استخلافاً كاستخلاف الله داود وسليمان وبنى إسرائيل أرض الجبارين.

﴿وَلْيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام؛ بأن يظهره على

جميع الأديان.

﴿وَلْيَبَدِّلْهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان

الباء وتخفيف الدال؛ من أبدل، وقرأ الباقون: بفتح الباء وتشديد الدال؛

من بَدَّل، وهما لغتان^(٢)، وقيل التبديل: تغيير حال إلى حال، والإبدال: رفع الشيء وجعل غيره مكانه.

﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر

سنين خائفين، ثم هاجروا إلى المدينة، وكانوا يصبحون في السلاح، ويبيتون فيه، فأظهر الله دينهم، ونصرهم، وأبدلهم من بعد الخوف أمناً.

﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ فعل مستأنف؛ أي: هم يعبدونني.

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ أي: يعبدونني موحدين.

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ هذه النعم.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ العاصون، وكان أول من كفر بهذه النعمة

بعدهما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه فغير الله

تعالى ما بهم، وأدخل عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم حتى صاروا

يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٨-٤٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٣١٠)،

و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٦).

(٢) المصادر السابقة.

جنة السنة

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمركم به .

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي : افعلوها على رجاء الرحمة .

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَنَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة: (يَحْسَبَنَّ)

بالغيب، ونصب السين؛ أي: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين،
وقرأ الباقون: بالخطاب وكسر السين^(١)؛ أي: لا تحسبن يا محمد الذين
كفروا.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين الله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن لا يقدر عليهم .

﴿وَمَا وَنَهُمُ النَّارُ﴾ التقدير: الذين كفروا ليسوا معجزين، وما واهم

النار.

﴿وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ المأوى الذي يصيرون إليه .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِنَ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٣١٢)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٤/٢٦٧).

جنة السنة

بَعْدَ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] قال ابن عباس: وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له:

مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهر؛ ليدعوه، فدخل ورأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ﴾^(١) هذه اللام لام الأمر.

﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: العبيد والإماء، هم.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ من الأحرار، وليس المراد منهم: الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر النساء، ولكن لم يبلغوا.

﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ أي: ليستأذنوا في ثلاثة أوقات.

﴿مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ما يُنام فيه من الثياب.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ للقبولة.

﴿مِنَ الظُّهْرِ﴾ إلى وقت الظهر؛ لأنه وقت القبولة والتكشف.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت التجرد للنوم، فهذه الأوقات أوقات خلوة، فلا استئذان لهؤلاء مشروع فيها لهم، ولغيرهم في جميع الأوقات.

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٩).

جنة السنة

عاصم: (ثَلَاثٌ) بنصب الثاء بدلاً عن قوله: (ثَلَاثٌ مَرَّاتٍ) أي: أوقات ثلاث عورات، وقرأ الباقون: بالرفع^(١)؛ أي: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ لأن الإنسان يختل ستره فيها، واتفقوا على النصب في قوله: (ثَلَاثٌ مَرَّاتٍ) المتقدم؛ لوقوعه ظرفاً، وقرأ أبو عمرو (بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) بإدغام الدال في الصاد^(٢).

١ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: العبيد والخدم والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ إثم في الدخول بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد هذه الأوقات الثلاثة.

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يطوف.

﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: إن كان بكم وبهم حاجة إلى المخالطة.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الأحكام.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع لكم.

واختلف في حكم الآية، فقال قوم: هي منسوخة^(٣)، قال ابن عباس: «لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، وكان الخدم والولائد يدخلون، فربما يرون منهم ما لا يحبون، فأمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق، فاتخذ الناس الستور»^(٤)، فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنها

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٨).

(٣) في «ت»: «هو منسوخ».

(٤) رواه أبو داود (٥١٩٢)، كتاب: الأدب، باب: الاستئذان في العورات الثلاث، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٦٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» =

جنة السنة

غير منسوخة، قال سعيد بن جبير: «إن ناساً يقولون: نسخت، والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس»^(١).

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ ﴾ أي: الأحرار إذا بلغوا ﴿ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾ في جميع الأوقات في الدخول عليكم .

﴿ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأحرار البالغين .

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ كرر تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان .

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ هي من قعدت عن الحيض والولد؛ لكبرها .

(٩٧/٧). قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/٣٠٤) عن إسناد ابن أبي حاتم، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. وقال القرطبي في «تفسيره» (١٢/٣٠٣): هذا متن حسن، وهو يرد قول سعيد بن جبير، فإنه ليس فيه دليل على نسخ الآية، ولكن على أنه كانت على حال ثم زالت، فإن كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان، بل حكمها لليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/١٦٣).

جنة السنة

﴿الَّتِي لَا يَرُجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لا يُردن الرجال؛ لكبرهن.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهَا جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ﴾ الظاهرة؛ كالملحفة والجلباب الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار، فلا يجوز وضعه.

﴿غَيْرِ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات محاسنهن.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ عن وضع الثياب.

﴿حَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ لأنه أبعد من التهمة.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهن للرجال ﴿عَلِيمٌ﴾ بمقصودهن، وتقدم ذكر

الخلاف في النظر إلى العجوز التي لا تشتهي في السورة.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾

كان هؤلاء يتوقفون مؤاكلة الناس ومجالستهم؛ لأن الأعمى ربما سبقت يده

جنة السنة

إلى ما سبقت عين أكيله إليه، والأعرج يأخذ من المجلس أكثر من موضع،
والمرضى لا يخلو من رائحة يؤذي بها، أو شيء ينجس، فنزلت الآية مبيحة
لهم.

﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ فيه دلالة على أن يأكل في
بيته من مال عياله وزوجته، فيدخل فيها بيوت الأولاد؛ لأن بيت الولد
كبيته؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»^(١)، ولذلك لم يذكر الأولاد في
الآية.

وتقدم استدلال الإمام أحمد بهذا الحديث على أن للرجل أن يأخذ من
مال ولده ما شاء ويتملكه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [الآية: ٢٦٧].

﴿ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَمَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾ وهذا فيما ليس مُحَرَّزاً. قرأ ابن كثير، وابن عامر،
وقالون عن نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم:
(بُيُوتِ) و(بُيُوتَا) و(بُيُوتِكُمْ) و(بُيُوتِهِمْ) وما جاء منه بكسر الباء حيث وقع،
والباقون: بالضم^(٢)، وقرأ حمزة: (إِمَّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم،

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده،
وابن ماجه (٢٢٩٢)، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، والإمام
أحمد في «المسند» (٢٠٤/٢)، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص -
رضي الله عنهما -.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢٤٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٤٥-٢٤٦).

جنة السنة

والكسائي بكسر الهمزة فقط، وذلك في الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك^(١).

﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ هو بيت موكله، فله أن يأكل من زرعه وضرعه إذا احتاج، ولا يدخر، والمفاتيح: الخزائن.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق: الذي صدقك في المودة، قال ابن عباس: «نزلت في الحارث بن عمرو، خرج غازياً مع رسول الله ﷺ، وخلف مالك بن يزيد على أهله، فلما رجع، وجده مجهوداً، فسأله عن حاله، فقال: تحرّجتُ أن أكل من طعامك بغير إذنك، فأُنزل الله الآية»^(٢).

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة، كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه^(٣).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت للأكل أو غيره ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: على أهل دينكم، وقال ابن عباس: «معناه إذا دخلت المسجد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»^(٤) ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر؛ أي: تحيون أنفسكم تحية.

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ وصفت بالبركة والطيب؛ لما فيها من

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٦٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٢٢٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/١٧٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»

(٨/٢٦٥٠)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٨٨٦٣).

جنة السنة

الأجر والثواب؛ لأن البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء .
﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ كرهه ثالثاً؛ لمزيد التأكيد .
﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الحق في الأمور .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٦٢) .

[٦٢] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ثم أكد الحصر بقوله :

﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ ﴾ أي : مع رسول الله ﷺ ﴿ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ نحو الجهاد والعيد والجمعة، والتشاور في أمر نزل ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا ﴾ لم ينفروا ﴿ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ في الانصراف، وكان ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد رجل الخروج، وقف حيث يراه، فيأذن له إن شاء، ثم أكد ذلك بقوله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فأفاد أن المستأذن مؤمن، وأن الذهاب بغير إذن ليس كذلك ﴿ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ ﴾ في الانصراف ﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ قصدهم . قرأ أبو عمرو : (لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) بإدغام الضاد في الشين في هذا الحرف فقط^(١) .

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٠) .

جنة السنة

﴿ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتُمْ مِنْهُمْ ﴾ لا اعتراض عليك .

﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَفَ اللَّهُ ﴾ إن خرجوا بإذنك لخروجهم عنك .

﴿ إِنَّكَ اللَّهُ عَفُورٌ ﴾ لفرط العباد ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بالتيسير عليهم .

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[٦٣] ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ لا تدعوه

باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً: يا محمد، ولكن فخموه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، وهذه الآية مخاطبة لجميع معاصري محمد ﷺ، وقال ابن عباس: «معناه: احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه؛ فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره»^(١).

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ﴾ أي: قد علم ﴿ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ ﴾ يخرجون

واحداً بعد واحد ﴿ لِوَاذًا ﴾ يلوذ بعضهم ببعض يتستر به .

﴿ فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ ﴾ أي: يميلون ﴿ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: عن أمر الله

تعالى، أو أمر نبيه ﷺ ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: محنة وبلاء .

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة .

(١) انظر: «الدر المثور» للسيوطي (٦/٢٣٠).

جنة السنة

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتِجُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من الأحوال والأعمال، المعنى: علمه محيط بجميع الأشياء .

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ جميعاً، الخطاب للمنافقين على سبيل الالتفات .
قرأ يعقوب: (يُرْجَعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم^(١) .

﴿ فَيُنْتِجُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ بالمجازاة عليه .

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوا النساء الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور»^(٢)، والله أعلم .

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٠) .

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧١٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/٣٠٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٤٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٥٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/٢٢٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٩٣): فيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال الدارقطني: كذاب .

جنة السنة

مُحتَوَى المَجَلِّدِ الرَّابِعِ

٥	تفسير سورة النحل
٦٩	تفسير سورة الإسراء
١٤٣	تفسير سورة الكهف
٢٣٣	تفسير سورة مريم
٢٧٨	تفسير سورة طه
٣٤٠	تفسير سورة الأنبياء
٣٩٩	تفسير سورة الحج
٤٥٥	تفسير سورة المؤمنون
٥٠١	تفسير سورة النور
٥٦٧	محتوى المجلد الرابع

* * *